كتابة عن كتابة

زجاجات بحر ملقاة على شاطئ

أشرف مصطفى توفيق

كتابة عن كتابة

زجاجات بحر ملقاه على شاطىء

أشرف توفيق

مقدمة

وفى مكتبة شبرا الصغيرة،بالدوران خلف سينما الأمير والتى تحولت الأن لمول كبير،تعلمت جلال القراءة.تعلمت كل ماكان ينقصنى..من الجلوس الطويل، والصمت العميق. وكيف أنسى الدنيا ومافيها، والزمن، وهمومى فمكتبة شبرا فيلا صغيرة تحت عمارة بثلاث ادوار– ولها مدخل خاص وبها حديقة جميلة، وعلى مدخلها رخامة كتب عليها:

إذا الهموم نزلن منك ولم تجد أنساً،ومل فؤادكٌ الأحبابا
فاعمد إلى الكتبِ التى قد ضَمت أوراقها الأشعارُ والآدَبَ

ودخلت حديقة المكتبة،واعجبت بالمكان، والهدوء، والنظام، والسكون ووجه امينة المكتبة المشرق "مؤنسة الدويك" اسم على مسمى. كانت مؤنسة وجميلة ومشرقة وسمعت منها وهى تحدث رواد المكتبة هذا الكلام :(بالطبع نحن نحتاج إلى الكتب التى تقوم بتغيير مصائرنا،أو كما يقول "كافكا" إلى الكتب الى تعضنا وتوخزنا.ولكن لا توجد وصفة للوصول المباشر لهذه الكتب أنها تصادفك، تتعثر فيها.) كانت ترد على سؤال فلسفى بسيط عميق نردده دوما هو [ماذا نقرأ؟].. وتمسكت بالكتب صديقا ومعلما،معلقا بصدفة كتاب اتعثر فى علمه. فأهم مافى القراءة ليس المتعة،وهى موجودة.وليس اللذة وهى موجودة ولا التسلية وهى موجودة،وإنما المعرفة والاستغراق فيها الذى ينسيك ماحولك ومافى داخلك ويغيرك ويعرفك..

وادركت "مؤنسة الدويك" فلسفة المكتبة العامة،أنها ترى المكتبة أعظم المرافق التى هيأتها الدولة للناس بهدف أن تخرج مواطن قارىء،وهى تعرف أنه ليس فى استطاعة

أحد أن يشترى كل أو بعض الكتب وحتى لو استطاع،ففى المكتبة مزايا وضرورات آخرى: الهدوء، والصمت والتفرغ، وفوق ذلك نسيان غريزة الملكية..ولذا حين قرأت "مؤنسة الدويك" عن (ظهور"موشى ديان"بالتليفزيون الإنجليزى وكيف سأله المذيع عن الخطة التى اتبعها مع المصريين فى 1967؟! فقال وهو يضحك: هى نفس الخطه التى حاربتهم بها فى 1956! واستغرب المذيع فالخطة منشورة فى كتاب عام1960 هو "مذكرات حملة سيناء – 56".. ورد موشى دايان: لا لم اخش شيىء..لأن العرب لا يقرأون!)..

وتحركت "مؤنسة الدويك" وصنعت حملة بأسم (لايهزم شعب يقرأ) وحولت المكتبة لحالة لمهرجان،ادخلت الندوات،ونظام"الإستعارة الخارجية للكتب"،أما المسابقات التى اخترعتها فنوعين :

– نوع يقرأ فيه الناس كتابا واحدا ويكتبون عنه، وافضل تلخيص وعرض للكتاب،يجلس صاحبه فى ندوة يحكيه ويقرأوه..
– أما النوع الثانى وكان اسمها "من يكسب كتاب الشهر؟"وفيه يحدد عدد من الكتب للقراءة منوعة الموضوعات– ويحدد يوم للمتسابقين للسؤال فيها،ومن يكون الأول يكسب كتباً أيضا والموضوع الغالب فى المسابقات هو "اسرائيل" بطريقة "اعرف عدوك".

ومن الأوراق القديمة التى احتفظ بها شهادة من مكتبة شبرا تعترف فيها بأنى لخصت عشرين كتابا بنجاح وللحقيقة أدركت أن تلخيص الكتب يجعل للقراءة فهم ويقين وتحديد أهداف بعد التسلية..وبالتالى الإستيعاب يكون اكثر وافيد. فأنا أقرأ وكأنى أذاكر دروس المدرسة بالورقة والقلم ومستعد للإمتحان ايضاَ..

وحدث أن وقع فى يدى كتباً موضوعها "الكتب ذاتها" صاحبها قرأ ولخص وعرض، ولإستاذنا عباس محمود العقاد كتاب من هذه النوعية بعنوان "ساعات بين الكتب" ويبدو أن العقاد اختار الكتب التى لم تعجبه ليكتب عنها أو لينقضها،فهو يقرأ الكتاب ويستخرج افكاره ونظرياته ،ثم يعمل فيه قلمه بطريقة النقد الديلكتيكى، فيأتى للفكرة بفكرة مضادة وللنظرية بنظرية عكسية فالعقاد الموسوعى يعاقب فى الكتب–التى قضى معها ساعات–(المؤلفين)؟!نعم المؤلفون أنفسهم ولاتعرف لماذا كتب عنهم وعرض لكتبهم طالما لم يعجبوه.؟ ولأنيس منصور دعابة عن نقد العقاد،فهو يراه اذا نقض عض،ويصبح عباس محمود العضاض !!

ومن نفس النوعية كتاب جميل لأنيس منصور عنوانه :"كتاب عن كتب" وهو ممتع فالأستاذ يقرأ الكتاب على مهل ثم يتركه وبعد مدة يعاود التفكير فيه،فإن كتب عنه كتب عن اثر الكتاب فى نفسه وماستفاده منه وماحدثه بداخله ،وبالتالى فالكتاب عن عشرين كتابا كتب عن كل منها مقالة..

وهناك تجربة للصديق الصحفى"حنفى المحلاوى"كنت شاهدا عليها حيث استمر حنفى لخمسين اسبوعا ينشر كل اربعاء بجريدة (الوفد) عرض لكتاب فى صفحة كاملة،وفجأة اوقف الجورنال صفحة عرض الكتب؟ ونقلها (حنفى) لجريدة (الأزهر الإسبوعية) ثم قرر هو نفسه التوقف!!واتفق مع الدار المصرية اللبنانية على نشر التجربة فى كتاب، وفرحت بينى وبين نفسى فقد كان من ضمن هذه الكتب التى عرضها،كتابى "حريم فى حياة الزعيم– الثورة التى ايدها الحرملك" وكان عرضه بجريدة الأزهر ووجدت فى صندوق بريدى نسخة مهداه لكتاب اسماه "اوراق فى السياسة والحب والحرب" عرض فيها صديقى لثلاثين كتابا ولم يكن كتابى ضمنها؟! وطريفة الأستاذ حنفى مختلفة فى عرض الكتب أنه متمسك بأختيارات المؤلف وبشكل الكتاب حتى أنه يصف الغلاف؟ ولا يتصرف وإنما يستخدم ابجديات متن الكتاب انه

اختفى وراء الكاتب،أوتقمص شخصية المؤلف ولذا فهو يعرض حتى العناوين الجانبية للكتاب.

وأنا احاول أن اخلط بين الاساليب الثلاثة، احاول أن اعرض لكتب فى حياتى، أن اعاود الكتابة على الكتابة تلخيصا وعرضا فعلت ذلك من قبل وهأنا اعود إليه..ففى حياتى عدة محطات فى بلاط صاحبة الجلالة،وكلها قضيت فيها وقتا فى تلخيص وعرض الكتب ففى جريدة "الطلاب" امسك الاستاذ (محمد سليمة) كتاب "المرأة والجنس"لنوال السعداوى وطلب منى تلخيصه،مرتين مرة بما يوازى صفحة جورنان، ومرة بما يكف عمود.وكان هذا امتحان أو اختبار قبولى للعمل فى الجريدة، ونجحت، وكنت وقتها فى المرحلة الثانوية –بمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا– وزدنا على ذلك أن ذهبت لنوال السعداوى فى مجلة "الصحة" بشارع شريف بوسط البلد واجريت حوارا معها عنوانه :" الشيىء الذى يخفونه باوراق التوت" ونشر بصفحتى الوسط بالجريدة.

وفى مجلة "عيون" لخصت كتب السادات:(من مذكراته فى السجن لقصته مع الثورة حتى كتابه "البحث عن الذات") فقد كانت صاحبتها، ومديرة التحرير فيها "عائشة ابو النور" ابنه أحد الضباط الاحرار وهو "عبد المحسن ابو النور"،وكانت درويشة فى حب الثوار؟ وكانت تتدخل بقلمها فتمحو آى لغو عن الضباط الاحرار،وقد محت ماكتبته بأن السادات كان بالحرس الحديدى للملك فاروق؟! وقالت لى (سلمى شلاش) الروائية السورية التى كانت مشاركة بالمال والكتابة فى المجلة عن الكتب التى عرضتها وكتبت عنها : (برشة.. انت معجبانى فى "الكتابة على الكتابة"..استاذ أشرف) ؟! ولم أفهم تماما حتى جأت بدايات التسعينات وافهمنى إياها أنيس منصور فى ندوة له بمعرض الكتاب،قال فيها(النقد الأدبى نوع من الكتابة على الكتابة ،فلو لم يوجد النص الأدبى ماوجد النقد الأدبى.فالنقد الأدبى كتب عن نجيب محفوظ فرفعه فى الثلاثية لسابع سماء،وهبط ب لحد الكفر فى اولاد حارتنا.ولكن يبقى النص الأدبى

سابق ومهيمن على النقد الذى هو تالياً عليه ومستمدا منه. فالناقد كالنحلة لايفرز ولا يبدع إلا على اعمال الآخرين.) وقال أنيس فى ندوته أيضا(فى الصحافة نمارس الكتابة على الكتابة طول الوقت وذلك عند عرض وتلخيص الكتب فى الصفحات الثقافية،فهناك كتب غالية جدا وهناك كتب طويلة للغاية،وهناك كتب سمع عنها الناس وتشوقوا لها كألف ليلة وليلة والأغانى للأصفهانى.وبالتالى على الصحافة أن تعرض لها وتسهل للقارىء الثقافة والتسلية معا) ثم قال الكتابة عن الكتابة أكثر واطول من الكتابة الأصلية فعن كتاب"فى الشعر الجاهلى– لطه حسين" كتب 17 كتاب ضده ومعه،وعن مسرحية "زيارة السيدة العجوز" كتبت الأف المقالات فى النقد وعلم النفس كان منها 14 مقالة لى... ورفعت يدى ليس بسؤال ولكن أن اتصور معه محبا. ومعجبا،وولهانا، وقال: ارجوك.. وتصورنا وتعارفنا ولم افارقه أو افارق كتبه.

وفحأة تعددت الفضائح الأدبية على طول العصور والنصوص،من العرض والتلخيص للإستيلاء !!وبدلامن نقد العمل يتم سرقة العمل؟ ومن الترجمة للعمل لنسبة العمل للمترجم – وقد ذهبت لصالون وسيم السيسى الثقافى وقال جهارا نهارا أن أيس منصور ترجم كتابي "الذين هبطوا من السماء" و"الذين عادوا للسماء " وهما لكاتب المانى ونسبهما لنفسه آى جعل نفسه المؤلف وليس المترجم!

وكان أكثرها إثارة حينها تلك المقارنة التي عقدها "رشدى صالح" بين كتاب "حمار الحكيم" و" أنا وحماري " للإسباني خوان رامون خيمينيث وتدور رواية خيمينيث في صورة رواية شعرية حول الراوي وحماره، وهما يجوبان أنحاء قرية موغير مسقط رأس المؤلف،متمتعين بجمال الطبيعة وتعاقب الفصول،يراقبان معاً البشر والحجر والغدران والمروج والأشجار وبقية الحيوانات،وكل شيء يصادفهما في طريقهما وهما يتسكعان معاً،أو يؤديان مهمة ما ، وتدور رواية الحكيم التي ظهرت بعد 26 عاماً من الرواية

الإسبانية،وتحديداً في العام 1940 في نفس الفلك تقريباً.فالأقدار تسوقه إلى شراء حمار صغير وجده في يد رجل قروي، بينما كان ذاهباً لحانوت الحلاق، وأيضاً تسوقه الأحداث إلى الذهاب بالحمار إلى إحدى القرى، ليبدأ في وصف الريف المصري آنذاك، وما به من أكوام السماد والقذارة والكلاب النابحة وأسراب الصبية من صغار الفلاحين في أطمارهم وذبابهم ..

ثم يأتى فتحى فضل ليتهم صنع اللة إبراهيم بسرقة روايته الزنزانة 1993 فى روايته شرف1994؟! ويشمل الإتهام جمال الغيطاني الذي يشير عصام زكريا في تحقيقه الصحفي إلى تأثره بأدب ابن إياس، خصوصاً في روايته "الزيني بركات" المسؤولة عن حجزه مقعداً له بين كبار الأدباءلكن لم يتوقف الأمر في حالة الغيطاني على الاقتباس، إذ يضيف زكريا: "إلا أن أحداً لم يكن يتصوّر أن الغيطاني قام بنقل صفحات كاملة بالنص من إبن إياس– بالإضافة إلى اقتباسه للقصة والشخصيات والأسلوب واللغة."ويتابع عصام زكريا موضحاً:"يبدو أن الغيطاني أحب محيي الدين إبن عربي بنفس القدر، فقد "استظهر" صفحات كاملة من أدبه الصوفي في ثلاثيته الضخمة "التجليات."وأتهم البعض الغيطاني أيضاً بالنقل عن الأدب الغربي "المترجم" كما فعل في "هاتف المغيب" المأخوذة فكرة وفكراً وروحاً عن "مدن لا مرئية" للأديب الإيطالي الراحل إيتالو كالفينو.كما راح عبد الرحمن شكري يتهم صاحبه المازني بترجمة قصائد الشعر الإنكليزي ونسبتها لنفسه؟! إذ يقول في مقدمة ديوانه "الجزء الخامس": "لقد لفتني أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها "الشاعر المحتضر" واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أودني للشاعر شيلي الإنكليزي قاصداً الشاعر بيرسي بيش شيلي أحد أفضل الشعراء الغنائيين كما لفت إلى أن قصيدة المازني "قبر الشعر"،"منقولة عن هيني الشاعر الألماني" قاصداً الشاعر الشهير هاينرش هاينه وهو واحد من أهم الشعراء الألمان الرومانسيين.غير مكتف بالإشارة إلى هاتين القصيدتين، بل أكد أن قصيدته "فتى في سباق الموت" هي أيضا للإنكليزي توماس هود .وفى القرن الماضى

بلغت الخصومة بين مصطفى صادق الرافعى وعباس العقاد حد اتهام الأول للأخير بالسرقة قائلاً: أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور فيسرق ويدعى الملكية، وهو يعترف بأن الأسماء ليست على مسمياتها.

وقال د.عبد الرحمن عثمان لا سرقة ولا إستيلاء ولا يحزنون إنه (الأحتذاء والمحاكاة فى الأدب والابداع) وتصدت د. هدى وصفى من مملكتها فى مسرح الهناجر لكل الاتهامات بقولها أنه "التناص" علم وفن النقد الذى لا تعرفونه والذى تبلور مع البنيوية،أنه التَّنَاصُّ،أو التعالق النصي(**Intertextuality**),وهو مصطلح نقدي فى القرن العشرين يقصد به وجود تشابه بين نص وآخر أو بين عدة نصوص وهو مصطلح صاغته (جوليا كريستيفا)للإشارة إلى العلاقات المتبادلة بين نص معين ونصوص أخرى وهو بذلك مصطلح أريد به تقاطع النصوص وتداخلها ثم الحوار والتفاعل فيما بينها.ولقدأصبح مفهوم (التناص)واضحا فهو حسب البلغارية كريستيفا (تداخل النصوص في النص الجديد أو التعالق النصي) وتوضح د.هدى أن التناص كمصطلح فرنسي الأصل ظهر في مرحلة (ما بعد البنيوية) ليشير إلى استحالة وجود نص نقي وأن كل نص صدى لنص آخر إلى ما لا نهاية. وكل نص أدبي يجب أن يُقرَأ في ضوء سياقاته التاريخية والثقافية. فلا صنع الله ابراهيم سرق رواية الزنزانة من فتحى فضل وانما تناص معه فى موضوع السجن والمساجين والمحاكمة وبخاصة أن صنع الله كان اصغر سجين شيوعى فى مصر ولا نجيب محفوظ كفر وإنما تناصت روايته بقصص الأنبياء فى الكتب المقدسة

وتوج التناص بأكليل الزهور حين فازت فى سنة **2009** رواية صغيرة "نوفيلا" بجائزة نجيب محفوظ. وقالت لجنة التحكيم :" وراق الحب" رواية ذكية ،ولا بد من الإشارة إلى براعة خليل صويلح في القص، فهو يجيد فن الاستطراد والتناص دون أن يفقد بوصلة السرد"

وتنفذ رواية وراق الحب إلى ماهية فعل الكتابة ذاته من خلال تضمينها وتوظيفها لجمع من النصوص التي تتواصل وتتعارض معها في نفس الوقت مؤكدة بذلك أن الكتابة دائما ما تكون كتابة علي كتابة فكل كتابة جديدة بمثابة تكرار وإعادة وإضافة خلاقة لعملية الكتابة الأبدية.. يستكمل خليل صويلح دلالاته وإيحاءاته من الروايات التي اشتهرت بتناولها لموضوع الحب والجسد. يبدع في تهجين سرده وحكاياته بما يقتبسه جاعلاً روايته، التي تحكي عن الحب وتصنع منه مفارقة ساخرة، لعبة تناصية ذكية تلقي الضوء على موضوع الحب والنوع الروائي وفعل الكتابة فالرواية – فذة «لأنها مصنوعة أو قائمة في معظم الأحيان على أعمال الآخرين، فالقارئ يجد دائماً وعداً من قبل الراوي أنه سوف يبدأ روايته وينتظر ليجد رواية مليئة بالبدايات التي لم تكتمل، ورغم ذلك لا توجد لحظة ملل الراوي "الورّاق". يبدأ نصّه باعتراف صريح بأنه يكتب رواية "تختزل" الروايات التي قرأها طوال ثلاثين سنة، فهي كتبت: "لإشاعة الحبور في روحي المضطربة". ويمرّ على معلّمي الكتابة والحكي والرواية والسرد عبر العصور، منتحلاً من هذا ومقتبساً من ذاك ومقتطفاً من الثالث، متكئًا على الرابع...ويقول دون أن يطرف له جفن إنّه كان على وشك انتحال 130 صفحة من رواية بريد بابلو نيرودا، واكتفي بثلاث صفحات! ولا يتهيّب رباً مثل أوفيد ينام بأمان الأرباب في عليائه، فيسلبه صفحتين دون أن يوقظه. ويعرّج على يوسا فيذكر أنّه مرشح لرئاسة بلاده، ويسلبه صفحتين من مديح الخالة.. وهو– الراوي– يعلن أنّه متأثّر بهنري ميللر، وهذا سيكون ماثلاً بالفعل من بداية النص إلى نهايته، بسرده المميّز بالتهكّم والعمق والمباغتات المبهرة، والصور الجنسية الحارقة. لكن"الورّاق" لا يكترث،ويعلن مطمئناً انه اعتمد في عمله على قواعد الانتحال الخمس التي وضعها برناردو اتشاغا متجاهلاً أن نصه قطع فسيفساء مرصوفة بجوار بعضها البعض، وتمضي روايته ذات الـ"112" صفحة على هذا النحو من القصّ واللصق لمقاطع وصفحات طويلة كاملة من روايات الآخرين وكتاباتهم، مكتفياً بالتلمّظ والتشهّي،

دون أن يقدّم شيئاً يذكر من ابتكاره، سوى وصف مقتضب – في الفراغات بين الصفحات– لنساء يطاردهن عبر شارع "كونديرا" الضيق، وتنتهي الرواية ببساطة شديدة باندساس الراوي في سرير الطالبة الجامعية، التي يوهم القارئ بأنها غريرة بلا تجربة، ثم يوهمه بأن العكس صحيح أيضاً، ثم يمحوها مقرّاً بأنها كانت محض انتحال، مع ذلك يرسلها إلى ضيعتها لينفرد بزميلتها في السكن، التي أدخلها إلى عمله مصادفة، ونسي أن ينكحها داخل السياق، وباستدراك هذه الهفوة،تكتمل أحداث الرواية،وتنتهي كتابتها بوضع العنوان المفارق ظاهرياً لمضمون العمل "ورّاق الحبّ".والنص يبدو مرشداً سلساً في الفنّ الرّوائيّ، فهو يحوك روايته بأدوات بسيطة، ثم يستريح، بعد أن ترك لنا خبرته الفردية الخاصة، بسرد قد يعترض عليه الكثيرون، لكن قراءة متأنية، تثبت لنا مرةً أخرى، أن قانون الرواية يخترق كل القوانين، كما يقول ماركيز .

ولكن المحكمة الاقتصادية لم تأخذ بذلك فهى محكمة قانون وليست محكمة نقد أدبى وهى تحافظ على الملكية الفكرية،وفى ذلك نصوص وسوابق وجلسات وتعرف السرقة الأدبية بالغش ألاكاديمي وتعرض السرقة الأدبية فاعلها إلى العقوبات مثل الغرامات و الحرمان وقد تصل إلى الفصل من الجامعة او من مهنة ثقافية أو صحفية يزاولها فالسرقة الأدبية ليست جريمة بحد ذاتها،ولكنها تعتبر انتهاكا لحقوق النشر والتأليف.وظهرت رسائل ماجستير ودكتوراة تقول الفرق(بين التناص بالنص والسرقة من النص) والمحكمة فى قانونها اشارت لذلك فعرفت السرقات الفكرية بأنها اغتصاب النتاج العقلي أيا كان نوعه " أدبيا . علميا . عاما " ونشره دون الإشارة للمصدر الأصلي وتتعدد أنواعها بتعدد المجالات الإبداعية كالمجال الأدبي من شعر ونثر والمجال العلمى كالبحوث المنهجية والمجال العام وهو الكتابة فيما يخص مختلف القضايا كما تتفرع فى درجة خطورتها إلى أنواع فهناك السرقة الفكرية التامة وهى قيام السارق بنقل الإنتاج الفكرى كاملا ونسبته لنفسه

وهناك السرقة الجزئية وهى الاستيلاء على جزء من مؤلف ما والاستعانة به لتكملة مؤلف آخر والتغطية على صاحب النص الأصلي.وهناك السرقة الفكرية غير المباشرة وهى التى تعنى الاستيلاء على الفكرة دون النص أو عن النتيجة العلمية دون صلب البحث وهى لا تقل بأى حال من الأحوال عن السرقة الفكرية المباشرة أو الصريحة من حيث خطورتها على الأمانة.

ووقفت د. ليلي عنان أستاذ الحضارة الفرنسية بجامعة القاهرة ضد الروائى صنع الله ابراهيم بالمحكمة تقول سرقنى! وسألوها كيف؟ قالت وضع 10 أسطر من كتابى (الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير) فى روايته "القانون الفرنسى" آى سرفة؟ والرواية نفسها تعدت الثلثمائة صفحة فما أثر 10 اسطر فيها! قالت القانون يشترط الأذن قبل النقل أو الاقتباس،وقال المحامون لها انظرى للرواية لقد كتب مايفيد الاقتباس فى الهوامش.والأذن عند الفقة هو الإشارة للأصل فى الهوامش وتقول القانون اشترط أذنا صحيحا بموافقةمنى وليس على سبيل المجاز فى الإشارة للهامش.اريد تعويض مليون جنيه!

وما زال اغلب كُتاب وشعراء العرب،على جدرانهم الزرقاء ينددون بأعمال اقرانهم ويصفونها مباشرة بالسرقة الادبية او بتلطيف كلمة "السرقة" وتعويضها بالتقليد او النسخ او الاقتباس او مسميات اخرى مختلفة..

أشرف توفيق

كذبة صادقة وحقيقة كاذبة

ليس غريبا أن يؤرخ البعض للقبلات،والآهات فالتاريخ ليس في مصر وحدها ولكن في الوطن العربي،والعالم الخارجي والدول المتقدمة والدول النامية.فيه هذاالاهتمام والعناية بالقبلات،والجنس،ومشاهدالبرنو والانشغال بالمشاهيروفضائحهم ونقائصهم وغرف نومهم فعل ذلك الأصبهانى قديما بكتابه "الأغانى" وهو كتاب فى الفسق والعشق ولكنه فى جو عربى إسلامى شرقى صرف؟!

والكتاب يبدأ بمسابقة يجريها هارون الرشيدى فى ليلة أرق لازمته لأختيار أفضل مائة أغنية فى زمانه.ويسجل الكتاب أن المرأة فى ذلك الوقت كانت حرة تماما فهى تطارد الشعراء وهى تبعث بمن يأتى بهم،وكثير ماوجدنا زوجات الخلفاء يبعثن للشعراء المشاهير ويقدمن لهم الشراب،ويرقص لهم الجوارى فالشعر فى الكتاب قضاء وقدر،ويكتب عن (عمر بن أبى ربيعة) شاعر فحل ولكنه فاجر،فهو يذهب للكعبة ويطوف و يعاكس النساء اثناء الطواف؟

فالأصفانى لم يرِ فى الإمبرطورية الإسلامية العباسية إلا العرى والفسق والعشق! فهو رجل أبن حظ لم يكتب غير هذا الكتاب ولم يشغله إلا مجالس الأنس والطرب وهو يرى الدنيا عارية لاهية عند فرسان الصحراءوعند الخلفاء، والندامى والشعراء،والجوارى،والمغنيات،والصعاليق والشواذ، والظرفاء، ومثيرى الفتن وقاطعى الطريق لقد القى بالجميع عراه لأمواج التاريخ. فكان التاريخ عاريا حتى اطراف اصابعه.فحمل من الأسى بقدر ماحمل من المتعة،كأن نوادره وأفكاره مرثية لشمسنا العربية الإسلامية الغاربة. وحدث ذلك مرة أخرى فى (ألف ليلة وليلة) ففيها ليالى هارون الرشيدى ايضا وفيها الجوارى وبغداد والبصرة،وسمى الغرب (ألف ليلة وليلة) ب "الليالى" لقد اختار كاتب"الليالى" احلا ما فى مملكة شهريار (الجنس) فلا كلام عن كيف حكم؟ ولاماهو الموقف الاقتصادى وقتها!! وعلى طريقة الف ليلة وليلة كتب التاريخ جنسا،ونساء وعفاريت وسحرا وجن!! ففى الحقيقة نحن لا نمل من

التاريخ المكتوب بقلم الروج تاريخ بشطة النساء وخلطة الفن.وعرى غرف النوم.فهو تاريخ غير مضر وإذا أضر فهو يضر اصحابة فهو لا يشبه التاريخ حين نكتبه بالقنبلة والكلاشنكوف فتاريخ الحرب فجر الدنيا وقتل الشعوب من حرب البسوس حتى حرب السويس ومن الحرب العالمية الأولى حتى حرب الخليج.

فمن المؤكد أن تاريخ ايام مارلين مونرو أخف على القلب من تاريخ هتلر. وتاريخ غرفة النوم الذ من تاريخ المعارك الحربية فالقبلات اولى من الدماء، والآهات ليس لها رعب الدموع والحى أولى من الميت. ولذا فبركوبيوس العظيم كتب كتابا طويلا فى 600 صفحة عن تيودورا الغانية العارية اسمه (التاريخ السرى– حياة جستنيان وتيودورا) وايفلين فار كتبت عن فجور مارى انطوانيت كتابها(أحبك بجنون – مارى انطوانيت الرسائل السرية).وطاهر البهى له كتاب حقق مبيعات عن الفنانون والمخابرات (علاقات مثيرة ونهايات غامضة)وهو يقص عن مخابرات الثورة،وصلاح نصر،وكيف نام الثوارمع الفجار فى حجرة واحدة ؟! ولعادل حمودة كتاب "حكومات غرف النوم" عن علاقة السلطة بالجميلات فالجميلات لا يقفن على الابواب ولا فى الطوابير وانما تفتح لهن الأبواب والأحضان.وحينما صادروا الكتاب قال لهم حمودة لماذا المصادرة؟ أنى اقول للأطفال لا تفعلوا مثل هولاء الكبار؟! اقول للصغار والكبار :كخ.. عيب...

وكلها كتب عارية بطعم التاريخ،أو تاريخيه على طريقة شهرزاد فى " الف ليلة وليلة". وهناك قول شائع هو:(إن التاريخ له آذان ولكن ليس له عيون)آى أننا (نسمع روايات عما جرى منقولة لنا بالسمع)و(معظمها مكتوبة بأثر رجعي يخلط الوهم بالحقيقة)إلى درجة الخرافة أو الأسطورة أحيانا وهذا سرعذاب المؤرخين,وحتى لو كانت هناك وثائق مكتوبة فهم يقفون حائرين أمامها لا يعرفون بالضبط مدى أصالتها وظروفها ومدى تعبيرها عما جرى فمثلا اكتشف فولتير(أن نابليون سأل جنوده ماذا

قال كليبر عند اغتياله؟ فقال الجنود لم يقل شيىء فقال نابليون اكتبوا : قال عاش نابليون ثلاث مرات ثم سقط فى دمه) وامام ذلك يتحول التاريخ إلى حكايات تشبه ألف ليلة وليلة والاغانى للاصفهانى. كذبة حقيقية وحقيقة كاذبة.

والغريب أنه فى حياة نابليون مايجعنا نعتقد أت التاريخ لا تصنعه الأفكار العظيمة ولا المعارك الجسيمة دائما.وإنما تصنعه مطالب الزوجات أحيانا فقد دفعت جوزفين زوجها نابليون ليقود حملة فرنسا على مصر لتغير شقتها من شارع الشانتين لقصر شهير حلمت به هو قصر"لامالميزن" فالحملة بالنسبة لجوزفين عقد عمل لزوجها نابليون خارج فرنسا يوفر لها ثمن القصر،وكان نفس الحلم حلم "الشقة – أو الشقق الجديدة" عدوى فرنسية نشرت عدوتها فى مصر اثناء وبعد الحملة الفرنسية وللأن،وهو مادفع الأف الزوجات فى مصر لدفع الأزواج للعمل بالسعودية والخليخ وخارج البلاد لحلم احلى من الزواج نفسه اسمه الشقة الشيك؟!

وفى مصر هاج وماج العقاد في الصحافة على زواج مصطفى النحاس باشا من السيدة زينب الوكيل، واندهش الناس من تدخل العقاد فيما لا يعنيه، ولكن العقاد أعلن أنه كمواطن يعنيه جداً هذا الأمر، فكل ما يتعلق برئيس الوزراء يعني جميع المواطنين؛لأنهم يريدون أن يطمئنوا على سلامة حكم وأحكام الرجل الذي يحكمهم، فإذا تزوج النحاس باشا فتاة صغيرة جميلة فإنها هي التي سوف تحكمه وتحكمهم!! ولذلك يجب أن يعترض الناس جميعاً على أن تحكمهم فتاة صغيرة،وليس رئيس الوزراء وبطريقة العبقريات التى كتبها العقاد – وجد العقاد مفتاح ضعف النحاس باشا وليس عبقريته وإذا به مفتاح غرفة نومه!! وحكمت مصر بالفعل فتاة صغيرة بيضاء مدملكة هى السيدة (زينب الوكيل)،كتب عنها مكرم عبيد "الكتاب الأسود"؟! ويتعين أن نشير إلى تأثير عامل السن في تصرفات النحاس الذي سمح بتدخل زوجته في شؤون البلاد وتفصيل القوانين وإصدار الاستثناءات لخدمة أهلها وأقربائها وحتى

خدمها والعاملين بأمرها، وخاصة في مجال الإعفاءات الضريبية وفي تقارير عن زيارة النحاس وحرمه للندن بعد زواجهما،يحكي حسن نشأت سفير مصر في لندن وقتها عن تصرفات غير منطقية وغير معقولة لكنه يمكن فهمها من الناحية الإنسانية. فهو يذكر كيف وقفوا ربع ساعة على رصيف محطة القطار فى انتظار زينب هانم التى كانت تصلح من مكياجها ومظهرها وتنسق قبعتها. ومن المثير للاهتمام أيضاً أن هذه العروس تأخذ مرافقة لها فى السفر ست ريفية اسمها أم السعد، وتجعلها وصيفة لها،وليس أدل على نفوذ زينب الوكيل من تصريح نجيب الهلالي باشا حينما فوتح بدخول وزارة النحاس السابعة والأخيرة، فقال:(أنا غير مطمئن، ولذلك سأنتظر..وإذا ثبت لي أن "الست" لا تتدخل فسأشترك في الوزارة)

ودخلت عبارة في مجال الكتابة عن المشاهير: الشخصية العامة والشخصية العادية،فالشخصية العامة ملك الناس، حياتها الخاصة يجوز الخوض فيها الاعتراض عليها لأن ذلك يؤثر مباشرة على الناس أنه يحكمهم،ويتحكم فيهم ويلعب فى الارض والعرض وهو مثلهم وقدوتهم فالسؤال:كيف تكون الكلمة فضيحة إذا كانت كل الوقائع صحيحة؟! فلماذا يريد الحكام والملوك والرؤساء أن يعرفوا كل شيء عن مواطنيهم: الاسم ومحل الميلاد، ونوع الاعتقاد والتنظيم وعدد الزوجات، وعدد مرات تناول الشاي،وعدد الكتب في عقولهم والفلوس فى جيبوبهم ولا يكون لرجل الشارع نفس الحق،كيف جأوا للحكم؟ وماهى شرعيتهم؟ وماذا يفعلون بميزانية الدولة؟ولماذا يفرضوا الضرائب التى تجعلنا فقراء؟ ولماذا سلم اولويات الحكومة بعيد جدا عما يريد الشعب؟ ما بيننا جميعاً أن تكون الوقائع صحيحة؟! فلا نكذب عليكم ولا يلفق لنا إتهام!

إذن الكتابة عن تاريخ الفضائح أوالقبلات والآهات ليست سقطة ولا سفالة ولا نذالة ولا نشر غسيل قذر ولا كتابة صفراء أو حمراء كما ادعت الاستاذة لوسى

يعقوب رحمها الله. فالكتابة هنا ليست جنس ،إنها نوع من أنواع: نسيان الحرب والقتل والعنف، نسيان القهر بالضحك، فإذا كان لابد من الفساد،فلقد اخترت قصص الفساد الناعم اخترت التاريخ الذى تصنعه القبلة لا القنبلة،الحب لا الحرب قمصان النوم لا قنابل النابلم.فما أكتب عنه: نوع من الديمقراطية السياسية، البوح العام، الفضفضة الشعبية، التنفيس. وإذا كان المثل يقول "تجوع الحرة ولا تتاجر بثدييها" وهي عبارة جنسية فجة لها معنى أخلاقي،فإن التعرض للعرى فى التاريخ بشكل من الأشكال له معنى أخلاقي أيضاً. وليس معنى تاريخى فقط.

ولقد سئلت الكاتبة "كيتي كيلي" المتخصصة في مجال الكتابة عن فضائح التاريخ ولها أكثر من كتاب حقق أرباحاً ومبيعات خيالية منها :"فرانك سيناترا – حياته" و"نانسي ريجان.. فضيحة في البيت الأبيض" لماذا تكتب هذا النوع من الكتابة؟!
فقالت "الناس تريد ذلك، وأنا أحقق لهم ما يريدون؟! لقد انتهى عصر السير والتراجم وصرنا أمام بشر لا تجد في حياتهم إلا الفضائح والعري". فالتاريخ اللذيذ والأصدق هو تاريخ متلبس بالمايوة ..

النسوية التى فجرت الحرملك

كانت النسوية ملح على جرح ، جرح المرأة. نعم فجرت النسوية عزلة النساء وخصوصية النساء فلقد فجرت الحرملك وفضحت كل شيء ؟!

تعد مسألة حقوق المرأة أحد القضايا الرئيسية الهامة تحت مظلة حقوق الإنسان وعلى مدى سنوات طويلة ناضلت النساء للمناداة بحقوقهن ونبذ التمييز ضدهن،وتعددت الحركات والأيديولوجيات التي هتفت لحقوق المراة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي هذا السياق نشأت المدرسة النسوية في الفكر واستمرت على مدار ثلاثة أجيال تعمل على تحقيق هذا الهدف،وظهرت العديد من المدارس الفكرية الفرعية التي حاولت تنقيح النسوية والتعديل عليها بما يتناسب مع المراحل الزمنية والأطر الثقافية والجغرافية،فنجد أن الفكر النسوي خضع في كل مرحلة لمزيد من التحديث، ولا يزال– إلى وقتنا الحاضر– يشهد المزيد من التطوير المستمر،مع تغير مساحات الحركة للفكر النسوي بالتزامن مع التطور التكنلوجي الحديث،وظهور ما اعتبره العديد من النشطاء موجة رابعة للنسوية "النسوية الالكترونية" وبالتالي فقد اختلفت الحركات المنادية بحقوق المرأة حول نطاق وطبيعة هذه الحقوق باختلاف الإطار الزمني والثقافي والجغرافي.

"النسوية" على ذلك تكون هى المقابل العربيّ للمصطلح الانجليزيّ **Feminism** ويشير إلى الفكر الّذي يعتقد أنّ مكانة المرأة أدنى من تلك الّتي يتمتّع بها الرّجل في المجتمعات الّتي تضع كلا الجانبين ضمن تصنيفات اقتصاديّة أو ثقافيّة مختلفة) فالمرأة في نظر النّسويين لا تعامل بقدم المساواة.ولا تحصل على حقوقها في مجتمعاتٍ تنظّم شؤونها وتحدّد أولويّاتها وفق رؤية الرّجل واهتماماته،لا لشيئ سوى أنّها امرأة وبالتالى تصبح المرأة كلّ شيئ لا يميّز الرّجل.ويمكن القول إن الكلام على نسويةٍ إسلاميَّةٍ يعود إلى حركات المطالبة بحقوق المرأة في العالمين العربي والإسلامي فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ففي التأريخ للحركة النِّسوية العربيَّة فالبدايات تعود إلى عام **1909**عندما نشرت ملك حفني ناصيف مجموعةَ مقالاتٍ عدَّها كثيرون علاماتٍ فارقةً في تاريخ المرأة تحت عنوان:"نسائيات" على صفحات الجريدة التَّابعة لحزب الأمَّة الوطني وفي عام **1923**استُخدم مصطلح النَّسوية بالحزب النِّسائي المصري ومن

يرجع إلى الكتابات التي أرّخت لهذه الحركة يتبيَّن جهود روَّادٍ : منهم قاسم أمين وسعد زغلول ورائدات:منهن هدى شعراوي وأسست فاطمة نعمت راشد الحزب النسائي المصري في 1942،كما كانت درية شفيق قد بدأت في تحرير مجلة "المرأة الجديدة" عام 1936 ثم أسست مجلة بنت النيل في 1945 ثم اتحاد بنت النيل عام 1948وتكرر مشهد المسيرات النسائية بعدما أصبح هناك إدراك للقوة الاحتجاجية الجماعية للنساء مثل المسيرة التي قادتها درية شفيق برفقة 1500 سيدة والتي اقتحمت البرلمان المصري في فبراير عام 1951 للمطالبة بحقوق النساء السياسية، وكذلك المسيرة النسائية الكبرى التي نظمت في نوفمبر 1951 ل "دعم المقاومة الشعبية في منطقة القناة" وشاركت فيها العديد من النساء والنسويات آنذاك (مثل درية شفيق وسيزا النبراوي وانجي أفلاطون)

وتطورَّت النِّسوية فى العالم كله من حركةٍ سياسيّةٍ تنادي بالمساواة بين المرأة والرَّجل في الحقوق إلى فلسفة لها رؤيتها فى الوجود والمعرفة والقيم والمجتمع وهذا ما جعل روجيه غارودي يرى أنَّها (ليست حكراً على النساء وحدهن،بل هي فلسفة للجنسين معاً) أي لكلِّ من يؤمن بمبادىء هذه الفلسفة ويناضل من أجلها فكراً وقولاً وعملاً.فالنِّسوية بدأت حركةً سياسيَّةً اجتماعيَّةً ترى أنَّ النّظام المجتمعي السائد نظامٌ أبويٌّ – ذكوريٌّ، يتخذ الرَّجل فيه دور"المركز"والمرأة فيه لها الدَّور الثانوي الآخر المساعد فدعت إلى مساواة الجنسين سياسيّاً واقتصادياً واجتماعياً ونيل المرأة الحقوق التي يتمتع بها الرَّجل.ثم تطوَّرت هذه الحركة السِّياسيَّة إلى حركةٍ عقديَّةٍ لها رؤاها إلى الوجود وقضاياه؛وهي رؤى تنطلق من التّجربة النِّسوية الخاصَّة البيولوجيَّة والمجتمعيَّة: الأمومة على سبيل المثال،وهي بوصفها هذا حركةٌ عقديَّةٌ للرِّجال والنِّساء معاً فالحركة النِّسوية الأولى طالبت، في القرن التِّاسع عشر،بالمساواة الاجتماعية والقانونيّة بين الرَّجل والمرأة،ولم تكن تُسمَّى، آنذاك،بالحركة النِّسوية وإنَّما كانت حركةً مطلبيَّةً.اما الحركة النِّسوية الثانية استمدَّت أفكارها من كتابين:كتاب كيت ميليت

عن"السِّياسات الجنسيَّة" وكتاب فردريك أنغلز (أصل العائلة والملكية الخاصّة) وجاء فيهما أن النِّظام الأبوي (البطريركي) قام على سيطرة الرَّجل على الأسرة واضطهاده للمرأة وأنَّ هذا النِّظام ليس النِّظام الوحيد الذي عرفه التاريخ الإنساني،فقد سبقه النِّظام الأمومي الذي كانت فيه الملكيّة جماعيّةً والنّسب يعود إلى الأم ثم حدث التطوُّر الخطير،فتمَّ الانتقال إلى النِّظام الأبوي؛حيث الملكيَّة خاصَّةٌ والنَّسب يعود إلى الأب،وفيه تمَّت الهزيمة التاريخيَّة للنّساء،إذ ظهر شكل العائلة الأبويّة حيث الزّواج الآحادي،وهوآحاديٌّ للمرأة فيكون دور المرأة زوجةً تنجب الأبناء وتعمل في المنزل في المدينة، أو في المنزل والحقل في الرّيف وفُرضت عليها العفّة كي يضمن الرّجل أنَّ من تلدهم هم أولاده الذين يرثونه.حدث هذا نتيجة تغيُّر موقع كلٍّ من الرَّجل والمرأة في البنية المجتمعية ودور كل منهما في هذه البنية، فالرَّجل هو الأقوى فسيطر وغدت سيطرته سياسة حكمت جميع المجتمعات البشريَّة.وقد رأت الحركة النِّسويّة أنَ هذا النِّظام الذي تشكّل نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيّ يمكن أن يتغيَّر نتيجة تطوُّرٍ مجتمعيٍّ آخرَ، وهي تعمل من أجل حصول هذا التطوُّر الذي يغيّر النظام الأبوي إلى نظام آخر يتمُّ فيه إلغاء الأسرة الأبوية التي تقوم على ركيزةٍ مادِّيةٍ هي عدم المساواة بين الزَّوج والزَّوجة فالزَّوج يقوم بالعمل المنتج والزوجة تقوم بالأعمال المنزلية المجانية وهنا ظهرت عدة تنظيرات للنسوية (فالحركة النِّسوية الماركسيَّة) ترى أن الرأسمالية والملكية الخاصَّة هما مما أدَّى إلى هزيمة النِّساء وهيمنة الرجال،أما (الحركة النِّسوية الليبرالية) فطالبت بأن يوفِّر النِّظام الرأسمالي الفرص والحقوق نفسها للنساء،والرِّجال بطريق سنّ القوانين القاضية بذلك وتشكيل القوى الضّاغطة من أجل نيل المرأة حقوقها.)وقد دعت فرجينيا وولف (1882 – 1941)النِّساء إلى العمل من أجل تأسيس هويّة خاصَّة بهنّ،وتحرير قدراتهن الإبداعيَّة والتعبير عن تجاربهنّ الشخصيَّة الخاصَّة.ثم ظهر مايعرف بالحركة النسوية الجديدة،وهي ترى أن العالم يعرف«المقهوراتٍ وهنَّ المرأة وشعوب العالم الثَّالث» ومن يقهرهن هو الرَّجل الأبيض،ولهذا لا بدّ من السَّعي للتخلّص من

سلطة هذا الرجل الظالم. وتطوَّرت رؤى هذه الحركة، فغدت تدعو إلى مناهضة كلِّ تمييزٍ واضطهادٍ،على أيِّ أساسٍ:عرقيٍّ أوطبقيٍّ أوجنسيٍّ.،

ويمكن تصنيف النِّسوية العربيَّة الإسلاميَّة كما هي عليه في الأقطار العربية والإسلاميَّة، في ثلاثة تيَّارات:

1–نسويّةٌ إسلامية مستغربةٌ (تنسب للغرب): وهي حركةٌ نسويَّةٌ تتَّبع النِّسويَّة الغربيَّة،وترتبط بمبادئها ورؤاها،وقد وُصفت هذه الحركة بالتبعيَّة لهذا التيَّار أو ذاك من تيَّارات النِّسوية الغربيَّة. تقول «زهراء علي» في هذا الشَّأن:إنّ النِّسوية الغربيّة«ككل الحقائق السِّياسيَّة، عندما تُفهم بطريقةٍ جازمةٍ،دوغمائيةٍ تملك النَّزعة لتصبح أداةً ايديولوجيةً.عرفناها هكذا خلال الفترة الاستعماريَّة عندما كانت النِّسوية تستخدم لتساعد الهدف الاستعماري والسيطرة الغربيَّة على الأراضي الإسلامية ويرى الإسلاميون أن هذا الاتِّجاه « مرفوض وتمس أفكاره الهوية الإسلاميَّة نفسها"

2– نسويَّةٌ إسلامية توفيقيةٌ،وهي حركةٌ نسويةٌ تحاول التّوفيق بين مبادىء النِّسوية الغربيّة والمبادىء الإسلاميَّة ؛وهي تفعل ذلك، كما يبدو، نظراً إلى أنَ أيّ حركةِ مطالبةٍ بحقوق المرأة،في مجتمعٍ إسلامي،لا تسوّغ مطالبها بمبادئ ورؤى إسلاميّة تحكم على نفسها بالإخفاق.وهذه الحركة انتقائيَّةٌ تنتقي من مبادىء النِّسويات الغربيَّة،ومن المبادىء الإسلاميَّة ما تراه مناسباً لها،وتحاول التَّوفيق بين ما تنتقيه، ما شكَّل اتجاهاً تصفه دلال البزري بقولها:«ورثت النِّسوية الإسلاميَّة كلّ مفاعيل اندفاعة النّسوية الغربيّة، لكنّها تنكّرت لها، وقالت:إنه الإسلام.

3– النَّسوية الإسلاميَّة،وهي حركةٌ تعمل على «متابعة قضيَّة حقوق المرأة،عبر تطبيق الشَّرع الإسلامي بشكلٍ كاملٍ وشاملٍ لكافة قضايا المجتمع،بمافيها قضيةالمرأة والناشطات في التيارات الإسلامية يتبَّنين رأياً يؤكِّد تكامل الأدوار بين الرَّجل والمرأة. تحاول هذه الحركة أن تعيد النَّظر في «القراءة الأبويّة – الذكوريَّة» للإسلام التي سمحت باضطهاد النِّساء على ضوء الشِّرع الإسلامي.تقول زينب أنور،المديرة

التنفيذية لجماعة «أخوات في الإسلام»، وهي منظمة ماليزية تعمل من أجل حقوق المرأة في إطار العمل الإسلامي:«في مجتمعاتنا،الرِّجال يمتلكون السلطة وهم يقرّرون ما ينبغي أن يعنيه الإسلام، وكيف يمكننا أن نطيع هذا المفهوم المعيَّن في الإسلام المشكلة تتمثَّل، في رأي هذه الحركة في سيطرة «السُّلطة الذكورية» على فهم النُّصوص الدِّينيَّة وتطبيقها في الواقع،وليس في هذه النُّصوص نفسها.لهذا لا بدَّ من إعادة قراءة هذه النُّصوص يرى النَّاشطون،في هذا التّيار،أنَّ نصوص الدِّين الإسلامي توفَّر الحياة الطَّيبة لكلٍّ من الذكر والأنثى،من دون أيّ تمييزٍ بينهما،وهذه الحياة حقٌّ لمن يعمل صالحاً منهما،وهو مؤمن،فالعمل الصالح،الصَّادر عن المؤمن،هو المعيار.

واوجدت الحركة النسوية نوع من الكتابات عرف بالأدب النسائى/أو النثوى.وتقول د. هدى وصفى وكان يجب أن تكتب هذة النسوية افكارها فى اعمال سردية،فكما يقول أنيس منصور فى كتابه "الأظافر الطويلة" (المرأة تكتب لتقول لا على القيود البالية،ولا لطغيان الرجل،ولا لاستبداد الرجولة ثم يجب أن تقول لا لضعف الأنوثة ! وسمى انيس منصور هذا الاتجاه الأدبي بأدب الأظافر الطويلة – أدب الخربشة ويمكن تقسيم الكتابات العربيّة النّسويّة إلى ثلاثة مراحل وفق ما يرى د. حسين المناصرة،مستعيرًا هذا التّوزيع من(رامان سلدنوجوليا كريستيفا) في حديثهما عن أطوار الكتابة النّسويّة الغربيّة، وهي:

– كتابة المرأة بوعي قلم الذّكورة في عصور ما قبل النّهضة، ومثالها الخنساء، وليلى الأخيليّة ،ورابعة العدويّة وولاّدة بنت المستكفي.

– كتابة الأنثى الباحثة عن التّحرّر والمساواة،ومثاله معظم رائدات النّهضة والكثير من الرّوائيّات والشّاعرات ما بين الحربين العالميّتين الأولى والثّانية ،حيث برزت كتابة المرأة معاناتها الذّاتية ومطالبتها ببعض حقوقها برومانسيّة "مؤدّبة" غير متمرّدة أوثائرة تشبه فيها كتابات الرجال.

– الكتابات النّسويّة العربيّة المحاربة للسّلطة الأبويّة،والّتي لم تبلغ مستوى الكتابات الغربيّة في التّطرّف،ومثالها كتابات كوليت خوري، ونوال السّعداوي، وغادة السّمان،وسحر خليفة، ،وفاطمة المرنيسى.

ويرى"جورج طرابيشي" أنَّ العالم هو المركز في رواية الرَّجل والذات هي المركز في رواية المرأة،وترى نوال السعداوي أنَّ أدب المرأة يتميَّز بأن مخيلته أكثر حيويَّةً وخصوبةً وحركيةً مما هو عليه أدب الرجل،ويقول عفيف فراج: تتحرك المرأة في عالم الرَّجل،إذ تتمرَّد ضدَّه ثم تعود إليه وينتقد الكاتبة التي تطلب الحرية الجنسيَّة لبطلتها من دون حسبان الواقع الاجتماعي وقد تكون رواية «أنا أحيا» لليلى بعلبكي التي تعدُّ، من منظور بعض النَّقاد من بواكير الأدب النِسوي، خير مثالٍ على ما يذهب إليه فرَّاج فشخصيَّتها الرئيسيَّة تثور ضدَّ الرَّجل،لكنَّها تعود إليه، وتجد أنَّ الإنجاب هو ما يحقِّق ذاتها،ويعطي حياتها الجدوى،وهذه التجربة، كما هو واضح تجربةٌ نسويةٌ حياتيةٌ خاصَّةٌ وصادقةٌ،وليست تجربةً مفتعلةً ومن التّسميات الطّريفة التي تشير إلى خصائص هذا الأدب نذكر ما ظهر بالسويد تحت تسمية«أدب الملائكة والسَّكاكين»وسمّاه «إحسان عبد القدُّوس»«أدب الرُّوح والمانكير»إذ رأى فيه أدباً صوتيّاً وشكليًّا. وكما يقول أشرف توفيق فى كتابه "اعترافات نساء أديبات" (في الماضي كان الرجال يحدقون في صدر المرأة ، ثم تحول نظرهم إلى سيقانها بعد أن كشفت الموضة مفاتن الركبة، وجاء الوقت الذي يهتم به الرجل بكتابة المرأة..الوقت الذي يتوارى فيه الجسد ويبرز العمق فأنا رجل يرى جمال المرأة في رحلتها مع الورق،الإبداع عندي دليل جمال،دعينى اغازل قلمك الجاف سيدتى)

وتدعو هيلين سيكسو المرأة إلى أن تكتب نفسَها،فتقول:«اكتبي نفسَك يجب أن تسمعي صوت جسدك، فذلك وحده هو الذي يفجِّر المصادر الهائلة

للأَشعور».وتقول في موضعٍ آخرَ:«إذ تكتب المرأة نفسَها بوساطة خطاب النساء،فإنها تعود إلى الجسد،وتصبح اللغة وثيقة الارتباط بالنَّوع الجنسي»

ودخلت د.نوال السعداوي للنسوية بقوة واصبحت(البيونير) بكتابها "المرأة والجنس" 1972 وهو من أشهر أعمالها،باعتباره مواجهة مبكرة في وجه عادات المجتمع وقيوده.فكان الكتاب سببًا في فصلها من وزارة الصحة.وفيه تتحدث نوال السعداوي– عبر معالجة أدبية وعلمية وطبيّة – عن جسد المرأة ومفهوم "العفّة" التي أُلصقت بالجسد الأنثوي حصراً، باعتبارها إنسانة من درجة ثانية وتعتبر أنّ مشكلة المجتمع العربي تكمن في الموروث الثقافي الذي لا يرى في الأنثى سوى "جسد"، من دون انتباه الى عقلها وكيانها وإبداعها.لقد نقلت السعداوي عبر هذا الكتاب التقدمي حقيقة المجتمع الريفي من خلال تقديم صورة "الداية" و"قطرات الدم" و"فخر الأب" و"أنواع الغشاء" وأمور أخرى كثيرة شغلت بال كثير من الأسر، ووصلت في أحيان الى حد قتل الفتيات لمجرّد أنّها لم تنزف في ليلة الدخلة. ومن خلال هذه الشواهد، قدّمت السعداوي طرحا جديا لمفهوم الدمج المجتمعي من خلال المساواة بين الرجل والمرأة .واعتبره الغرب إنتفاضة مصرية جديدة للمرأة تشبة مظاهرات النساء فى ثورة 1919..

اِللماضَة..الطريق لقب المشير عامر؟!

سماها المشير عامر "مسز سباجيتي"

وسماها عبد الناصر "المتوحشة"

وسمتها اعتماد خورشيد فى كتابها الشهير (ب.ع) .

أما برلنتى عبد الحميد، اسم شهرتها سماها به الأستاذ (زكي طليمات)

واعترف المشير عامر بعلاقته مع السيدة برلنتي عبد الحميد، ولم يجد ما يبرر به تصرفه سوى أنه وجد أخيراً إنسانة تستطيع أن تفهمه وكانت الدموع تلوح في عينيه وهو يحاول أن يكتمها.، وسأل جمال عبد الناصر عن الظروف التي تعرف فيها عليها وكان ردّ عبد الحكيم عامر أنه تعرف بها عن طريق صلاح نصر.؟!

أنها مذكرات (سنية) ابنة الأحياء الشعبية التى تعلمت الفنون الترزية وقفزت للتمثيل،وتلقت درس لوعة الحب والهجر من مدرسها اليسارى.وبدأ نجمها يلمع في سماء الفن وبخاصة السينما وهي مازالت طالبة بالمعهد واستطاعت أن تجمع حولها شلة من المثقفين في صالونها المعروف بصالون "الخميس" وقد تحدثت عنه فى كتاب لها اسمه "المشير وأنا" بقولها :(كان يتردد عليه وقتها :أحمد بهاء الدين،وأنيس منصور،وعدلي فهيم وحجازي) واتسعت دائرة معارفها عن طريق الاختلاط بالأجانب، وأصبح اسمها معروفا في كل حفلات السفارات الأجنبية وسموها "برلنتي النيل" وتحكى أنها (كانت مدعوة لحفل أقامه مستر باتل – سفير الهند في منزله بالزمالك – ومنذ ذلك الوقت بدأت تأتيها تليفونات بهذا المعنى أنا فلان (مخابرات) (اسمعي يا مدام..نحن نعرف وطنيتك ونطالبك بالمساهمة من أجل وطنك..كل ما نطلبه تقريرًا عن ماتسمعيه خلال علاقاتك القوية بالسفارات ورجال السلك الدبلوماسي) وتقول (لااعرف ولااحب.)،واتجهت برلنتى عن طريق صحفية "بروز اليوسف" إلى اجتماع يسمى إجتماع "الثلاثاء" لقياس الرأى العام عن الثورة ؟!وتقول في كتابها ":(سرىَ همس حين وصل..وقلت من؟وقالوا الدكتور،وكان هو"عبد الحكيم عامر"ومعه ثلاثة قيل لي من الضباط الأحرار وعرفت أن هذا الاجتماع لكتابة التقارير واتجاهات الرأي العام في الدولة وحينما طلب منها أن تتكلم،قالت:أنها تريد الأمان!!وقال لها المشير(للدرجة دى أحنا بنخوف؟) وحكت للمشير عن صديقة اختفى أبوها..أخذوه من الدار للنار ولا أحد من أهله يعرف أين هو!..وبعدها بدأت الأشباح في طريقها بقصد ضبطها متلبسة بشيء يساومونها عليه،ولكنهم لم يفلحوا معها..كيف؟! ..

مرسي سعد الدين يتصل بها ويقول لها:شركة فوكس تريد وجوهًا مصرية لأفلامها وقد رشحتك وأرسلت صورتك إليهم.فما عليك إلا أن تأتي معي للمطار وتقابلي (مستر جون مديرالشركة) وحاولي أن تكوني لطيفة معهم إنه طريقك للعالمية. وقالت:"آسفة..لاأستطيع الذهاب"..ويحدثها أنور عمار(صاحب صحاري سيتي) يتصل بها ويخبرها بوجود وفد سينمائي أجنبي وصل لعمل إنتاج مشترك، وأنها فرصة عظيمة بالنسبة لها وأنهم سيسهروا في صحاري سيتي،فقط عليها أن تحضر وتشارك في الرقص والعشاء!! وتقول:كيف يمكنني أن أذهب لقضاء سهرة في مكان عام مع قوم لا أعرفهم؟!ويحضر لها (أنور عمار) ويقول:المفروض أنت (فيديت) ممكن تقابلي أي حد..أنت نجمة وممثلة شهيرة!!ثم شخص يدعى أنه مسيو (موريس)صاحب شركة لأفلام فرنسية يعطيها (صرة) بداخلها أساور ذهبية والخواتم ويحاول أن يلاطفها؛ فتطرده!

ثم محاولات استقطاب من كاتبة دينية لمعرفة بعض المعلومات (س. ق) أو سنية قراعة..وبعد كل ذلك..وكله،يقول لها المشير:طلعتي جدعة يا عروستي أي عروسة، وأي جدعنة؟! لينتهى الأمر بأنها عجبت المشير! لقد ضغط عليها كثيرًا (صلاح نصر) لأنها كانت (لِمْضَة) وفي أول اجتماع فجرت قضية زوار الليل والناس اللي بيختفوا!! وكل مامر بها من ضغوط كان الطريق لقلب المشيرعامر،أنه يحب المرأة التى ليس لها ثمن ونجحت النجمة برلنتى؟!

فهل كانت النجمة برلنتى مستعصية عن قناعة بقدرتها على الصمود في مواجهة غير متكافئة بينها وبين صلاح نصر صاحب النفوذ والسلطان؟!أم أنها كانت تستند إلى ذراع أقوى يستطيع الضغط على رقبة(صلاح نصر)حتى يصرخ مسترحمًا معاهدًا بالكف عن محاولاته لاصطيادها والإيقاع بها في حبائله؟! الأقرب إلى الإقناع أن

صلاح نصر قبل دفعه للعميلة (س. ق) للإيقاع بالفنانة لم يكن يرصد علاقة الفنانة بأحد طرفي الصراع الفوقي على السلطة وأكبر شخصية عسكرية في مصر!! وإن الفنانة من منطلق علاقتها الحميمة بهذه الشخصية تصرفت بثبات إزاء محاولة اصطيادها ،فأبدت موافقتها على التعاون مع جهاز المخابرات لتستدرج هي العميلة (س. ق) حتى تؤدي بها إلى الذين كلفوها بالمهمة (لقد فوجئت صائدة النساء بالنجمة برلنتى على التليفون تطلب رؤيتها وعندما ذهبت إليها،قالت لها: أنتي كذبتي عليّ بالرجل الذي قدمته لي اسمه حسن عليش وليس عادل..ورئيس المخابرات اسمه صلاح نصر) وكان من عادة صائدة النساء ألا تذكر اسم صلاح نصر أمام ضحية من ضحاياها أبدًا وعلى الفور اتصلت صائدة النساء بحسن عليش تخبره بما دار بينها وبين الفنانة (ب. ع).. ففوجئت به يقول لها: لا تتصلي بها مرة أخرى، إلا إذا طلبنا منك ذلك..) ولما تم لها ذلك استخدمت نفوذ الشخصية إياها بالشكل الذي عكس الموقف وجعل صلاح نصر هو الذي يتحرك في بلاطها هي وينفذ ما تخططه من ألاعيب،لأن صداقة قوية كانت تربطه بالقائد العسكري الذي تزوجته فيما بعد،وكان يخشاه ربما من منطلق تحسبه لأن يحسم الصراع الفوقي على السلطة لصالحه وينفرد في المستقبل القريب بحكم البلاد!!..

وقد يؤيد تصورنا ماقاله هيكل.. فيروي محمد حسنين هيكل في كتابه «الانفجار» على لسان صلاح نصر «.بعد أسبوع فقط من ذلك الحفل طلب المشير من مدير مكتبه عبد المنعم أبو زيد أن يبحث له عن مسكن آمن بحجة إيواء خبير ألماني (كانت مصر قد استعانت بعدد من الخبراء الألمان للعمل في الصناعات الحربية لكن (إسرائيل) كانت ترصد نشاطاتهم عن طريق عملائها ودبّرت لهم العديد من المؤامرات والاغتيالات) وأن يكرّس كل جهده للبحث عن هذا السكن وفي اقرب وقت ممكن.،ولم تمضي سوى أيام قليلة حتى عثر أبو زيد على فيلا يملكها رجل قطري ولا يسكنها ووجدها بأنها ملائمة وقام بإخبار المشير بذلك أثناء مرافقته له في رحلة إلى

اليمن مخبرا إياه بأن الفيلا قد قاربت على الانتهاء من الإجراءات الأمنية المطلوبة،فما كان من المشير إلا أن قال له حينها: خذ الطيارة الصبح وانزل في مصر وتيجيني بكره ومعاك خبر الفيلا وقد أنتهيت كليا.فنزل أبو زيد إلى مصر وخلال 24 ساعة فقط عاد وقد اتفق مع المالك على عقد الإيجار ورتبت كافة الالتزامات الخاصة بها ليعود بعد ذلك لرؤيتها رفقة المشير كنت اجلس بجانبه في سيارتي وأنا انظر إليه وقد كان مبتسما خائفا مصدوما،وقد حاولت أن أجد تفسير لذلك التعبير الذي كان يرسم وجهه حينها،وحينما وصلنا طفنا حولها ثم دخلنا فوجدها مؤسسة ونظيفة وكاملة من كل شيء فنظر اليّ أبو زيد وقال شكرا لك لقد أتعبتك معي لكنها المسؤولية وأنت بإمكانك الذهاب الآن لأنني سأمكث هنا قليلا (ولم يصرح لي بأنه ينتظر برلنتي) ويقول أبو زيد (كنت أتردد على الفيلا لإجراء إصلاحات الكهرباء والأثاث كما طلب مني المشير وأحسست بان شيئا ما يحدث داخلها فهناك مناديل المشير التي كنت اشتريها له متناثرة هناك،وعندما كنت اذهب إلى الفيلا لم أكن أجد فيها أحدا وكنت أتساءل مع نفسي إذا كان الخبراء الألمان ذهبوا إلى العمل فأين النساء؟ حينها بدأت الشكوك تساورني للحظات ولكنني قلت لنفسي مرة أخرى ما اغباني فربما خرجوا لقضاء بعض الأعمال أو لربما ذهبوا إلى أحد ما.... وبينما كنت أهمّ بالخروج من الفيلا إذ بسيّدة ترتدي بلوزة وبنطلونا وتضع نظارة سوداء على عينها تناديني أستاذ عبده.. أستاذ عبده لو سمحت!! فاندهشت حول كيفية معرفتها لي– وبالاسم الذى ينادينى به المشير– لكنها صافحتني بدبلوماسية وقالت: متشكرة جدا!!، لم أتفوه حينها بكلمة واحدة وكان يمكن أن ألاحظ بأنها ليست خواجاية (يعني أجنبية) لأنها تتكلم عربي ولكن تفكيري أصابه الشلل حينما سمعتها تقول أنا متشكرة وأنا قلت للدكتور يتشكرّك عني حينها نسيت كل شيء وبدأت أفكر في كلمة الدكتور إلا أنها واصلت بالقول أنا مكنتش متوقعة الذوق والجمال ده، السّت ازيها؟، فأجبتها السّت مين؟،فقالت لي أم نبيل زوجتك!!،هي كويسه،جنبها لسّه تاعبها!! واستمرت بسؤالي عن الأولاد واحد واحد على التوالي قبل أن تتركني غارقا

في دهشتي واستغرابي لمعرفة هذه المرأة لكل تفاصيل حياتي،هنا سارعت بالاتصال بعلي شفيق (مدير مكتب المشير) وقلت له: لماذا لم تخبرني بحقيقة سكان الفيلا، أنت قلت لي أنهم ألمان لكن الست اللي شفتها مش ألمانية دي عربية أصلية وبتعرف تفاصيل حياتي، فما كان من علي شفيق إلا أن أجابني إذن هي برلنتي عبد الحميد!! فأجبته هي دي الخبير؟

وعندما رأيت المشير عبد الحكيم قال لي شفت الست اللي كنت بتشتم فيها لعلي شفيق بكرة لما تعرفها حتلاقيها طيبة وحتبدّل النظرة التي أنت شايفها دلوقتي،لم أكن حينها أعي جيدا بأن تلك المرأة قد أضحت زوجة المشير وقد أضحت تعرف كل شيء عن تحركاته وأسراره وأموره السياسية.وعندما وصل الأمر إلى القيادة العامة للثورة استدعيت المخابرات المصرية برلنتي عبد الحميد للاستجواب ومعرفة طبيعة علاقاتها بالمشير،حينها علم المشير فقام باعتزال جميع مناصبه في الدولة 1967/6/10بعد أن شعر بأنه أصبح وحيدا في تحمل مسؤوليات الهزيمة وبأنه سيواجه الشعب وحده معزولا عن أي مساندة من القوات المسلحة التي كان قد ابْعِد عنها بأمر من جمال عبد الناصر وقلّصت اختصاصاته وصلاحياته إلى ابعد حد في مواجهة الرئيس.وبعد أن علم عبد الناصر بحقيقة العلاقة التي تربط المشير ببرلنتي استشاط غضبا بعد أن وضعه بالإقامة الجبرية ببيته بالجيزة ف(حاول المشير قيادة انقلاب على عبد الناصر فى 11/ 6 /67 رفقة بعض ألوية وعمداء وعقداء القوات المسلحة المقربين إليه مطالبين بحضور المشير لقيادة وممارسة السلطة) ويقول هيكل نقل المشير من بيته إلى استراحة المريوطية رفض المشير في البدء ثم تناول شيئا ما ووضعه في فمه وأخذ يلوكه فصرخت ابنته (نجيّة) قائلة بأن أباها قد وضع سمّا في فمه، وفي الطريق بدأ المشير يدخل في مرحلة فقدان الاتزان، فاتصلنا بعبد الناصر حينها واخبرنا أن ننقله إلى المستشفى وبعد أن أشار الأطباء إلى أن حاله المشير جيّده أخذناه وتوجهنا إلى استراحة المريوطية،وأثناء الطريق دخن المشير سيجارة دون أن

يتبادل معنا أي حديث، وعند وصولنا جلسنا معه بعض الوقت قبل أن نتركه هناك تحت الحراسة المشددة إلى حين مقابلته مع عبد الناصر،وبينما أنا في الطريق وصلني إخطار عاجل يفيد انتحار المشير عامر بمادة سامه تناولها يوم 1967/9/13 قضى بسببها نحبه في اليوم

يقول هيكل عن اللحظات التي عرف بها عبد الناصر بعلاقته المشير وزواجه من برلنتي عبد الحميد «.وفي 20 فبراير 1967 قرأ عبد الناصر تقريراً كان بمثابة صدمة، كان التقرير عن زواج عامر وبرلنتي وأنهما ينتظران مولوداً نتيجة لهذا الزواج..،ورأى عبد الناصر أن ينتظر أياماً قبل أن يفاتح عامر في الموضوع حتى لا تملكه انفعالات الغضب وتصعب المناقشة الجادة في تصرف يصعب السكوت عليه ،كان شعور عبد الناصر لأول وهلة أن عبد الحكيم عامر يجب أن يبتعد عن منصبه وما دام قد اختار أن يغلب ضعفه الإنساني على شعوره بالواجب فإن الأمور تقتضي حسماً،وقام عبد الناصر باستدعائه لمقابلته يوم أول مارس 1967، وكانت مشاعره مختلطة بين الأسى والغضب، فقد كان عبد الحكيم عامر أقرب الناس إليه منذ كانا في عز الشباب ضابطين بالقوات المسلحة، ثم خدما معاً في السودان قرابة عامين..، ثم كان عبد الحكيم عامر ساعده الأيمن في تنظيم الضباط الأحرار وكان هو الذي يتولى الإشراف على شؤون التنظيم بما فيها الاتصال مع الضباط الذين انضموا إلى صفوفه وكان عبد الحكيم عامر بطبيعته إنساناً ودوداً قادراً على كسب ثقة زملائه والاحتفاظ بودّهم. وليلة الثورة كان بجانب عبد الناصر طوال الوقت وفيما بعد، لصلته بتنظيم الضباط الأحرار ولمعرفته الواسعة بهم، وبغيرهم من المتعاطفين مع الثورة أو الذين ساعدوا على قيامها واستقرارها رقيّ إلى رتبة اللواء وأصبح قائداً عاماً للقوات المسلحة ويضيف هيكل «..ومع أن عبد الحكيم عامر لم يكن في أحسن أحواله أثناء معركة سنة 1956 إلا أن ظروف العدوان الثلاثي كانت تغلب على أعصابه، ثم إن تجربته في سوريا لم تكن ناجحة. وبرغم ذلك فإن عبد الناصر كان دائماً على استعداد لأن

يعطيه فرصة أخرى وكان عبد الحكيم عامر من ناحيته يشعر بهذه الحقيقة ومن ثم فإنه أصبح في بعض الأحيان حساساً بأكثر من اللازم..، وحين وصل عبد الحكيم عامر إلى مكتب جمال عبد الناصر في بيته في منشية البكري فإنه أحس على الفور بأن هناك شيئاً غيرعادي في الجو، وبدأ من بعض تصرفاته أن لديه فكرة عن الموضوع الذي استدعى من أجله،كان أسلوب عبد الحكيم عامر المعتاد عندما يوجه إليه أي تساؤل عن تصرف من تصرفاته أن يبدأ بإثارة زوابع صغيرة ويتخذ مظهر الغاضب المجروح المعتدى عليه،وهكذا عندما سأله جمال عبد الناصر في موضوع زواجه السري بدأ غاضباً ومتألماً وقال«إنه سئم هذه الحملات الموجهة ضده وإنه يفضل أن يعود إلى قريته «أسطال» بالمنيا ويعيش هناك فلاحاً عادياً، ولا يكون نائباً لرئيس الجمهورية انتظره جمال عبد الناصر حتى أفرغ ما لديه ثم كان تعليقه تزوجتها أم لا كان سؤالاً محدداً، وليست هناك جدوى من تجنب الرد عليه مباشرة فاعترف بحركة من رأسه

سحلية قالت : أنا لن أعود!!

في"ألف ليلة وليلة" ثلاث طرق: السلامة والندامة واللي يروح ما يرجعش وتقول: ولم أعرف أن المخدرات هي طريق اللي يروح ما يرجعش وأنا "المخدرات منتهى المهانة..يكفي أن تنظر لي وتسمع حكايتي وتعرف شخصيتي لتتحسر وتعرف (آه) وتعيشها ..وتشعر بها!!"

مارجريت سنكلر ليست هينة..إنها أول سيدة أولى في التاريخ تتزوج وتنجب من زوجها رئيس الوزراء وعمرها 22 سنة!! وهي أيضًا ابنة لوزير سابق في الحكومة

الكندية التي كان يرأسها "ليستر يدسون" وكانت الأسرة التي تربت فيها أسرة سعيدة،فقد تزوجت من بيترودود رئيس وزراء كندا ويقولون عنها: دخلت البنطلون الجينز ولم تخرج منه لأنها استطاعت أن تحافظ على رشاقتها حتى بعد أن أصبحت أمًا لثلاثة أولاد وكان الناس يقولون هذه العبارة دائمًا:أنه رئيس الوزراء ترودود فمن تكون هذه السردينة أم بنطلون جينز؟ وكانت هي صاحبة العبارة التي رددتها بعدها بنفس الاستماتة الأديبة الفرنسية فرانسوا ساجان:"ابصقوا على المخدرات..ابصقوا أنتم أما أنا فآسفة لقد أدمنت!!".

سألها الرئيس بوتو "رئيس باكستان": عن الأسباب التي دعت كندا إلى إلغاء عقوبة الإعدام، وردت عليه:"إنها موجودة فقط لمن يقتل أحد رجال الأمن" أما الآن بعد أن تركت زوجها وكندا وثلاثة أولاد بسبب إدمانها المخدرات والهيروين، فهي تدعو كندا لإعادة عقوبة الإعدام مرة أخرى ضد تجار المخدرات، وفي آخر سطور اعترافاتها تكرر: "لا أمل في أن أعود إلى زوجي، لا أمل فهذا شيء من وراء العقل ولن أخرج من هذه المأساة سليمة أو كريمة!! ويأتي السؤال:"كيف حدث ذلك؟! " وصلت المخدرات لزوجة رئيس وزراء كندا وخربت بيته ويتمت أولاده وأمهم حيّة نعم فوق ذلك وقف الرئيس "ريجان" رئيس امريكا السابق وأعلن هو وزوجته(نانسي) أن المخدرات أول وأخطر تهديد للأمن القومي الأمريكي

عرفت سنكلر، الحشيش والأفيون ويقال عرف عنها زوجها ذلك ومن قبله أبوها وأحس الجميع في منزل رئيس الوزراء بهذه الرائحة العطرية المميزة!! وكان لها علاقات وكثيرة وعالمية لأن زوجها في صبر أيوب لمركزه الحساس ولأن ثلاثة أولاد هي أمهم.. ولأنها إنسانة حساسة حاولت أن تتخلص من هذا الإدمان وتقول في كتابها: "شكوت للملكة (عالية) ملكة الأردن وراسلتها بعدة خطابات وأن نصائحها لها كانت صعبة التطبيق"

واعترف لها الرئيس جيسكار ديستان بمشكلة المخدرات في فرنسا وقال لها جاك شيراك: في أسرتي واحد أدمن المخدرات وأمكن علاجه بتهديده بحرمانه من الميراث والطرد، وعندما قال لها الرئيس بوتو أنه أعدم في باكستان 200 مجرما سنة 1987 بسبب المخدرات،ابتعدت عنه وتركته وخرجت عن قواعد البروتوكول فقد انتابها خوف أن يعرف ما تحت لسانها فيأمر بإعدامها !

وتقول مرجريت:أنها لم ترتبط في صباها بأحد الشباب مثلما تفعل الفتيات في هذا السن بفرنسا، لكنها تعرفت على مدرس بريطاني جاء إلى كندا للدراسة، وكانا يقضيان الأمسيات في النقاش والدراسة وسماع الموسيقى الكلاسيكية وأعجبت به حينما تولى الدفاع عن أحد الطلبة الذين أبعدتهم الجامعة لأسباب سياسية.وقد تعلمت مرجريت تعاطي المخدرات والحشيش والماريجوانا، وهي لا تزال طالبة في الجامعة، وفي أحد البيوت على حافة البحر،حيث النورس يتصارع فوق الرؤوس، وحيث تقضي ساعات تغني فيها وتستمع إلى الأغنيات المسجلة تقول:"كان من السهل أن تحصل على الماريجوانا، فقد كنا نزرعها في حدائقنا جميعًا، وكنا نشتريه بثمن بخس وبكميات كبيرة قادمة من المكسيك أو كاليفورنيا كنت ألتهم كل شيء: (الموسيقى والمخدرات، والحياة، ذات يوم تناولت مهلوسًا وقضيت ثمانية ساعات فوق شجرة أحسست خلالها أنني عصفورة) .وذات يوم،وبعد أن التقيت ببير ترودود – الذي كان وزيرًا للعدل آنذاك – سافرت مع مجموعة من أصدقائي إلى المغرب وتقول: حينما وصلنا إلى أغادير بين جماعات الهيبز، كان أول شيء فعلته هو أن أجرت منزلاً من البامبو على أحد الشواطئ"،وتقول:"وكان عليّ أن أفعل مثلما يفعلون، أعزف الجيتاروآكل مثلهم،وأن ألقي بكل المبادئ المرتبطة بالحرية الجنسية والحياة،فلأول مرة عانيت من مضار السلام والهدوء والحرية الكاملة وتقول مارجريت: أنها من المغرب تعلمت كيف (تتعاطى الكيف) الذي يدخنونه بواسطة أنابيب طويلة

من الخشب، كانت حياة سهلة هادئة،أحسست من جديد أنني مقيدة،وتتحدث عن عقار الهلوسة الذي تتعاطاه بأنها صعدت به "ببطء سلم التنوير الهلامي"، وتقول مرجريت: أنها عندما التقت بعد ذلك للمرة الثانية بترودود بأنها أحست بالخجل قليلاً لأنها تركت نفسها تسقط صريعة لنزوات الهيبز، وكان كل ما يهمني هو أن لا أضع شيئًا على كاهلي وأنا أقابل رئيس الوزراء المقبل.ولا شك أن تجربة زواج مرجريت من بيير ترودود قد أبعدتها بصفة مؤقتة عن هذا العالم الضائع: ليس من السهل على فتاة هيبية ترتدي قميصًا هنديًا وتنورة ريفية أن تتحول في أشهر قليلة إلى سيدة كندا الأولى، فسرعان ما اكتشف أن فتاة العشرينات قد أصبحت امرأة عجوز عليها أن تفعل كل شيء بحساب.وحينما أصبح مركز ترودود حساسًا، فقد انتقل من وزير للعدل إلى رئيس وزراء كندا، قال لها خذي أجازة.. وقرري المخدرات أم أنا؟! ورغم هذه الفرص التي لا تحلم بها، ورغم أن ترودود وضع نظامًا دقيقًا يمنع وصول المخدرات لها، إلا أن داء الإدمان قد سرى في دمها، إنها تحب الماراجوانا، وهذا المسحوق الأبيض الهيروين وإنها تشتهي المخدرات كلها..كما تشتهي الطعام الحلو كله، وبدلاً من أن تفكر في هذا العرض ارتبطت بشاب أمريكي استطاع أن يمولها بما تريد من الصنف ؟!

وانهارت حياتها الزوجية، وحينما قرر زوجها أن يدخلها مصحة للعلاج،انهارت أكثر وأصبحت تجاهر بشرب سجائر الماراجوانا بقصر رئيس الوزراء!!..ولما لم يجد رئيس الوزراء أملاً أصدر بيانًا يقول فيه: (بناء على رغبة السيدة حرم رئيس الوزراء، فلقد انفصلا مؤقتًا ومن حقها أن ترى أولادها في أي وقت، والأمل في أن تعود إلى بيتها قريبا) ولكن حتى هذا الأمل انعدم تمامًا. إن هذا أمل كل أسرة خرج فيها مدمن، والحقيقة أنها لم تعد ولهذه العبارة أسمت كتابها فى عنوان فرعى – أبدًا لن أعود – أي أنه انفصال نهائي.. وكان وفي كل سطر من الكتاب تقف وتقول: (آه) وتتذكر الماضي وأيام العز، وتقول صدقوني لست سيئة إلى هذه الدرجة، ولم يصدقها أحد..ونشرت صحف تورنتو صورة لها بالبيجاما البيضاء وتعليق يمس رئيس وزراء

كندا في الصميم يقول:" ليلة بيضاء"!! ويقصدون ليلة "حمراء صهد" قضتها "مرجريت" ببيجامتها البيضاء مع المخدرات؟ ..

وحاولت صديقتها القديمة التي قابلتها في المغرب وقضوا بعض أيام اللهو والشباب،إنها ياسمين أغا خان (ابنة ريتا هيوارث) أن تنقذها بطوق الشهرة، وفرضتها على السينما فيلمًا بعد فيلم، فلا تزال صغيرة وجميلة ورشيقة وتحب البنطلون الجينز، ولكن الهيروين هدها فلم تستمر ولم تفلح.وفيما بعد تعرفت على الفريق الشهير (الرولنج ستون) الذي يقوده المطرب "مايلي هاجز" وتعجبت منه أنه قوي ولطيف ولا يشرب أي نوع من المخدرات،مع أن باقي الفريق يفعل ذلك وقال لها: أن صحتي وصوتي رأس مالي، والمخدرات والخمر ضد ذلك!! وقالت له كلاما صعبا، فأنا لا أستطيع ذلك، ثم أن باقي أفراد الفريق يفعلون ذلك وهم مثله بصحة جيدة وصوت جيد،وقال لها أنا أنظر للمستقبل وهم لا ينظرون إلا للحظة وبكت!! وقررت الانفصال النهائي عن زوجها. إنه متدين منظم،وهي مدمنة بهيمية ثم أنها قد اختارت أحد طرق "ألف ليلة وليلة" "سكة اللي يروح ما يرجعش..ولذا فإنها لن تعود – لا تستطيع – ولا تريد.وفي هذه المذكرات أو الاعترافات تحدثت مرجريت عن علاقتها بالمخدرات أكثر من أي شيء آخر حتى أولادها وزوجها، وتقول أن الجاه والأبهة ليس جديدًا عليها، أو أنها لم تعرفها إلا باقترانها بزوجها ترودود رئيس وزراء كندا، ولكنها ابنة لوزير سابق في الوزارة الكندية التي كان يرأسها ليستر، وأنها ضحية هذا المجتمع الذي يعطي الجاه ولا يعطي الحنان، ويمنح الأبهة لتكون بديلاً عن القرب الأسري والاحتواء الأبوي، ولذا نشأت وهي تشعر كما تقول: "كنت الولد الوحيد للأسرة – حتى الوقت الذي كانت فيه شقيقاتي مقترنتان وناجحتان في عالمهما – كنت أعيش منفصلة" وهي ترى أن هناك سببين لطلاقها من زوجها وعدم توبتها: المخدرات والصحافة!! فتذكر حادثتان كانتا وراء قرار بأنها لن تعود!! الأولى: في زيارة رسمية للبيت الأبيض، تتقول: (كان لقاؤنا الأول مع جيمي كارتر وعائلته لقاءً (غير

رسمي) لذلك جاء سهلاً خاليًا من التعقيدات ومن عيون المراقبين،أما حفل العشاء الرسمي، فقد كان كارثة، لقد حرصت قبله على أن أظهر في أحب فستان إلى نفسي، وقد كان ثوبًا أبيض اللون مرصعًا باللؤلؤ يرتفع ذيله عن القدم ثلاث بوصات (ولم أكن اعرف أن الجوارب التي وضعتها كانت مثقوبة).وطلعت صحف الصباح لتقول: (مدام ترودود وأخطاؤها المعتادة!! مارغريت فعلتها ثانية). فقد كان ردائي، كما اتضح لي، كارثة فظيعة! فكيف أجرؤ على دخول البيت الأبيض برداء لا يلامس الأرض، وفي جوارب بها ثقوب؟)..وذهبت لأعتذر لزوجة الرئيس جيمي كارتر، روزالين وأخبرها أنني لم أكن أقصد على الإطلاق عدم الاحترام،وقد وجدتها ضائقة أكثر مني من رد الفعل الإعلامي وساخطة على الصحافة وشعرت بأنني أبدو أكبر منها وأكثر خبرة في تلك الأمور عندما قالت بكل جدية: (لن أسمح من الآن وصاعدًا أن تنشر الصحف وصفًا لأزياء الضيوف من السيدات أثناء حضورهن إلى البيت الأبيض) إلا أنني أخبرتها أن شخصي وليس ردائي هو سبب ذلك الهجوم الصحفي الذي استهدف تجريحي، وليس انتقاد أزيائي.أما الثانية، فتقول عنها مارجريت ترودو: "والحقيقة أن حياة رولينغ ستونز كانت معكوسة، فنهارهم ليل وليلهم نهار! وجلسنا نحتسي الشمبانيا ونلعب (الطاولة)، وندخن (الحشيش)، كان الجو مرحًا، وكنت أنا في غاية السعادة بانضمامي لهذا الجو،وغادرت تورنتو في اليوم نفسه إلى نيويورك،وهناك صدرت تعليقات الصحف: (مارغريت تسير في ممرات الفندق بالبيجاما،جنس وسكر وعربدة في جناح زوجة رئيس الوزراء، كما نجح أحد الصحفيين،وكان يبيع قصصه لصحيفة دايلي إكسبريس اللندنية في أن يصطادني في حديث هاتفي ذكرت له فيه انى لم أعد أطيق حياتي الرسمية، ولم أعرف أنه كان يسجل الحديث، وأنه باع الشريط المسجل بعد ذلك في جميع أنحاء العالم، وظهرت صورتي للجميع عن أنني الزوجة التي يمكن لها أن تذهب إلى أبعد مدى كي تهرب من زوجها".)

ولكن أعجب ما جاء في مذكراتها أو كتابها "بقلب مفتوح" كيف أنها كانت تستطيع أن تخدع الطبيب المعالج..وكيف أنها كانت تستطيع إقناع طبيبها بكل ما ترى كنوع من العلاج،وهو يستسلم!! والغريب أن الطبيب أصدر كتاب عن المدمنات، وكيفية علاجهن ، دوّن أشياء كثيرة فيه عن علاجه "لمرجريت سينكلر"وكيف نجح معها؟!

غسيل قذر للسينما العالمية؟!!

في القول المأثور: "إن لم تستح فافعل ما شئت"، ربما كان المعنى المقصود في هذا المثل قد صيغ بكل لغات الدنيا؛ فالحياة سمة إنسانية لها لفظتها الدالة عليها في كل لغة..وقد يتصور المرء أن الحياة مسألة نسبية لها سقوفها التي ترتفع وتتسع في مجتمعات عن غيرها، لطبيعة اختلاف العادات والتقاليد والأعراف في المجتمعات عن بعضها، ولكن لا بد وأن هناك نقاط التقاء لا تباين عندها ولا اختلاف يستطيع المرء إزاءها – أيًا كان موقعه من الدنيا – أن يقول "هذا فعل مجرد من الحياء"

فلم نر قط مجتمعًا إنسانيًا مهما تعرى وتجرد، يظهر فيه الناس لبعضهم دون ساتر لأعضائهم التناسلية! ولا يتقبل الحياء الإنساني فكرة أن تسرد امرأة وبلسانها سردًا مكشوفًا صريحًا لعلاقاتها الجنسية ونهمها الجنسي وشخوص محددة حبكت تلك المرأة خططها من أجل مواقعتهم جنسيًا! ومع ذلك حدث بالفعل أن فاهت امرأة،بل دونت مغامراتها الغرامية والجنسية في صورة مذكرات لحياتها! حدث في أمريكا..
والمرأة هي "شيلي ونترز" وقالت هذه سيرة مكتوبة لمدينة السينما؟! سيرتها فيها أو ذكرياتها مع التمثيل..

قالت شيلي ونترز:"قررت أنا و"مارلين مونرو" أن يكون لنا الحق في اختيارالرجل الذي نريده،ثم التخلص منه في الوقت الذي نريده أيضًا" وقد عقبت "مارلين مونرو" على ذلك قائلة:"يعني هذا أن نقوم نحن باصطياد الرجال بدلاً من أن يقوموا هم باصطيادنا" وكانت لعبة جديدة ومثيرة،فأعددنا على الفور قائمة بأسماء الرجال الذين خطروا لنا،ولم تكن القائمة تضم الممثلين والمخرجين فقط، بل كانت تضم سياسيين وموسيقيين وعلماء وأدباء، كما كانت تضم رؤساء جمهوريات وجنرالات ومدربي حيوانات ورجال أعمال،وكان المهم في هذا أن يكون الرجل جذابًا ونشتهيه لسبب أو لآخر! أعدت كل منهما قائمة على حدة بأسماء الرجال الذين تشتهيهم وكانت القائمتان مختلفتين،فقد اختارت شيلي ونترز النجوم الذين حلمت بهم في طفولتها وصباها، أمثال: كلارك جيبل ،جيف شاندرلر، لورانس أوليفيه جيمس ماسون،كاري جرانت.أما مارلين مونرو فقد اختارت:"شارل بواييه، جين رينوا، جون هوستون، إيف مونتان، همنجواي، آرثر ميلر" وكان من الغريب أن مارلين مونرو اختارت أيضًا "ألبرت أينشتين" فقالت لها شيلي ونترز مستغربة ومندهشة:كيف تختارين أكبر علماء هذا القرن آينشتين صاحب نظرية النسبية رجل بعيد المنال ثم إنه عجوز؟!وكان جواب مارلين غريب أيضًا،فقد قالت: أعرف أن صحته جيدة رغم تقدمه في العمر.

تقول شيلي ونترز فى مذكراتها، إن السر في شهرتي ونجاحي يتلخص في كلمتين صغيرتين هما:جسدي ووجهي،وهذه حقيقة لاأشعر بأي خجل في تأكيدها..وأضافت: كما أنني ممن يعنيهن أن تكون ملابسهن ذات مقاسات معينة،ولست في حاجة إلى هذه المقاسات لإبراز مفاتني، ذلك أن صدري وحده كفيل بضبط أي فستان أرتديه، كما أن لدي ولع شديد بارتداء الملابس الخفيفة سواء كان ذلك في عملي أو حياتي الخاصة، وأود أن أكون صريحة للغاية،فأذكر أنني لا أستخدم عادة الملابس الداخلية مثل السنتيان والكورسيه، وعلى كل من يشك في هذا الأمر أن يسأل الرجال المقربين مني كما أنني أكره الجوارب مهما كانت ولا أحب استعمالها..وفى حفلة توقيع مذكراتها سأل أحد الصحفيين عن السبب الذي من أجله لا ترتدي الجوارب،كما تقول بمذكراتها فأجابته بأن أشارت إلى ساقيها وهى تضحك ثم سألته: ألا تحب أن تنظر إلى هاتين الساقين؟! وعندما سئلت عن سبب قلة الإقبال على أفلامها عن ذي قبل أجابت: السبب في ذلك هو أنهم أرغموني في بعض الأفلام على الظهور بملابس كاملة ،وبذلك بدوت بصورة تخالف طبيعتي، وعدم الإقبال من الجمهور على أفلامي لا يقلقني أو يزعجني،لأنني أعرف السبب في هذا، كما أنني أعرف أيضًا العلاج وهو علاج سهل أن أسارع بخلع ملابسي!

لقد كشفت شيلي ونترز في مذكراتها الفاضحة التي نشرتها في كتاب عن أسماء عشاقها العديدين، فذكرت مارلون براندو الممثل المعروف،وبيرت لانكستر، ووليم هولدن، وفرانك سيناترا، وإيرول فلين، وغيره وقالت لهم قبل النشر اريد دولارات،وبالدفع باالنشر؟!لقد أكلتونى وأنا صغيرة وبعت لكم لحمى مجانا من أجل دور صغير،والأن وقت الحساب. بالدفع يا النشر والفضح وحكاية الحكاية وعدم السكوت عن الكلام غير المباح!

ودفع البعض ولم يدفع البعض الآخر،وقررت نشر الغسيل القذر فعن علاقتها بمارلون براندو قالت:"كان مارلون شابًا قويًا وعبقريًا يتحدث الجميع عن دوره البارع في مسرحية "عربة اسمها اللذة" التي كتبها تينسي وليامز،وعرضتها مسارح برودواي في ذلك الحين، وكنت حريصة حينذاك على مشاهدتها لكني كنت مشغولة ببعض الأعمال الفنية، ولم يكن لدي الوقت الكافي للذهاب لرؤية مارلون براندو حتى جاءتني الفرصة ذات ليلة فكان حقًا رائعًا وهو يقف على خشبة المسرح يهمس ويهمهم تارة ثم يصرخ تارة أخرى فيبعث بالحياة في أرجاء المسرح كله..ليلتها تعرفت عليه ودعاني للعشاء في شقته الخاصة التي يشاركه فيها صديقه "والي كوكس"ولم أتردد وذهبت معه إلى هناك..وفي الداخل كان البرد شديدًا ووسائل الراحة والتدفئة متواضعة،وعندما طلب مني مارلون أن أخلع معطفي قلت له إنني أفضل الاحتفاظ بدرجة حرارتي..كان العشاء متواضعًا للغاية،وكان الرجل بخيلا معى ولكن الحديث كان ممتعًا،وقد بقينا في غرفة نومه نشرب الخمر ونتحدث حتى لاح نور الفجر دون أن أدري..فقد كنت منتشية تمامًا وسعيدة بهذه السهرة التي تمت دون اتفاق سابق،ولكني لاحظت أن "ولي كوكس" قد أغلق الباب المتحرك الذي يفصل حجرة النوم التي نجلس بها عن حجرة الجلوس..فأخذ قلبي يدق واختلطت في داخلي مشاعر القلق والرغبة..وعندما سألت مارلون عن السبب في إغلاق الباب قال: (لكي يشيع الدفء) ثم استطرد قائلاً في عذوبة (ولكني أعترف لك بأن الدفء الحقيقي في هذه الحجرة هو في سريري..إن جسدي هو مصدر الطاقة الوحيد هنا وهو يبعث قدرًا كبيرًا من الحرارة والنشوة) وكان الرجل على حق تمامًا، فإن دوره في المسرحية كان يوحي بقدرته الجنسية،ولكني أعترف بأن حقيقته كانت أروع من الخيال.أما عن علاقتها بـ "إيرول فلين" الممثل المعروف،فقدقالت :"جاءتني "إيفون دي كارلو" وهي ترتدي ملابس الحريم التي كانت تصور بها فيلمًا من أفلامها الشهيرة ثم همست في أذني قائلة: (إني مكلفة بدعوتك لحفل عشاء رائع مساء الجمعة القادم وسوف أكون معك وسيكون هناك كلارك جيبل، أما الذي يدعونا فهو إيرول فلين

الذي كان يراقبك باهتمام شديد،وهو بصراحة معجب بك،وقد توسل إليّ أن أقنعك بقبول دعوته).ولم يكن هناك ما يدعو لكل هذا الإلحاح فقد كنت جاهزة تمامًا لمثل هذه الدعوة.وفي اليوم المحدد ذهبت مع إيفون إلى الفيلا الأنيقة التي يمتلكها إيرول فلين في هوليود هيلز، كان كلارك جيبل هو الذي فتح لنا الباب، فأذهلتني المفاجأة وارتبكت وكدت أن أقع على الأرض لولا أن تلقفني كلارك بين ذراعيه..وكانت هذه بداية رائعة جعلتهم يسألوني عما إذا كنت قد تعمدت تلك الحركة أم لا؟..قلت لهم إنني أميل إلى المداعبة والمرح،وكنت أعلم مقدمًا من الذي سيأخذني بين ذراعيه..وحين بدأ الشراب،دعاني إيرول فلين لمشاهدة فيلم سينمائي جديد وتقدم مني يحيطني بذراعيه ويضغط بهما ليجذبني نحوه بحجة أنه يقودني إلى مكان الفيلم،ولكن إينون دي كارلو استأذنت في أن تذهب أنا وهي إلى الحمام، وهناك سألتني: (أي الرجلين تريدين) قلت لها: وهل لي أن أختار؟ قالت: إن إيرول فلين يشتهيك وسوف أستسلم أنا لكلارك

كانت رائحة إيرول فلين تثيرني ولا بد أنها كانت تثير أي امرأة أخرى ولم أستطع أن أعرف هل هي العطور التي كان يستخدمها، أم أنه الصابون، أم رائحة جسده الممتزجة بكل هذا هي التي فعلت بي ما فعلته..واكتشفت انه لم يكن هناك فيلم يستحق المشاهدة، وإنما كانت هناك الحركة الشهيرة التي عرف بها إيرول فلين وهي الضغط على (زرار) فينشق الحائط عن سرير ضخم مريح به تليفون وبار ومجموعة من الصور العارية وراديو وأزهار،وفوق السريركانت توجد مرآة ضخمة يرى فيها من يستخدم السرير كل شيء..ونظرت حولي فوجدت كلارك جيبل غارقًا في قبلة طويلة يحيط بها عنق إيفون دي كارلو، بينما كانت يد إيرول فلين تتسلل إلى جسدي.ولما فرغ إيرول فلين وكلارك جيبل وانتهت السهرة استأذن الجميع، ولكن إيرول فلين جذبني من يدي ملحًا عليّ في البقاء

وتركتني إيفون بعد أن أخذت معها كلارك جيبل، وقالت لإيرول فلين قبل أن تخرج وهي تغمز بعينيها (تذكر أن شيلي سوف تذهب إلى الاستديو في السادسة صباح الاثنين)ولم أفهم شيئًا مما تعني..فقد كنا يوم الجمعة..ولكني عرفت بعد ذلك أن إيفون كانت تقصد أنني سوف أنسى وأغرق في جسد إيرول فلين حتى الجمعة التي تليها فأرادت أن تنبهني إلى موعد يوم الاثنين!! والحقيقة أنني قضيت شهر عسل كامل ذقت فيه طعمًا للرجال لم أعرفه من قبل،وبدأت أعذر الفتيات الصغيرات والنساء الناضجات حين يتهافتن على إيرول فلين. إنه نموذج متكامل للرجل بجسده القوي ورائحته التي لا تقاوم".

ومن ذكرياتها عن علاقتها بالمثل الشهير برت لانكستر، ذكرت هذه الواقعة الغريبة:"لقد ظلت ذكرياتي مع برت لانكستر دائما عالقة في ذهني وقلبي، إنني مازلت أذكر هذا الحادث الطريف الذي وقع لنا عندما ذهبنا ذات يوم إلى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء فمنعونا من الدخول لأن برت لانكستر لم يكن يرتدي رابطة عنق كما تنص تعليمات الدخول فقمنا على الفور بشراء واحدة ثم قررنا الآتي للرد على تصرفهم معنا فقد ارتدى برت لانكستر رابطة العنق ثم خلع البنطلون!

فلم تكن التعليمات تنص على ارتداء بنطلون،كما خلعت أنا أيضًا الجوب) !
ودخلنا المطعم على هذا الشكل وسط دهشة الحاضرين ثم تصفيقه؟!

ملكة جديدة فى المنفى لفاروق؟!

بدأت مذكرات: إيرما كابريس بهذة العبارة الفجة " الملكة المصرية كليوباترا.. سرقت اثنين من أفضل قادتنا: قيصر وأنطونيو.فلماذا لا تفعلها إيطالية لمرة واحدة مع أحد ملوك الشرق؟!

فجأة وبلا مقدمات، طلب أمين فهيم "سكرتير فاروق" من السلطات المصرية العودة لمصر، بحجة مرض والدته، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر بسرعة على الطلب، وبمجرد حضوره حدد له السادات الذي كان يتولى وقتها الإشراف على جريدة الجمهورية موعداً معه.وفي جلسة جمعت السادات وأمين فهيم سمع فيها السادات أخبار فاروق في المنفى وتفاصيل حياته وبعدها طلب من أمين فهيم كتابة مذكراته عن هذه الفترة في جريدة الجمهورية وكتب فيهم أكثر من عشرة حلقات ثم توقفت هذه المذكرات وعين في رئاسة الجمهورية وعمل في نفس الوقت سكرتيراً لمطلقة فاروق الملكة ناريمان، وقيل وقتها أنها أرادت أن تستفيد من اتصالاته في استرداد أموالها التي أودعتها في سويسرا من حصيلة بيع عدد "44" قطعة من المجوهرات قدرت قيمتها

سنة 1954 بـ 100 ألف جنيها، وكان مما جاء في هذه المذكرات: أن الملك فاروق ترك وصية للملك سعود بن عبد العزيز عهد فيها بأولاده للملك ليكونوا في كنفه وتحت رعايته وحراسته، وأوصى بألا يكون لزوجته السابقة ناريمان والدة ابنة أحمد فؤاد، ولا لفريدة والدة بناته أي حق في تركته. وأنه يعهد إلى سكرتيره "أمين فهيم" ومربية بناته "سيمون تابوريه" أمر أطفاله وتدبير شئون زواج البنات وفق شروطه التي أعلنهما بها، وكانت هذه الشروط: أن يكون الزوج مسلم، وأن يكون غنياً، وألا يكون من ضباط الثورة الذين عزلوه.

أن الملك على علاقة بفتاة إيطالية من أسرة فقيرة اسمها "إيرما كابريس" وأنها توغلت في حياته حتى أصبحت تقيم معه في بيته تحت سمع وبصر بناته، وأن أمين فهيم قد حذر الملك من أن مثل هذه العشيقة التي تكاد أن تكون رسمية لا يجب أن تنجب منه، وأنه يعتقد أن الملك يتخذ التدابير التي تمنع حدوث الحمل.

أن الملك يعيش في إيطاليا في بحبوحة من العيش وأنه هرب المجوهرات الملكية إلى إيطاليا وأن تهريب الذهب قد بدأ خلال سنتين قبل خلع فاروق وقيام الثورة، حيث قرر أمين فهيم أن الملك كان يحول الهدايا الذهبية التي تأتي إليه إلى سبائك في معمل صغير أقيم خصيصاً لذلك في قصر عابدين وأن الذين كانوا يهربون النقود والسبائق الذهبية هم "أنطونيو بوللي والسياسي أندرواس وحسن عاكف".

أما أغرب ما قاله أمين فهيم أن الملك له صديق هو فرناندیز وهو من الأعضاء البارزين في عصابة "آل كابوني" وأنه اتفق معه على تخليص بوللي من سجنه في مصر وأن فرناندیز يريد أن يكرر عملية رجال هتلر عند اختطاف موسوليني من سجون إيطاليا، ويستعد ويستعين لذلك بطائرة كندية ورجال وأسلحة أمريكية؟!!

والشيء المضحك إن بوللى في ذلك الوقت كان حراً وأفرج عنه وبقي في القاهرة وافتتح مطعماً فيها حيث لم يتوقف عن الإدلاء بالأماكن التي أخفى فيها فاروق ثروته، ولم يترك سراً واحداً يعرفه إلا وأعلنه للبوليس، بل أن البوليس عندما قام بتفتيش بيته ووجد فيه عشرين رطلاً من الحشيش قال بوللي: إنها خاصة بالملك فهو لا يشرب الخمور ولكنه يحب الحشيش!! والمهم تغيرت كل المعلومات التي أدلى بها "أمين فهيم"، الوصية ألغاها فاروق بعد أن أصبح الملك سعود خارج السلطة وأخرج اسم سكرتيره الخاص عم أمين فهيم منها وكذلك مربية أولاده، وأعاد كتابتها بجعل النصيب الأكبر للثروة لأبنه أحمد فؤاد متصوراً أن النقود قد تسانده في استعادة عرش أجداده!! في الوقت المناسب، وأعلنت جريس كيلي أنها الوصية على أحمد فؤاد ابن فاروق.. إلا شيء واحد لم يتغير الفتاة الإيطالية إيرما كابريس، سندريلا التي ظهرت في حياة فاروق فأراد أن يقوم بدور الملك الأسطوري وينقلها من الكنس والمسح إلى الحياة الأرستقراطية ولم تكن في الحكاية فردة حذاء ضائعة عند هروب سندريلا من القصر فالفتاة التي عرفها فاروق حافية وابنة سائق تاكسي ولكنها الأقدار!!

وحينما ظهرت الصور في المجلات الأجنبية وأغلفة الصحف كان من الواضح أن الوصف الذي خلعه عليها أمين فهيم مختلف تماماً.. فقد وصفها السكرتير السابق للملك فاروق: بأنها النسخة الإيطالية للمغنية الفرنسية أني بربيه صغيرة، ومثيرة، وغاوية للغناء، ولعله أراد أن يقرب الصورة للقارئ لمذكراته في ذلك الوقت فقد كانت آني بربيه آخر نساء فاروق قبل اقترانه بالملكة الثانية "ناريمان" وكانت حكايته معها في أواخر 1949، 1950. وقد انتهت حكايتها معه بظهور الممثل الفرنسي "جان بيير" في مصر فقد هامت به وأحبته وضربت بتهديدات فاروق لها عرض الحائط فلم يجد إلا طريقة قديمة ليعلن انتصاره أرسل سراً لزوجته الممثلة "ماريا مونتر" التي وصلت فجأة للقاهرة وعادت بزوجها تسحبه لفرنسا.

أما "إيرما كابيس مينوتولو" والتي يقول عنها الإيطاليون "إيرما كابس روتوتالو" أي إيرما القادرة فهي "آني بيريه مضروبة في 3" على الأقل. غجرية شقراء، عيون واسعة، وشفاه غليظة، وصدر منتفخ، شيء سينما فيليني. إنها المقاسات الإيطالية في حين أن آني بيرييه المقاسات الفرنسية البيتيه.

وكان من الممكن كتابة قصة حياتها مع فاروق عبر مجلدات وكتب سبق تعرضت لذلك فهي المرأة الرسمية الأخيرة وأطول امرأة عاشت مع فاروق في المنفي أكثر من 11 سنة، ألا أنها أراحت من ذلك فقد قابلها الصحفي الكويتي أحمد الجار الله في 1990، وفجرت قنبلة حينما اعترفت بأنها كانت حاملاً في شهرها الثاني من الملك وفقدت جنينها عند وصول النبأ المشئوم بوفاته في 17 مارس 1965.

وفي 1997 ذهب الصحفي "رضا حامد – مراسل أخبار اليوم في روما" ليقابلها فور إعلانها الاستعداد لكتابة مذكراتها والتي عنوانها "كنت زوجة الملك فاروق" وقالت له: لقد طلبوا مني حقوق طبع ونشر وتوزيع قصتي مع "الملك" في الولايات المتحدة وفرنسا، وأيضاً إيطاليا، ولكنني أفضل التنازل عن حقوق النشر لدار مصرية، لأن أحدا من مصر لم يتصل أو يطلب فقد صدر الجزء الأول من مذكراتها في إيطاليا وفيه تقول: "ليس عيباً أو ضد قوانين الحب أو الجغرافيا والتاريخ أن يقع ملك عربي شرقي في حب إيطالية، فقد أخذت كليوباترا المصرية اثنين من أفضل قادتنا الزوج القيصر والعشيق أنطونيو، وقد أخذني فاروق وهو نصف ملك وذهبت إليه وأنا نصف أميرة فأنا لي تسعة من أفراد عائلتي كانوا بطاركة في الكنيسة الكاثوليكية.. لقد قررنا أنا وفاروق الزواج، وقمنا بإعلان ذلك أمام الأصدقاء، لكن لأنه لم يكن زواجاً معترف به في الديانة الإسلامية أو من جانب الكنيسة الكاثوليكية لم يكن ممكناً تسجيله رسمياً. وقد ذهبت لإمارة موناكو بخصوص عمل وضع رسمي لجنين في أحشائي من جلالة

الملك، ولكن جاءت الريح بخبر غرق السفينة.. مات فاروق وتلقيت النبأ وأنا حامل في شهري الثاني في مونت كارلو كان الاتفاق أن يأتي فاروق لنعيش حتى أضع المولود هناك في هدوء، ولكن عندما أتاني الخبر غادرت مونت مارلو وفي اليوم الثاني لعودتي نقلوني إلى المستشفي لأفقد جنيني للأبد.

ومن يشاهد الفيلم الذي أنتجه فردريك ميتران الصحفي والمذيع بالتليفزيون الفرنسي "ابن شقيق رئيس فرنسا" عن الملك فاروق فسوف يراني في جنازة الملك في شوارع روما في إبريل سنة 1965 كنت أمشي خلف النعش الملفوف بعلم مصر الأخضر القديم بجوار ابنه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً وخلفنا مباشرة بنات فاروق في ملابس الحداد ومعهن الملكة فريدة. هنا فقط احتللت مكانتي الحقيقة أمام الحقيقة الوحيدة الأكيدة في حياتنا "الموت" ظهرت كملكة ثالثة لفاروق لا يستطيع أحد إبعادها عنه!!

وتقول إيرما: لقد جاء الملك فاروق إلى إيطاليا ليعيش في منفاه الاختياري بعد ثورة 23 يوليو عام 1952، وفور وصوله مع الملكة ناريمان زوجته، أقاما في جزيرة كابري، وكان أول لقاء لي معه مثيراً للغاية؛ فقد كان أبي وقتها رئيساً لنادي التجديف الإيطالي بمدينة نابولي. كان ذلك منذ حوالي 40 عاماً، وكان نادي التجديف الإيطالي يضم أعضاء من بين نبلاء أوروبا وأقام أبي مأدبة غذاء تكريماً لفاروق وزوجته "الملكة ناريمان". وكنت وقتها طفلة صغيرة في السابعة وتم اختياري لتقديم باقة الزهور "للملك" أثناء مأدبة الغذاء، وتقدمت نحو "صاحب الجلالة" وانحنيت أمامه وقدمت له باقة الزهور بين تصفيق الحاضرين. وانتهت مهمتي عند هذا الحد. ومرت الأعوام وفي ثاني لقاء لي مع "الملك" كان عمري 15 عاماً، كنت قد حضرت مع والدتي إلى شاطئ كابري وفي كازينو "كانزون ديل مار" الذي كان يمتلكه نجم موسيقى إنجليزي هو جراسي فيلدز قابلت فاروق، وكان هناك إحساس متبادل بالإعجاب حين لمحني

بالبكيني، وتقابلت عينانا وخلع نظاراته الداكنة وحملق في. وقد تأثرت جداً به من النظرة الأولى كان في عينيه اللون الأزرق والأخضر في تداخل غريب وشعرت بأنني أقف أمام التجسيد البشري لأبي الهول لم تزعجني ضخامة حجمه، بل شعرت أن هذه الفخامة جزء من ملكيته، وشعره الأصلع، بدانته، نظارته الداكنة كل هذه الأشياء جعلت منه ملكاً حقيقاً وليس صبياً. رغم أنه لم يجاوز عمره في هذا الوقت اثنين وثلاثين عاماً، وفجأة نهض فاروق ومعه محام مهم من نابولي وحرك شعري الأحمر في حنان وسمعت المحامي يذكره بأني الفتاة التي قدمت له الورود في نادي التجديف..

وفي اليوم التالي رد لها فاروق الجميل بإرساله مائة وخمسين وردة على الفندق التي كانت تقيم فيه مع والدتها، وعلى الرغم من أن إيرما ووالدتها كان المفروض أن يبقيا في كابري طوال هذا الشهر إلا أن وصول الورود من فاروق جعل الأم تعد حقائبها وتعود مع ابنتها إلى نابولي. السيدة كابيس مينوتولو كان وجودها في هذه الظروف غير مرغوب فيه على الإطلاق لقد كانت سمعة فاروق في استهتاره مشهورة على المستوى العالمي، وبالإضافة إلى ذلك كان رجلا متزوجاً، كانت الزوجة الثانية الملكة ناريمان التي انبهر بها وهي تبلغ من العمر ستة عشر عاماً "تماماً كما كان الوضع بالنسبة لزوجته الأولى فريدة" لقد كانت هذه الزوجة تعيش معه هي وابنها الطفل فؤاد وبنات فاروق الثلاثة من فريدة وهن فريال وفوزية وفريال حيث كانت عائلة فاروق عندها ولع بالحرف "ف" كان والده فؤاد يظن أن هذا الحرف يجلب الحظ فسمى أخواته الأربع فوزية، فايزة، فائقة، فتحية.. لم تكن تريد والدة ايرما أن تنضم ابنتها إلى عائلة "ف"، ولكن كان الملك مخلوعاً من عرشه منذ وقت قصير فقط وكانت لديه أساليبه الملكية، بحث عن عنوان إيرما في نابولي وأخذ يرسل لها صحبة كبيرة من الورود كل يوم وكانت والدتها تعترض على هذه الورود وتتخلص منها فوراً. ثم بدأ يطلب إيرما تليفونياً ولكن لم يسمح لها بالرد على التليفون، ذات يوم كانت والدتها بالحديقة ورفعت إيرما سماعة التليفون. لقد كان الملك يريد أن يعرف رأيها في الورود التي

يرسلها وسألته إيرما أي ورود؟ ودخل فاروق في الموضوع فوراً بلغة إيطالية سليمة وبصوت قوي وحنون ومقنع لا يدعو للشك على الإطلاق أخبرها أنه يحبها وأنها الشعاع الوحيد في ليله الطويل في هذا المنفى كان يريدها أن تصبح ملكته الثالثة.

كيف يمكن لفتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً أن تقاوم مثل هذا الشيء؟.. وبعد ذلك اختفي فاروق ولم يرسل وروداً ولم يطلبها تليفونياً لقد انتهى الحب الملكي قبل أن يبدأ. وفي سبتمبر رجعت إيرما إلى المدرسة الثانوية في "أسكولا برنسيستا مافالدا" وقد جعلتها أمها تخجل من نفسها بدرجة كبيرة، فلم تستطع إيرما أن تخبر أصدقاءها بشيء عن قصتها مع الملك، إلا أنها عند خروجها من المدرسة لم تجد سائقها ووجدت بدلاً منه سكرتير الملك فاروق "أمين فهيم" في سيارة رولزرويس عليها علم مصر الأخضر القديم وتحايل عليها حتى ركبت وانطلقت السيارة بها إلى أحد الجبال وصعد بها لقمته، وهناك كان فاروق بعينيه الغامضة التي تشبه عين أبي الهول وكان أول شيء قالته، إنها قلقة على سائقها أكد لها فاروق أن السائق في أمان وأن سيوصلها إلى المنزل بعد ربع ساعة وأخبرها فاروق مرة أخرى أنه يحبها وأنها تعني الكثير له..

ردت إيرما وهي ترتعش وتذكرت بعض الافتراءات التي قالتها لها والدتها عن كل النساء،آلاف النساء،ضحك فاروق بأسلوب مألوف جعلها تشعر بالراحة.إن الآخرين لا يعنون أي شيء له ولكنها تعنى كل شيء بالنسبة له. وعرض عليها أن تأتي معه: تعالى معي لتصبحي ملكتي الثالثة.. لعب بشعرها مرة أخرى ولكن هذه المرة انفجرت في البكاء وخرجت من العربة وأسرعت إلى أعلى الجبل للعربة ألفاروميو حيث كان سائقها منتظراً. وعقدت اتفاقاً معه إذا لم ينطق بشيء لن توشي به، ووافق السائق على ذلك.مر على هذه الحادثة أسبوعان ولم تسمع شيئاً من فاروق الذي كان يعيش مع أسرته في ضيعة كبيرة خارج روما في جبال الألب كانت المدينة تسمى "جروتا فيراتا" بجانب القصر الصيفي للبابا عند كاستل جاندوفلو في أثناء الفسحة،

اقترب منها بواب المدرسة وأخبرها بأن لها مكالمة تليفونية. وإذ بالملك فاروق يخبرها هاتفياً أنه سيرسل لها باقة من الورود في اليوم التالي وفي هذه الصحبة زهرة واحدة صناعية..ابحثي عن هذه الزهرة وافحصيها بدقة، بدقة شديدة ثم اتصلي بي. وفي اليوم التالي وصلتها باقة كبيرة من الورود عند البواب. بجانب الصخب الشديد للمواسير والغلايات أخذت إيما الورود الرقيقة وأخيراً وجدت الوردة الصناعية وفتحت الوردة وأسكتها الذهول داخل الوردة كان خاتم ياقوت كبير مرصع بالجواهر. وطلبت إيرما فاروق في تليفونه الخاص بيدها المرتعشة وأخبرته بأنه ليس مفروضاً أن يقدم لها شيئاً كهذا.. وضحك فاروق قائلاً أنه يجب أن يقدم لها مثل هذا الخاتم ولكنها تعجبت لماذا أنا، لماذا أنا بالذات وأجابها لأنك مختلفة لأنك طفلة نقية لأنني أعبدك وطلب منها ببساطة أن تفكر فيه ولو ساعة واحدة كل يوم ووعد أن يراها بعد عودته إلى نابولي بعد أسبوعين

ولكنها كانت تفكر في فاروق 24 ساعة في كل يوم، واستطاع سكرتيره مرة ثانية أن يجدها وأخذها لفاروق في غرفة خاصة في أحد المطاعم البحرية ولم يفعل فاروق معها أكثر من إعطائها خطاباً لتقرأه في المنزل، وكان الخطاب أكثر إثارة من الخاتم الياقوت في الوردة الصناعية، سكب كل أحاسيسه على الورق ووقع على الخطاب "الملك فاروق".

وتستطرد إيرما في جملة توضح أنها كتبت مذكراتها حديثاً "إنني حينما شاهدت حلقات "الجريء والجميلات" ورأيت ألاعيب ريدج مع الفاتنات وكيف يضع الخاتم في كأس الشراب ويفاجئ الفتيات بالمفاجآت أقول قديمة أين كل هذا مما فعله فاروق؟! خاتمه الياقوتي لي... وأغنية النيل لآني بريبه. وادعاء أنه ناشر ليدخل حياة الكاتبة الإنجليزية بربارا سكيلتون. إن فاروق قضى حياة قصيرة، كان متجاوزاً فيها كل شيء يجب أن يكون هذا الرجل أحد عجائب القرن العشرين".

وفي مارس 1953 كانت عناوين الصحف الرئيسية أن ناريمان قد تركت فاروق وأعلن الملك بيانًا رسميًا يتهم فيه الرئيس المصري محمد نجيب بأنه السبب في القضاء على زواجه السعيد حيث إنه استخدم كل الأسلحة الممكنة للقضاء على هذا الزواج وهي متمثلة في والدة زوجته. ودققت إيرما في صورة ناريمان وهي ترتدي الفراء الأسود والنظارة السوداء مع والدتها أصيلة صادق التي كانت ترتدي مثلها. ومعها كلبها الأسود جوجو وقد استقلوا طائرة إلى جنيف.

بعد عدة أسابيع من طيران ناريمان إلى سويسرا ثم إلى القاهرة اتصل الملك فاروق مرة أخرى بإيرما عند بواب المدرسة. الآن أدركت أنها ستصبح الملكة رقم ثلاثة. كان فاروق يدعوها لتعيش معه في "جروتا فيرتا".. بالنسبة لإيرما علاقتها الوحيدة مع فاروق لم تتعد مداعبته لشعرها كان ذلك يعادل تقدمه للزواج منها. وفي نظر والدتها كان ذلك جنونًا. بالنسبة لوالدها العجوز لم يعرض عليه الأمر كليًا لاستحالة تحقيقه. على الرغم من ذلك شعرت السيدة كابيس مينوتولو بأن ابنتها تحبه بجنون.
بعد انتهاء مدرسة إيرما في يونيو، اضطرت والدتها أن ترضخ قالت لإيرما إذا كانت هذه مشيئة الله "فلينفذ الله مشيئته" وفي النهاية أخبرت والدها بأن إيرما ستذهب إلى روما في الصيف لمدرسة لغات لتحسن لغتها الفرنسية. ولم ينفع العذر حيث إن بير كابيس مينوتول فكر أن تعليم الفرنسية غير ضروري ثم فكرت في شيء آخر ستعيش إيرما هذا الصيف مع مجموعة دينية أخوات القلب المقدس. في دير بالقرب من الدرجات الأسبانية ونجحت الخطة الدينية أكثر من خطة تعليم الفرنسية ووافق والدها. كان والدها يعمل يوم رحيلها ولم يستطيع أن يرافقها حتى محطة قطار نابلي حيث ركبت سيارة فاروق الرولز رويس إلى جروتا فيرتا لمنزله الذي يشبه الحصن "فيلا داسميت".

هبط فاروق الدرجات وقبل يد إيرما ببطء وإحساس مرهف ولم يفعل أكثر من ذلك ثم أخذها لترى الفيلا وقدمها لبناته الثلاثة ولمربيتهم الفرنسية الآنسة تابورييت وإلى فؤاد الصغير ومربيته الإنجليزية الآنسة تشير مسيد. كانت إيرما في مثل عمر ابنته فريال شعرت بالخجل لوجودها هناك ما الذي تقوله؟

لا شيء.. استمر فاروق في جولته معها إلى جناحها الخاص كانت غرفة نومها حديثة في ديكورها، ولكن ما أذهلها بشدة كان حمامها الواسع الرخامي بحوض الاستحمام الغائر مثل حمام ريتا هيوارث في السينما التي رأته إيرما، وأخبرت فاروق عن إعجابها به عندما كانا معًا بعد الظهر في باسيليبو.

كانت هناك كذلك مربية ثالثة سيدة ألمانية أكبر من الآخرين واستدعاها فاروق خصيصًا لإيرما لزوم الأسابيع المقبلة، الألمان الذين عينوا سابقًا مع العائلة الملكية الإنجليزية، سيدربون إيرما على أصول الإتيكيت مثل الجراحين المدربين. قبل الزواج من ناريمان أرسلها فاروق إلى روما لتتعلم الأصول الاجتماعية والآن هو مصمم على تعليم إيما "كما كان يدللها فاروق" هذه الأصول الاجتماعية لقد قضت ساعات في طرقات الفيلا لابسة لروب بذيل وكتاب واحد فوق رأسها ودخلت إيرما حياة فاروق ولو تخرج... خرجت روح الملك ولم تخرج إيرما.

ظلت إيرما تكتب لوالديها قصصًا خيالية عن حياتها في الدير ولكن في خلال شهر واحد كانت صورتها على غلاف جميع المجلات الإيطالية الحقيرة وكان والدها معرضًا للإصابة بالسكتة القلبية. قرر فاروق الذهاب إلى نابولي لمواجهة الأسرة إلا أن والدها ظل ساخطًا. لماذا لم يأت الملك ويستأذن مني قبل أن يأخذ إيرما، ورد عليه فاروق بأنه لو كان جاء إليه بهذا الطلب لكان حبسها في دير للراهبات مدى الحياة. ظل السيد كابيس مينوتولو غير موافق على هذا الوضع ولم تستطع إيرما العودة مرة أخرى إلى منزل أسرتها. كانت قاصرًا وكان فاروق مسئولًا عنها، بعد هذا الاجتماع لم تر

إيرما والدها لمدة ثلاثة أعوام.الذين كانت تراهم هم الملوك وجميلات أوربا، في 1954 استأجر فاروق فيلا كبيرة أخرى خارج لوسان لأولاده ليرسلهم إلى مدارس سويسرية وأخذ إيرما معه في جولة طويلة استمرت لعام ونصف ذهبا إلى سانت موريتز إلى تشامونيكس إلى كيسبول إلى كورتينا من الأمير والأميرة هوهيلنو إلى البارون والبارونة فون تيس، إلى الأميرة ليتشنستون. كانوا يشترون من باريس وجنيف، يلعبون القمار في بيارتيز ومونت كارلو قضوا وقتًا على يخت أوناسيس وفي رينيه وفيلات الأمراء السعوديين. سافروا مع الحراس الثلاثة الألبانيين، وحارسين اثنين إيطالين، ومديرتي منزل، واثنين من السكرتارية الذكور، كان ذلك السفر في عربة نوم خاصة بقطار أو في قافلة من عرباتهم الرولزرويس والعربتين المرسيدس وكانوا يحملون أمتعتهم في أتوبيس، كل ذلك كان بلون علم مصر الأخضر.

وعندما عادوا إلى روما في 1956 اشترى فاروق دورًا كاملًا من مبنى لنفسه في فيلا أرتشميد في بارويلى وأجر شقة لإيرما بطابق آخر في نفس المبنى.على الرغم من كل الأوقات التي قضاها معًا لم تشعر إيرما بأنها تعرف الكثير عن فاروق. في سفرياتهم كانوا دائمًا في جناحين منفصلين. عن عودتهما إلى روما كانت تراه ليلة واحدة أو ليلتين من كل أسبوع ليذهبا إلى الأوبرا أو إلى مناسبات ديبلوماسية أو أحد الأعمال الرسمية. جعل إيرما مشغولة دائمًا مع مدرسي موسيقى خصوصيين كان حلمها أن تصبح مغنية أوبرا وكان فاروق حريصًا على أن يكون أبوها في آمالها الفنية. كانت والدة إيرما هي الأخرى تريد أن تغني ولكنها تنازلت عن أحلامها لتتزوج وتحظى بإيرما. تدربت إيرما يوميًا على الغناء، أولًا لتصبح نجمة وثانيًا تبرئ نفسها وملكها في نظر والديها. لم يعد فاروق يأخذها إلى الملاهي الليلية ولم يأخذها قط في حلقات القمار منذ أن بدأت تدريب الغناء لم يتحدث معها أبدًا عن السياسة ولم يتكلم معها كذلك عن شئونه المالية ولم يأخذها لزيارة أسرته في سويسرا ولم يخبرها عن خططه.

لقد كانت مراهقة وكانت براءتها الشيء الوحيد الذي أسعده بها وهي كذلك كانت تخاف أن تسأل الملك أي أسئلة فيها تطفل.
ولأن موضوع الجنس كان أول شيء يستفسر عنه بالنسبة لفاروق، فقد قالت إيرما كان السؤال المخيف في مذكراتي أي نوع من المحبين كان الملك؟! وكان لا بد أن يحمر وجهي فقد وصلت إلى جلالته والجنس عنده طبيعيًا جدًا وحاجته له كأي رجل بلا مراهقة ولا مغالاة، وأنا أحاول أن أتجنب هذا الموضوع فالجنس لم يكن له أهمية بالنسبة لنا..

وكنت طفلة صغيرة. تركنا أنفسنا لرومانسية افتقدها العالم وأحتاجها فاروق، نركب الفسبا معًا، نغني معًا. أما الأشياء الجنسية غير المألوفة فقد أبقى عليها للأخريات، فلا أنا ولا ملكتين قبلي استطعنا إيقاف الملك عن: القمار والنساء. فأنا مثلًا لم أر إطلاقًا مجموعة الصور الداعرة التي تحدث عنها كل من كتب عن الملك وقالوا أنها في حقيبة كتب كبيرة مغلقة وقالت: كان هناك شيء آخر، كان عنده زوج من القيود وفي بعض الأحيان كان يقيدها في كرسي ولكنها كانت مجرد لعبة. ومرة أخرى كانت عنده سلسلة خاصة يلبسها على أصابعه ويحبسها بها، وقالت إيرما مجرد لعبة أخرى فلم تكن قصتي معه موضوعًا جنسيًا ولكنها قصة من قصص بيجماليون عن ملك أسقط من عرشه ومراهقة فقيرة من الشوارع الضيقة.

كانت أعظم وأفخر لحظة لإيرما مع فاروق في أبريل عام **1963** عندما عادت على نابولي مرة أخرى لتظهر على المسرح لأول مرة لتغني على مسرح الفن، كانت تلبس تاجًا مرصعًا بالجواهر وعقدًا من الزمرد وغويشتين كبيرتين من الياقوت استردهما فاروق من ناريمان عندما تركته. كاد العرض أن يتوقف نتيجة لانقطاع في التيار الكهربائي استمر لمدة نصف الساعة، ولكن فاروق أنقذ الموقف حيث أمر بإحضار الشموع من كنيسة قريبة. وقدمت إيرما فنها لحشد كبير يتضمن عائلتها بأكملها

الذين صفحوا عنها حينئذ. كانت الألحان لوبسيني وفيردي. في نهاية العرض بدأ فاروق حيث كان جالسًا في الصف الأول في موجة التصفيق والدموع في عينيه ثم اندفع إلى المسرح بباقة كبيرة من الورود حيث توج بها سيدته وتخرج منها أهه وتقول "آه لو عاش ليرى" فقد حصلت إيرما فيما بعد على جائزة ماريا كالاس في الغناء، وغنت إيرما في فيلم عايدة مع تيلور العبد وكان دورها ابنة فرعون، ولعبت دورها الأخيرة كمغنية أوبرا في فيلم لفرانكو زيفوللى عام 1988.

وتتحدث إيرما عن الليلة الأخيرة في حياتها مع فاروق؛ فتقول كنت حاملًا منه في الشهر الثاني، وكان يعرف ذلك، وفي ذلك اليوم المشئوم أرسلني إلى الأمير رينيه لتناول الغداء معه ولترتيب أمر هذا الحمل، وكان ذلك بناء على ترتيب سابق وفي العاشرة صباحًا فوجئت بنبأ موته وأنا في مونت كارلو وقالوا يومها أن الوفاة نتجت عن انفجار في الدماغ وقد انزعجت كثيرًا، خصوصًا عندما علمت أنه مات وهو يرافق أحد النساء؛ ففي الليلية التي مات فيها جاء إلى البيت وقال لي "تصبحين على خير" وخرج ليلعب القمار، على أن نتناول طعام الغداء معًا في اليوم التالي مع الأمير رينيه، وبخاصة أنه في فترة حياتنا الأخيرة كان له شقته الخاصة وكان لي شقتي الخاصة أيضًا، ولم تكن علاقاتنا مضطربة كما ادعى البعض، ولكن أعرف أن هناك أكثر من امرأة شهيرة في حياته بعضهن ينتمي لعالم السينما وبعضهن لا يزلن على قيد الحياة، ولا أريد ذكر أسماء. ولكن من تريد أن تعاشر فاروق عليها أن تعرف أنه سيجلس معها على نفس المائدة امرأة أو امرأتين غيرها!!وتعود فاروق أن يكذب عندما تكون له علاقة مع امرأة غيرها، كان يختفي عنها لأربعة أيام أو أكثر، ثم يعود حاملًا باقة ورود وأحيانًا قطعة مجوهرات يقبلني، ويعتذر عن غيابه وهدايا فاروق كانت مؤشرًا على أنه يرتكب ذنب بحقي أراد التكفير عنه. ولكني كنت أصدقه الآن أشعر كم كذب علي؟! إن مجوهراتي التي كلها هدايا منه وأشعر وأنا أرتديها بأنها تربطني به وأنه لا يزال يصاحبني ولاصق بي، هل يمكن أن يكون عرف بعددها نساء بعدي؟ ولكن نهاية فاروق كانت متوقعة فقد كان يعاني من ضغط دم، وحذره أطباؤه كثيرًا من هذا

المرض، ولكنه كان شرها في السجائر والسهر، فهو رجل من برج الحوت هوائي وغير مستقر وعلى كل حال فإن تقارير الشرطة عن وفاته كانت مقنعة لي.أما أنا ماریاجاتی الفتاة الشقراء التي تبلغ العمر واحدًا وعشرين عامًا تلك الفتاة الغرامية التي كانت برفقة فاروق يوم وفاته. لقد اصطادها فاروق بنفسه وذهب معها بدون حارس شخصي في سيارته الفيات البيضاء طراز 2300 "حيث كان قد باع السيارة الرولزرويس" في شقتها في "فيا أوستيار" منطقة سكنية فقيرة لنهر التيبر بجانب مخازن محلات روما التجارية التابعة للقطاع العام. ثم ركبوا السيارة إلى نيا أوريليا أنتيكا بفندق ريفي اسمه "أيل أوف فرانس" لتناول العشاء عند منتصف الليل. تناول فاروق اثنتي عشر قطعة جمبري نيئة مع يخني التوباسكو سرطان البحر، ضأن أوزي مشوي بطاطس مشوية، الكستنائي مونتو بيانكو بالكريم وبرتقالتين زجاجتين كبيرتين مياه وكوكا كولا للهضم ثم أشعل سيجار هافانا كبيرة وأخذ نفسًا طويلًا ثم أخذ يتنفس بصعوبة وأمسك رقبته بشدة في أول الأمر ظن العاملون بالمطعم أنه كان يمثل أو كان يقوم بإحدى دعاباته الساهرة التي كان مشهورًا بها ولكنه أنكفأ على المائدة ولم ينهض مرة أخرى. استدعوا عربة إسعاف الصليب الأحمر ونقل الملك إلى المستشفى سانت كاماليو حيث فشلت محاولة إنقاذه وأعلنت وفاة فاروق الساعة الثانية وثماني دقائق صباح 18 مارس 1965. وكان معه 1000 دولارا أمريكيا و 10000 ليرة إيطالية وعلبة دواء ذهبية لدواء الضغط المرتفع وباريتا 6.53 في علبة منجدة.

أنا ماریاجاتی اختفت ووالدتها التي كانت تدير محلين للتجميل اختفت هي الأخرى بعد موت فاروق بعد أن باعت المحلين.[1] ولم تجر أي عملية تشريح حيث لم يقدم أحد

[1] برغم ما قررته إيرما كاييس من أنها تعتقد أن فاروق مات بانفجار في المخ وأن وفاته طبيعية فقد ظهرت عدة شائعات أخرى تؤكد أنه مات مسموماً. فمن رأي ديميليو محامي الملوك الإيطالي أن الشيء الوحيد الذي كان يخاف منه فاروق هو الاغتيال؟! ولذا كان يحمل مسدساً معه! وأنه يعتقد أنه رغم مرور ثلاثة عشر سنة عن تخليه عن العرش فإن هناك كثيرون يريدون موته!!

طلبًا بهذا وطبيب فاروق الخاص الدكتور لويجي دوناتي قال: إن الملك الذي يزن أكثر من ثلاثة مائة رطل في هذا الوقت كان مصابًا بضغط دم مرتفع. كان يرجح أن سبب الوفاة يكون نزيف بالمخ. لا توجد ملفات في البوليس بخصوص هذا مما يعني أنه لا شبهة جنائية في الأمر، ولا تنسى إيرما كابيس على طول مذكراتها أن تنقص من شخصين "أمين فهيم" سكرتير الملك والملكة ناريمان حتى أنها تتهمهما بالتآمر على فاروق وأن بينهما علاقة لها رائحة الخيانة، وقد قررت في مذكراتها أن الذي اختطفها لفاروق في السيارة الرولزرويس هو "أمين فهيم" نفسه وصورته بأنه سحلية ذكية ولكنه ذكاء الأفاعي.

فأمين فهيم الذي أحضرها للقصر أراد يغيرها بأخرى فسرب لفاروق معلومة من أن ما تدعيه إيرما بأنها مركيزة تنتمي لأسرة مينوتولوا العريقة هراء، وأنها ابنة سابق تاكسي

قرر زويتس رئيس الجمعية الإيطالية المصرية بأن فاروق قتل، وأنه سمم ببطء عن طريق خادمة مصرية كانت تعمل لحساب عبد الناصر سراً

ظهرت شائعات وكتب حول اسم "إبراهيم مصطفى بغدادي" وأنه دس السم لفاروق في الطعام وأن تكاليف هذه العملية زادت عن مليون جنيها، وزجاجة صغيرة من الأكواتين الذي يقتل دون أن يترك أثراً. ولكن إبراهيم بغدادي فند ذلك ونفاه في أكثر من حوار وقال أنها شائعة راجت عند محاكمة جهاز المخابرات وصلاح نصر ولكنها بلا دليل ولا معنى.

الصحفي هيوج ماكليف صاحب كتاب "أسرار ملف الملك فاروق" أكد أن الأطباء الايطاليين لم يشكوا لحظة في وجود سبب جنائي للوفاة، وأكدوا أن الأعراض كانت بالغة الوضوح لدرجة لا تستدعي أي إثبات.. سكتة قلبية من السهل حدوثها لرجل في وزن فاروق يعاني من ضغط دم مرتفع.

رأي لعادل حمودة في كتاب "الملك أحمد فؤاد الثاني _ الملك الأخير وعرش مصر": في ذلك الوقت كان فاروق قد استكان وكف حتى عن المؤامرات الساذجة، فلا كان يفكر في العرش، ولا كان يمكنه استرداده. ولم تكن علاقة مصر وإيطاليا على ما يرام. ولو كانت المخابرات المصرية قد فعلتها لاستغلت إيطاليا ذلك في التشهير بنظام ناصر. بل أن إيطاليا قد فعلتها مع السادات وفي وقت كانت العلاقة المصرية حسنة جداً مع إيطاليا ففي سنة 1974 شهرت إيطاليا بعملية نقل الجاسوس الإسرائيلي "يوسف داهان" من مطار "مينو ميشينو" من إيطاليا في صندوق للقاهرة وقامت الدنيا ولم تقعد.

فقير بل أنه دفع من جيبه لأحد أشخاص أسرة "مينوتولو" لرفع دعوى قضائية ضدها بحجة أن الصحف الإيطالية قد أفرطت في فضائحها مما يؤثر على شرف الأسرة. وأنه لم يكن يعرف بأنه بهذه القضية يسيء إلى مليكه فاروق فكل العلاقات التي تداولتها الصحف عني كان طرفها الآخر الملك نفسه، وتحكي كيف أثبتت أنها من أسرة "مينوتولو" العريقة ولكن حتى الأسر العريقة قد تجعل الظروف بعض أفرادها فقراء، لقد علم فاروق بأن أخته فتحية قبل موتها كانت تعمل كاتبة على الآلة الكاتبة، أما الثورة فقد جعلت أميرة من أسرة محمد علي هي ابنة فاروق نفسه تعمل موديلا وفتاة غلاف، إنها الظروف، بل أن هناك ثلاث أسر بلا جذور أو ماض عريق وعلى علاقة بعصابات في إيطاليا يتحكمون في الاقتصاد الإيطالي الآن. وهي تمتن لموقف فاروق الذي كلف أربعة محامين للدفاع عنها في هذه القضية التي ظلت لمدة سنة كاملة انتهت لصالحها.

أما القصة التي أذاعها عنها أمين فهيم ونشرها في مذكراته بالجمهورية وذكرها الكثيرون في كتبهم لشهرتها فهي ترد عليها وتحلف بأغلظ الإيمان بأنها مختلفة. أما القصة فنصها "وفي يوم من الأيام، قال فاروق لأمين فهيم: "أختي فايزة وصلت من باريس روح جبها من اللوكاندة تتغدى معانا"، وجاءت فايزة لتجلس على يسار فاروق.."وفوجئنا بإيرما تجلس على يمينه، بعد أن جلست البنات، وأنا بجوارهم، فأصابتنا المفاجأة بالشلل، ولم نقدر على الانسحاب". وبعد الغداء قالت فايزة: "أنا شايفة إنها مؤدبة، وبنت ناس!" فأخذتها ابنة فاروق الكبرى فريال من يدها لتطل من نافذة حجرتها التي تكشف شرفة فاروق فرأت شقيقها وإيرما وهما عاريين تمامًا. فقالت فايزة: "دي مش مؤدبة، دي سافلة، وبنت ستين كلب!!" ثم استطردت: "هي ما لهاش أهل يسألوا عليها؟!" وأنه لهذا كان يقول أمين فهيم لكل من يسأله عن

"إيرما"[2] بأنها ساقطة تنضم إلى البط الذي يربيه فاروق بعدما افتقد شهية الصيد، إنها مثل الشقراء الأمريكية "دورس" و"إيرين إشفبرج". وترد إيما كابيس بأنها المرأة الوحيدة التي دخلت مع فاروق في المنفى وعاشت بين أسرته وارتبطت بعلاقة صداقة مع الملكة فريدة، واستمرت علاقتها بابنه وزوجته فضيلة أما باقي النساء فكان

---

[2] كتب عادل حمودة قصة إيرما مع فاروق في كتابه "الملك الأخير وعرش مصر" من خلال حوار دار بينه وبين أمين فهيم قبل وفاته "توفي ١٩٩٨" جاء فيه على لسان أمين فهيم وراح فاروق يبحث عن عشيقة جديدة. وقادته الصدفة إلى كازينو "بلندير دي روز" في ليلة كان الكازينو يقيم فيها مسابقة للجمال، وفي طابور عرض الفتيات وقعت عيناه على فتاة رشيقة حلوة جذابة عمرها "١٨" سنة، هي إيرما كابيتش مينوتولو، وبعد دقائق من الفحص والخيال، استقرت في مزاجه. كان ذلك في صيف**1953**، وكان فاروق خاليا، فقد هجرته ناريمان، طالبة الطلاق، سافرت إلى سويسرا.. وأسعده ذلك .. ولكن ما أسعده أكثر هو التعرف على إيرما .. إنها تحمل المواصفات التي يفضلها في النساء .. الفم الشهي .. الصدر الضاغط على الثوب وكأنه يقفز من فتحته.. القوام الممشوق .. الصوت الداعر .. والحنان الزائف. وقد خسرت المسابقة .. وانهار حلمها في أن تصبح نجمة سينمائية.. واحتج فاروق على خروجها من المسابقة.. ودعاها إلى مائدته.. واستجابت على أمل أن تدخل السينما من الباب الملكي.. حيث الثروة، والشهرة، وجنون العظمة.. ونجحت في إقناعه بأنها "ماركيزة" من أسرة عريقة، لا تقل عن عراقة أسرته.. فأحس أنه أخيرا وجد ضالته المنشودة.. وقيل إنه أحبها بجنون.. وقيل إنها فهمت عقدة فاروق النفسية والجنسية، فنجحت في الاحتفاظ به، كما فعلت "كاميليا" من قبل.. والمؤكد أنها ظلت صديقته حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.. والمؤكد أنه ضرب بكل شيء عرض الحائط، ودعاها للإقامة في جناح ناريمان، على بعد أمتار قليلة من بناته وابنه.. وقد بدأ ذلك بنص سكرتيره الخاص، بعبارة ملكية:

– الوحدة صعبة، قاتلة، وغير محتملة يا أمين.

– ابحث عما يشغلك يا مولاي، ويحطمها.

– أنت شفت إيرما في الكازينو.. بنت ناس طيبين، حاتيجي تقعد معانا.

– فين ؟!

–في القصر

أماكنهن مع فاروق، أما كازينو "بلندريدي روز" أو الشقة التي استأجرها في شارع "برونوبوتس" وأسماها الجرسونيرة الملكية وكانت تقع في الدور الثالث.

وتنهي إيرما الجزء الأول من مذكراتها بأنها زارت القاهرة في عصر السادات وأحيت حفلة أوبرا في المركز الثقافي الإيطالي، وأنها كانت تسير في شوارع القاهرة وكأنها تعرفها. وذهبت للحارات ولم تفاجأ بشيء يجعلها تندهش "لقد كنت أطوف في أماكن كأني عرفتها من قبل ولا أعرف هل ذلك سبب إنني من جماعة تؤمن بتناسخ الأرواح أو أن ما حكي لي فاروق جعلني لم أشعر بالغربة. إن نفس الشيء حدث لي عندما التقيت بفاروق أول مرة شعرت أنني أعرفه من زمان سحيق، فالبحر المتوسط جعل هناك علاقة بين وادي النيل وضفوف البحر الأسود في تركيا وإيطاليا". وتقول إيرما في مذكراتها: وأذكر أني قلت للسفير الإيطالي يومها، وقد استبدت بي الذكرى وعاودني الحنين والشوق: هل يسمحون لي هنا بزيارة لقبر لفاروق؟! وفي اليوم الثاني جاءتني سيارة وأخذتني إلى قبر فاروق.. نعم، وقف شعر رأسي. وأخذني انهيار البكاء، وجرفني نهر الدموع.. إقامتي طالت في المقبرة حتى ظن مايسترو الفرقة أن شيئًا ما حدث لي، وأثناء وقوفي بخشوع أمام القبر لا أعرف لماذا خطرت على بالي صورة المرأة المجللة بالسواد، التي ظهرت في فيلم "ذهب مع الريح" وهي تضع باقة من الورود على قبر بطل الفيلم كلارك غيبل، فيمضي بها الوقت أمام الضريح، فيأتي من ينتشلها من بحر أحزانها. هكذا فعل بي مايسترو الفرقة حين طال مكوثي بجوار القبر. لقد اقتحم المكان. وانتشلني من بحر أحزاني، وسحبني إلى الخارج وأنا في حالة عاطفية غريبة.. كنت كالثكلى.. كالمفجوعة، كنت أكثر من ثكلى، وأكثر من مفجوعة. قبر فاروق كان بسيطًا، عكس قبر شاه إيران المحاط بالأبهة والفخامة.. إنكم أيها العرب تختلفون عن الأكاسرة في مسألة العناية بقبوركم.. أسلوبكم مختلف تمامًا عن أسلوبهم ومناقض له. المهم أني بعد هذا الموقف الذي تعرضت له، أدور في شوارع القاهرة، فأتذكرها، وأستعيد شريط حياتي مع فاروق الذي كان ملكًا متوجًا عليها.. في تجوالي هذا والذي كنت فيه أهرب من فاروق إليه، لمست طيبة شعب وادي النيل التي كثيرًا

ما حدثني عنها، وكنت أتساءل بيني وبين نفسي: هل كانت كليوباترا من نفس تلك الطينة التي أجبرت أنطونيو على التخلي عن روما ومجد روما لأجل البقاء معها؟!بعد هذا التجوال العريض في أحضان القاهرة عدت إلى غرفتي في الفندق واستسلمت إلى النوم من عناء يوم حافل، فجأة، وفي الرابعة صباحًا على وجه التحديد، وجدت نفسي أصرخ من الانفعال، وكأني أصحو من كابوس مزعج وبلحظة وعي تساءلت ماذا حدث لي، ولماذا هذا الصراخ؟!وهرع إلي مايسترو الفرقة ومن معه يستفسرون عن أسباب صراخي وذعري، فقلت لهم أني سمعت صوتًا عاليًا صحوت عليه فأفزعني.. ضحكوا من أعصابي المنهارة، وأفهموني بأن ما سمعته كان آذان الفجر الذي يدعو الناس إلى الصلاة، وبعد أن هدأ روعي، وعرفت الأسباب، فتحت نوافذ غرفة النوم. وكتب لي في هذه اللحظة الخارقة، أن أشاهد إشراقة الصبح، وخيوط النور وهي تجلو مساحة الليل من سماء القاهرة.لم يعاودني النوم، ظللت مستيقظة أرقب القاهرة وهي تصحو من سباتها، وطلبت إفطاري مبكرًا، ورحت أتذكر أيامي ثانية مع فاروق. لقد قال لي ذات مرة أنه إذا ما عاد إلى عرشه في مصر، فإنه سيرسلني قبله إليها لأشهر إسلامي، وأصبح مسلمة مثله، ومعنى ذلك أن علي أن أستيقظ في اللحظة التي ينطلق فيها صوت المؤذن بأذان الفجر.

من اسرار السادات عوامة للراقصات

شبح حرب "الحرب العالمية الثانية" بداية من عام 1938كان هو بذرة كل هذا،فقد اتجهت النية إلى توسيع الجيش المصرى،وزيادة عدده،مع رفع مستواه التسليحى.وهى

رغبة اتفق عليها "الملك، والانجليز، والوفد" وكان الإحتلال يراها تدبير جيد مع إحتمالات الحرب،وقد رأت انجلترا فى معاهدة 36 مايجعل مصر تدخل الحرب معها وأعلن عن قبول دفعة جديدة فى الكلية الحربية من الحاصلين على الثقافة العامة فقط، بحجة أنهم سيستكملون تعليمهم فى الكلية الحربية فالحاجة أم الاختراع.وتكرر ذلك بأمر الملك عام 1942 ليمدد للجيش بأصهاره واقاربه واهمهم "إبراهيم خيرى" فقبل 1936 كانت الكلية الحربية لاتقبل إلا عددا محدودا من الضباط،كلهم من الفئات العليا المصرية والدراسة شكلية، فلم يكن مطلوب من الضباط المصريين وقتها، أية مهام قتالية، ولكن فى الفترة من (1936–1940) تدفق من أبناء الطبقة الوسطى للجيش كثيرون،وربما ايضا من الفئات الدنيا مثل (صغار الموظفين– والتجار المتوسطين– وصغار الملاك) وفى ذلك الوقت دخل 88% من الضباط الاحرار للجيش..فمع بداية عام 1940والحرب العالمية مشتعلة لم يكن للجيش المصري قرب الحدود الليبية المشتركة مع حدودنا إلا بعض قوات رمزية من الجيش والطيران في منطقة مرسى مطروح. وكانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة ملازم طيار تقيم معا في شقة مفروشة بمصر الجديدة وهي قريبة من المطار الحربي مطار ألماظة، وكانت هذه المجموعة مكونة من الطيارين:"أحمد سعودي أبو علي وحسين عزت ومحمد وجيه أباظة وعبد اللطيف البغدادي" فشكلوا تنظيما سريا بين ضباط الطيران سموه "تنظيم الطيران" بهدف مقاومة الإحتلال البريطاني، وقاموا بالإتصال بجماعة الإخوان المسلمين للتعرف على مدى إستعدادها للمشاركة في مقاومة الإحتلال البريطاني،وإقترح الاخوان إدماج التنظيمين أي تنظيم الطيران مع التنظيم الخاص بالإخوان المسلمين(ولم يتم الاتفاق) وعن طريق حسين عزت تم ضم "أنور السادات" إلى المجموعة،في ذلك الوقت كان السادات ضابط الإشارة يكره الاحتلال الانجليزى ويحلم بخروج المحتل من وطنه، ومن البداية اتجه الضابط الشاب الثائر ناحية القوى الوطنية التي كان يعتقد أنها تحارب الانجليز،وكان يحلم ويعمل من أجل ثورة مسلحة يقوم بها الوطنيون والشرفاءمن ضباط الجيش.وكان في هذه الفترة مفتونًا

بشخصية عزيز المصرى الاسطورية وكان عزيز المصرى يجاهر بكراهيته للانجليز حتى أن سير مايلز لامبسون السفير البريطانى في مصر طلب إبعاده من الجيش،ولوح بميول عزيز المصرى للمحور،واجتاحت جيوش هتلر أوربا في هذا الوقت،وبدأت تلحق بالحلفاء الخسائر الكبيرة،وبدا أن بريطانيا العظمى لن تستطيع الصمود أمام زحف قوات هتلر،وكان الجيش المصرى يشترك مع القوات البريطانية التي تحتل مصر في الدفاع عن الصحراء الغربية ضد قوات المحور.ولم يكن هناك وطنى في مصر راض عن اشتراك مصر في الحرب لحساب بريطانيا التي تحتل مصر حتى أن الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر أعلنها بصراحة قائلًا:" لا ناقة لنا ولا جمل في هذه الحرب ". وتفجرت أزمة عندما أغضب على ماهر رئيس الوزراء الانجليز عندما قال في البرلمان إن سياسة مصر هي تجنب ويلات الحرب.وغضب الانجليز وطلبوا من الجيش المصرى الانسحاب من مواقعه.وأن يسلم الضباط المصريون اسلحتهم قبل انسحابهم، لكن أنور السادات– بتعليمات واصرار من عزيز المصرى– بدأ يحرض الضباط ويثير مشاعرهم ضد مسالة تسليمهم سلاحهم. وتمكن من اقناع الضباط برفض تسليم السلاح.وفى النهاية اضطرت إدارة الجيش على أن تأمر الضباط بالانسحاب مع الاحتفاظ باسلحتهم ! وتوطدت علاقة السادات بعزيز المصرى،وذات يوم..طلب عزيز المصرى من أنور السادات أن يقابله في محل جروبى،وفى هذا اللقاء أخبره أن الألمان طلبوا منه أن يسافر ليساعد رشيد الكيلانى في ثورته ضد الانجليز بالعراق وطلب عزيز المصرى من أنور السادات أن يساعده على الهروب سرًا من مصر وأخبره أن الألمان بعثوا له برسالة يقولون له فيها أن طائرة ألمانية سوف تكون في انتظاره عند جبل "رزة" بالقرب من صحراء الفيوم ولم يتردد أنورالسادات في وضع وتنفيذ خطة هروب عزيز المصرى سرًا من مصر ووفر بالفعل سيارة طراز " بيك أب " تصلح للسير في الصحراء. لينقل فيها عزيز إلى مكان الطائرة الألمانية التي سيهرب بواسطتها خارج مصر.ولم تنجح الخطة لتعطل السيارة قبل الوصول لجبل رزة ورصد الانجليز إتصالات للسادات مع عزيز.فصدرت أوامر

بنقله إلى منطقة "الجراولة" بمرسي مطروح.ولم يجد أنور السادات أمامه سوى أن يطلب من رفيقه الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف مسالة تدبير هروب عزيز المصرى وبالفعل قام عبد المنعم عبد الرؤوف وزميله حسين صبرى ذو الفقار بالاستيلاء على طائرة حربية وضعا فيها الفريق عزيز المصرى وقررا الاقلاع بها إلى بيروت، لكن ما أن اقلعت الطائرة حتى اكتشف حسين صبرى ذوالفقار نفاذ الزيت واضطر إلى الهبوط بها فوق شجرة بالقرب من مدينة بنها !واهتزت مصر كلهالمحاولة هروب عزيز المصرى ،وكانت الأحداث قد بدات تزداد سخونة،فقد سقطت العلمين في يد القائد الألمانى روميل واصبح على بوابة مصر الغربية .وكان شعور المصريين المعادى للانجليز يتصاعد يومًا بعد يوم وبدأ أنور السادات يحرض زملائه لكى يرسلوا ضابطًا مصريًا إلى روميل في العلمين، ليخبره بأمر التنظيم السرى لضباط الجيش المصريين"تنظيم الطيران" وانهم على استعداد للمشاركة في الحرب إلى جانبه ضد الانجليز. مقابل أن تنال مصر استقلالها التام بعد هزيمة الانجليز؟! وامتدت بعدها الإتصالات بالنازية،وهذا ما حدث بالفعل وأقلع الطيار أحمد سعودى برسالة تحمل هذا المعنى على طائرة حسن إبراهيم الحربية، وكانت طائرة بريطانية من طراز "جراد‌ياتور" فظن الألمان أنها طائرة بريطانية جاءت للهجوم على مواقعهم، فأطلقوا النيران عليها فوق العلمين فانفجرت،واستشهد الطيار أحمد سعودى !؟ وهكذا كُلف"أنور السادات– وحسن عزت" بالإتصال بالجواسيس الألمان،لأسباب غامضة عللوها "بأن عدو عدوى صديقى"؟!ولكن السادات فى اوراقه يعتبر مجموعة الطيران تنظيمه،وفى مرة آخرى يقسمها لمجموعتين:فقد تحدث عن أحمد سعودي ومغامراته وعن صديقه حسن عزت وعن وجيه أباظة على أنهم أفراد مجموعته هو"تنظيم السادات" التي رأسها عام **1940** ويجعل "باقى مجموعة الطيران" لعبد اللطيف البغدادى" تنظيم البغدادى" الذى تنسب له مجموعة الطيران فى الأصل.. وفي هذه الفترة كانت حكمت فهمي تتربع على عرش الرقص الشرقي،كان مقدرا لها أن تلعب دورا على مسرح لأحداث مع جاسوسين ألمانيين زرعتهما المخابرات الألمانية في القاهرة، لتوفير المعلومات المهمة

التي يحتاج إليها "روميل" في معركته الحاسمة ضد جيوش الحلفاء في الشرق الأوسط. والحكاية تبدأ من اجتماع مجلس حرب عقد في منتصف يونيو/حزيران في برلين حين ذكر رئيس المخابرات الألماني أن "روميل يحتاج إلى معلومات عن القاعدة البريطانية في مصر"،ونتيجة لذلك تم وضع خطة تتضمن تسلل اثنين من الجواسيس إلى القاهرة وحيفا، وكان أحدهما ويدعى "كلين" قد سبق له أن عاش في الإسكندرية، والثاني "مولينبروخ" عاش في حيفا، وكانا يتحدثان العربية بطلاقة، وعليهما أن يعودا إلى هاتين المدينتين لكن محاولات إرسالهما إلى القاهرة وحيفا باءت بالفشل، إلى أن وقع اختيار رئيس المخابرات الألمانية على اثنين قضيا سنوات في شمال افريقيا هما "ابلر وساندي". ويروي الرئيس الراحل أنور السادات في كتابه "صفحات مجهولة" رحلة هذين الجاسوسين حين يكتب: "صدر إليه – إبلر – وإلى زميله ساندي أمر بالتسلل إلى مصر وكلفا بعمل معين، وسلما جهازا لاسلكيا دقيقا، وزودا بالآلاف من الجنيهات المزيفة المطبوعة في اليونان،وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزي التي استولى عليها الألمان أثناء معركة العلمين،وتحركت السيارة بالرجلين،وقد ارتديا ملابس ضباط الجيش الإنجليزي،وحملا معهما جهاز اللاسلكي والثروة الطائلة واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة، تقع جنوب سيوة، ثم انحرفا إلى الواحات الخارجة واستراحا فيها وتزودا بما يحتاجان إليه ثم اتجها صوب أسيوط..ويستكمل السادات روايته قائلا: "كانت هذه المرحلة من أخطر مراحل الرحلة بالنسبة إليهما،إذ ان الطريق طريق عسكري،تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية والحراسة ،وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد، وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت في كل لحظة، ونفد منها الوقود في منتصف الطريق وإذا بقائدها "ابلر"ينثني بكل جرأة إلى أحد المعسكرات البريطانية فتفتح له الأبواب، ويدخل إلى محطة البنزين في المعسكر ويقدم أوراقه، ويعبئ سيارته بالبنزين ثم يخرج مودعا بتحيته الجنود، ووصلا إلى أسيوط ثم انحرفا في الطريق إلى القاهرة، ودخلاها ضابطين إنجليزيين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد في ذلك الزمان."لكن الحقيقة أن رحلة

الجاسوسين كانت أضخم وأكبر مما رواه السادات بكثير،وقد أورد بول كارل الكثير عن تفاصيلها في كتابه "ثعالب الصحراء"، كذلك "ليونارد موزلي" في كتاب"القط والفئران"الذي استمد مادته من اعترافات الجاسوس الألماني هانز ابلر، ومن معايشته للأحداث حيث استغرق الإعداد لهذه العملية قرابة ثلاثة أشهر ونصف الشهر وقد جهزت القافلة بإمدادات تكفيها لمدة ستة أسابيع، وقام سلاح الجو الألماني بمدها بتجهيزات خاصة للتغلب على صعوبات الصحراء.وفي 29 أبريل/نيسان 1942 بدأ العمل، وعندما قطعت القافلة المسافة من طرابلس إلى أسيوط،وقبل خمسة أميال منها خلع الجاسوسان ملابسهما العسكرية ولبسا ملابس مدنية قام رجال المخابرات الألمانية بحياكتها في برلين،على غرار ملابس المصريين، وزودوهما بصور وإيصالات فنادق وعملات مصرية، وكل ما يمكن أن يحمله شخص يقيم في مصر وهكذا تبدأ عملية "كوندور" يذكر ليونارد موزلي أن "الراقصة حكمت فهمي"– ولم تكن حكمت فهمى مجرد راقصة جميلة بل كانت أيضاً فنانة عملت بالتمثيل مع فرق مسرحية شهيرة مثل فرقة على الكسار وفرقة جورج أبيض وفرقة فاطمة رشدى وقامت في السينما ببطولة فيلم " المتشردة ".كانت رائعة الجمال حتى أن الشاعر أحمد رامى كتب فيها ربع ديوانه الأول وايامها كان لكل راقصة لقبا،وكان لقبها "سلطانة الغرام " والذي أطلق عليها هذا اللقب كان أحمد رامى نفسه، وطارت شهرة حكمت فهمى من مصر إلى العالم. واصبحت تسافر للرقص في اشهر الملاهى العالمية. وسافرت إلى ألمانيا ورقصت أمام هتلر ووزير دعايته جوبلز.وكانت همزة الوصل بين الجاسوسين والسادات،وهي التي دبرت اللقاء معهما بناء على طلب جون ابلر، لكن السادات يحكي الحكاية بشكل مختلف فيقول:"وبدأت قصة القدر،بطرقات خفيفة على باب صديقي الصاغ حسن عزت،دخل في إثرها رجلان من الألمان، يصحبهما صديق له هو الأستاذ عبد المغني سعيد،ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم إليّ، وهكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا.وقال لنا عبد المغني سعيد إنه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة

"ابلر" وأخرج الرجلان أوراقهما،وأثبتا بما يقطع كل الشك،حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتهما،وطلب الألمانيان منا أن نقدمهما إلى الفريق عزيز المصري، وكانا يطلقان عليه كلمة "الزعيم"،وقال ابلر إن جهاز اللاسلكي الذي جاء به قد تعطل وأنه يرجو أن يعتمد في إصلاحه علينا، كما طلب أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصي بروميل في مكانه في العلمين" وقال أنور السادات:"أول ما فوجئت به من أمرهما (يعني الجاسوسين) أنهما يقطنان في عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمي". في حين أن محمد صبيح في كتابه "بطل لا ننساه..عزيز المصري وعصره" كتب أنه سأل حكمت في مقابلة معها عن الجاسوس ابلر، هل كانت بينك وبينه علاقة قديمة؟ فأجابته:كان قبل أن يسافر إلى الخارج يتردد على الملاهي التي أعمل فيها وكان من أصدقائي".وما يؤكده حسين عيد الذي عكف على كتابة مذكراتها ونشرها تحت عنوان "مذكرات حكمت فهمي..أسرار العلاقة بين السادات والمخابرات الألمانية" .. أن حكمت قابلت ابلر في الخارج، في فيينا ليونارد موزلي" في كتاب "القط والفئران" يقول إن ابلر ذهب إلى حكمت فهمي حيث ترقص، وكانت تربطه بها علاقة حميمة، بعث إليها بيد النادل تذكرة كتبها على ورقة حساب خاصة بالمحل،وبعد لحظات جاءت وأخذت يده وقالت له بالعربية: مرحبا بعودتك يا حسين ما أجمل أن يرى المرء صديقا وصديقا شابا من جديد"...بول كارل" في كتابه "ثعالب الصحراء" يرى أن الراقصة حكمت فهمى كانت العميل الأول في نقل الأخبار فعلاقاتها الطيبة مع الضباط البريطانيين قد مكنتها من الحصول على معلومات خطيرة للغاية فالراقصة المحبوبة جدا كانت تكره البريطانيين وعلى استعداد للقيام بأي عمل ضد العدو، عدو وطنها، ولم يتوقف ابلر عند حد في استغلال هذا الشعور لديها، وقد أخبرته حكمت عن انتقال عناصر من الجيش البريطاني من سوريا وفلسطين إلى مصر، كما أخبرت الجاسوسين الألمانيين عن وصول مائة ألف لغم إلى جبهة العلمين، وذلك عندما قررت بريطانيا إقامة خطها الدفاعي المحصن في هذه المنطقة بالرغم من أنه في ذلك الوقت لم يكن الموقف واضحا كما عرف ابلر من حكمت فهمي معلومات عن انتقال الفرقة

النيوزيلندية الثانية تحت قيادة الجنرال فريبرج إلى مرسى مطروح وذلك قبل أن تتحرك الفرقة بزمن طويل."أما ليونارد موزلي فقد بيّن اكبر إنجازات حكمت فهمي في كتابه "القط والفئران" حين اصطحبت حكمت "ابلر" إلى عوامتها حيث كان الرائد الإنجليزي سميث يغط في نوم عميق وبجواره حقيبة البريد الرسمي الذي كان مكلفا بإيصاله إلى الجنرال ريتشي، وطمأنت حكمت ابلر بأن الرائد مخمور حتى الثمالة وأنها أعطته منوما في الكأس الأخيرة، فأخرج ابلر أوراق الحقيبة وكان بداخلها رسالة طويلة تعلوها عبارة "سري للغاية" وكانت الرسالة تذكر تفاصيل التعزيزات التي سيتسلمها الجنرال ريتشي لتقوية خط دفاعه تأهبا للمعركة الكبرى التي سيخوضها ضد روميل، كما كانت الرسالة تذكر أيضا اسم ومكونات لواء مدرع سيرسل إلى الجبهة. وأضافت الرسالة أن خط الدفاع البريطاني سيكون في العلمين، وأحضر ابلر ورقة وقلما وراح ينقل تفاصيل الرسالة

وفي تلك اللحظة تذكرت اسمه كاملا ونطقته "حسين جعفر" وتحدثا وافترقا على أن يلتقيا في اليوم التالي ليسهرا معا، وأصبح حسين يثير اهتمام حكمت وتطورت العلاقة إلى أن قال لها حسين "حكمت عندي شيء أريد أن أتركه عندك"، وكان هذا الشيء حقيبة تخصه هو وأنور السادات،هكذا اعترف لها،كما اعترف لها بأنه ألماني. قائلا:"إنني فخور بألمانيتي،فخور بهتلر،مطيع له،واسمي هانز ابلر."ورغم انزعاج حكمت فهمي وخوفها من الحقيبة، ومما اكتشفته بداخلها "جهاز لاسلكي" فإنها قالت له: "معكما سأسير،بكما ربطت مستقبلي،وخوفي على أزواج شقيقاتي لأنهم ضباط كبار بالجيش المصري، وكذلك على أمي الطيبة."

وبعد فترة قليلة تعطل جهاز اللاسلكي، وكان وجوده في العوامة يشكل خطرا على حكمت،ووافق أنور السادات على الذهاب إلى عوامة الجاسوس الألماني «ابلر»وأصلاح جهاز اللاسلكي المعطل،وعندما دخل السادات العوامة سأل عن

جهاز اللاسلكي فضحك الجاسوس «ابلر» وقال له:تستطيع أن تجده..اذا عثرت عليه بنفسك!..وبدأ أنور السادات يبحث عن جهاز اللاسلكي ويطوف في حجرات العوامة التي لم يجد بها سوى وسائل الراحة والرفاهية، وصناديق الويسكي وكؤوس الشراب!وأخيرا كشف له الجاسوس«ابلر» عن المخبأ السري لجهاز اللاسلكي، وكان داخل جهاز «بيك أب» موسيقي، بطريقة لا يمكن لأحد اكتشافها، وفحص أنور السادات الجهاز ووجده معطلا بالفعل، لكن الجاسوس «ابلر» قدم له جهاز لاسلكي آخر أميركي، وقال له انه جهاز قوي لكنه لا يعرف كيفية تشغيله، واكتشف السادات أن الجهاز ليست له مفاتيح فاقترح على «ابلر» أن يشغله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو نفسه بتركيبها.ووافق الجاسوس الألماني على اقتراح السادات الذي حمل الجهاز في حقيبته، وتوجه به إلى بيته في كوبري القبة. لكن ما هي الا أيام حتى انكشف أمر الجاسوس الألماني عندما سهر في احدى الليالي، ودفع الثمن جنيهات إنكليزية مزيفة كان يحملها معه ثمنا للويسكي وجاء حسن عزن ليقول" ألقوا القبض على اثنين في الصحراء ولديهما جهاز إرسال واستقبال، وأنهم يضغطون عليهما لإجبارهما على الاعتراف على جاسوسهما في مصر" ومر أسبوع لم يتصل بها ابلر، إلى أن انتبهت على صوت أحد رجال القلم السياسي يطلب منها أن تخرج معه، لتجد نفسها أمام محقق بريطاني، أدركت بعدها أنها وقعت في الفخ وأصبحت في النهاية حبيسة الجدران وبجوارها في السجن كانت أسمهان وعزيز المصري وفي التحقيقات أنكرت معرفتها أو لقاءها بهانز ابلر،ثم قالت في ما بعد إنها تعرف حسين جعفر واكتشفت أن المحققين يعرفون الكثير،يعرفون حكاية جهاز اللاسلكي،وسرقة حقيبة الماريشال تايدر من غرفته الرقم 273بفندق الكونتنتال لكنهم لم يحصلوا منها على شي ..وأضربت حكمت فهمي عن الطعام لمدة أسبوع في سبتمبر/أيلول 1942 وعندما ساءت حالتها نقلت إلى مستشفى الدمرداش للعلاج،واتصل بها شخص من طرف مكرم عبيد الذي كان وزيرا للمالية في وزارة مصطفى النحاس ولما أقصي عن منصبه بدأ يعد لكتابه الأسود عن النحاس، وكان يعتقد أن لدى حكمت معلومات

حول علاقة النحاس بالإنجليز،ورفضت رفضا قاطعا أن تمده بأي معلومات.وصدرت الأوامر بنقل حكمت فهمي إلى معتقل النساء في المنصورة،وقضت في المعتقل "فترة قصيرة" وخرجت "محطمة عجوزاً في سن الشباب،منهارة الصحة، ذابلة الملامح،خامدة النظرات على بشرة الوجه اصفرار وشحوب". يقول السادات: كان "ابلر" يعرف مصر من قبل،كما يعرفها ككل أبنائها، فقد كانت أمه الألمانية تزوجت في ألمانيا من صالح بك جعفر المستشار ثم حضرت معه إلى مصر، وفي يدها ولدها من زوجها الأول (الألماني) وكان ولدها هو هانز ابلر، وأراد الزوج المصري أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة في مصر، فيسر له سبل التعليم والنجاح وأعطاه اسما مصريا ولقب أسرته،وأصبح هانز ابلر يعرف في مصر باسم حسين جعفر، لكنه لم يكن ذلك الولد الصالح الذي ارتجاه زوج أمه، فقد فشل المستشار في إقناعه بالعدول عن حياة الليل بين المراقص والحانات، ولما أيقن بأنه لا سبيل لإصلاحه في مصر طرده من حياته ..وككثير من أبناء مهنته، جاء السقوط على يد إمرأة، فقد كان «أبلر» على علاقة براقصة فرنسية يهودية، تدعى «إيفت» وكانت في الحقيقة جاسوسة بدورها تعمل لصالح الوكالة اليهودية في مصر، وبينما كانت تقضي الليلة في عوامته، سمعته وهو يتحدث بالألمانية مع زميله عن المعلومات التي لديهم وجهاز الإرسال الذي يخصهم،حيث كانت القيادة الألمانية قد حذرتهم من استخدام جهاز الإرسال في هذا التوقيت،وكانوا هم يتناقشون حول أهمية إرسال المعلومات التي تحصلت عليها "حكمت فهمي" أبلغت «إيفت» قادتها، وأبلغوا بدورهم المخابرات البريطانية لتسقط شبكة التجسس الألمانية،وعندما كشفت المخابرات البريطانية أمر الجاسوس الألماني وجد كل من تعاون معه ومن بينهم السادات طريقه إلى السجن..وأودعوا جميعًا سجن الأجانب،فيما أفلت السادات فقط من هذا المصير،بعدما أنكر معرفته بالألمان،وبعد فترة إعتقال جرد هو وزميله الطيار حسن عزت من رتبهما العسكرية وفصلا من الجيش أما باقي الجواسيس فقد قابلهم رئيس الوزراء البريطاني نفسه "ونستنون تشيرشيل" حيث ساومهم بين الإعدام أو الإفصاح عن سر شفرتهما، وقد اختاروا

الخيار الثاني،والذي من خلاله استطاع البريطانيون خداع «روميل» ما تسبب في هزيمته. ويحكى خالد محيى الدين عن ذلك فى كتابة "والآن أتكلم" (حادث أثر فى نفسى كثيرا،هو أعتقال الضابطان أنور السادات وحسن عزت وكان السادات رٌحل لميس المدفعية، وبقى حسن عزت فى ميس الفرسان وكنت ضمن افراد الحرس عليه،وجلست طويلا فى إعجاب وشغف بهذا الضابط المعتقل المتقد حماسا وثقافة،ومعه اقتنعت بضرورة أن أعمل من موقعى كضابط فى عمل سياسى من أجل مصر،ورتبت وسيلة لتهريبه فى حالة استدعائه للمحاكمة،ورفض حتى لايمس آحد من زملائه بسوءفقمنا فى الفرسان بفك أكرة الباب بحيث يمكن فتح الباب من الداخل ومكن ذلك حسن عزت من الدخول والخروج كما يشاء،بل كنا نصطحبه لخارج القشلاق متنكرا لنسهر ونعود، وأشهد انه لم يخدعنا ولم يحاول الهرب؟! ويقول خالد محيى الدين(وكنت أنقل رسائل منه إلى ضابط آخر طلب منى التعرف عليه والثقة فيه هو "عبد اللطيف البغدادى" وتعرفنا كما تعرفت على وجيه أباظه،وانتظمت معهم فى لقاءات فيما يشه التجمع وتوقف كل شيء بعزل حسن عزت من القوات المسلحة،وعمل تفتيش وتحقيقات واسعة بالطيران ص36) ومرة آخرى يذكر"خالد محيى الدين" حسن عزت فى كتابه (ولهذا فعندما طلب منى أن اكتب مقدمة لكتابه قبلت بترحاب وقلت فى كلمتى "انه أستاذى فى الوطنية" وغضب عبد الناصر وقال لى :كيف تقول عنه أستاذ الوطنية،وهو مشكوك فى موقفه منا؟وقلت أنا اقرر حقيقة رغم اختلافنا معا الأن (ص53 وص37) هذا الكتاب النادر هو "أسرار معركة الحرية" الذى يعتبر بمثابة مذكرات لحسن عزت،والذى يمكن اعتباره وثيقة من الوثائق المهمة عن تلك السنوات المضطربة التى سبقت الثورة ومهدت لها، أثارالكتاب مشكلات وأزمات يكفى أنه كان السبب فى أول أزمة بين عبدالناصر وخالد محيى الدين سبقت أزمة الصديقين الحميمين الشهيرة فى مارس ١٩٥٤، التى خرج بعدها خالد من مجلس قيادة الثورة ومن مصر كلها.تكمن أهمية هذا الكتاب النادر فى أنه حصل على صك الاعتماد من أبرز قيادات ثورة يوليو، فهذا الكتاب الذى يقع فى

«١٣٠» صفحة قد كُتبت له ثمانى مقدمات، بينها ثلاث كتبها أعضاء فى مجلس قيادة الثورة حينها وهم: عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات، وخالد محيى الدين،وعزيز المصرى،الثائر الكبير والأب الروحى للضباط الأحرار وفتحى رضوان أول وزير للثقافة بعد الثورة، والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف الشهير،وقد كانت مقدمة أنور السادات بعنوان «أخى فى الإرهاب»والفريق عزيز المصرى قال إن ما كتبه حسن عزت فى الكتاب إنما هو قليل من كثير،أما خالد محيى الدين الذى نتوقف عنده الآن،فقد كتب:«إلى أستاذى فى الوطنية وأرى فى مجهوده فائدة كبرى لكل مصرى يريد أن يعرف كيف يخدم وطنه.

بدم بنت الشيخ البكرى غرقت الحملة الفرنسية؟!

اقتلوا الزانية..اقطعوا رأس الفساد..أحرقوا جسدها المدنس..قطعوا أوصالها وفرقوها فى البلاد..حتى تأكلها الوحوش الضارية..مزقوا جسدها ولا تجعلوا له شكلا ولا كيانا اقتلوها..اذبحوها..اسلخوها..أحرقوها مزقوها.كانت النداءات تتصاعد، تتداخل الأصوات تمتزج اللعنات،كل كلمة تنزل عليها وكأنها سيف، كأنها بصقة من نار، كأنها حجر من جهنم، تتصاعد الصيحات وتتداخل حتى لا تفهم «زينب» ما يقال، يشرد ذهنها،فتتذكر تلك الأيام الخوالى، أيام كان النبيذ فيها يسيل كالأنهار وكانت الضحكات تجرى على الوجوه كالسيل،فما الذى بدل النعيم بالجحيم، ومن الذى قلب حياتها رأسا على عقب؟ أهو الحظ أم هى اللعنة؟،تغمض عينيها محاولة التأمل واستيعاب الموقف ومعرفة أسبابه فيسبقها السيف على رقبتها، يقطعون رأسها ويفرقونه عن جسدها ويعلقونه على باب القلعة لتصبح عبرة لكل من خان وباع

وفسق «هكذا ظنوا»، قصفوا رقبتها وسالت الدماء على الأرض،ارتاحت القلوب ورفعوا الرؤوس بعد أن غسلوا العار عن رجولتهم ووطنيتهم،وصارت مثلا لكل فتاة غير طيعة مقصوفة الرقبة أعدموا زينب البكرى حليفة المحتل الفرنسى وعشيقة نابليون بونابرت التى ارتمت فى أحضانه،وباعت الشرف والعرض والأرض لم يكن المشهد غريبا على زينب فقد عاشت مشهدا مماثلا له قبل ثلاث سنوات وتحديدا عام 1798 عام دخول الحملة الفرنسية إلى مصر حيث كانت تقف فى نفس المنزل «بيت والدها الشيخ خليل البكرى»، وشاهدت نفس الجمع من البشر بل وأكثر منهم يصيحون بصيحات مماثلة، يهتفون ضد نابليون بونابرت والاحتلال،ولم تفهم المراهقة، الطويلة ،التى يقولون عنها زرع بدرى صاحبة الأربعة عشر عاما وقتها ما هو المحتل ولا طبيعة الثورة الشعبية التى ثارت ضده بقيادة شيوخ الأزهر، لم تعرف معنى المقاومة ودارت فى ذهنها الأسئلة، من هو نابليون؟ ما الذى أتى به مع جيشه العظيم إلى مصر، ولماذا يغضب منه المصريون ويقاومونه ويثورون ضده، وما هى الثورة أساسا؟ عقلها الصغير لا يدرك أيضا لماذا حرم والدها الشيخ خليل البكرى وهو من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق من لقب نقيب الأشراف، لماذا فضلت عائلتة التى يرث فيها الإخوة واحدا تلو الآخر التنازل عن اللقب والمنصب الرفيع لصالح عمر مكرم بعد وفاة عمها الأكبر محمد توفيق بن على بن محمد البكرى.حدث التحول الكبير فى حياة زينب بعلاقتها الشخصية مع نابليون بونابرت، ولبداية هذه العلاقة روايتان فى التاريخ، الأولى:" أن زينب ذهبت إلى بونابرت خلسة فى غرفته بمنزل والدها وطلبت منه مضاجعتها وكان هذا بعلم والدها الذى طمع فيما هو أكثر من لقب نقيب الأشراف، فقد أراد أن يكون صهرا لوالى مصر، معتقدا أن نابليون سيطلب يد ابنته للزواج،وبعدها بدأت العلاقة بينهما وصارت عشيقته" بينما تقول رواية أخرى للمؤرخ الكبير عبدالرحمن الجبرتى فى كتابه «غرائب الآثار فى التراجم والأخبار»، إن الشيخ خليل البكرى قدم زينب بصحبة خمس فتيات مصريات أخريات لنابليون ليختار منهن عشيقة، فاختار بونابرت زينب،لأنها كانت أطولهم قامة وأكثرهم جمالا

وكانت ممشوقة القوام، والأهم من ذلك أنها كانت تشبه جوزفين زوجة نابليون التى رفضت القدوم معه إلى مصر.فلما وجد بونابرت الشبه بين زينب وجوزفين اختار زينب وكان هذا أيضا بعلم والدها ومباركته، ونهاية الروايتين كانت واحدة، فبعد فترة شعر نابليون بالملل من علاقته بزينب وأدرك أنها ليست محبوبته جوزفين،فقرر تقديمها لجنوده كهدية منه وتركها بين أحضانهم، ولم ينتفض والدها لذلك أو يحاول ردها عن هذا السلوك ولا حتى حمايتها من شرور البشر وشرور نفسها.ولذلك قصة لهذا الفتور فقد وصلت له اشاعة عن خيانة زوجته جوزفين له،مع عشيق لها فى فرنسا،كان قد تزوجها قبل سنة من الحملة ليترك الحملة بعدها بسنة ل "كليبر" متعللا بتحطيم الاسطول الفرنسى من الانجليز فى ابو قير..ترك مصر والحملة بسبب تحطم قلبه.وإن اعلن أنه تحطيم اسطوله في التاسع من آذار عام **1797**، وفي ساعة متأخرة من الليل، تمت مراسم عقد قران أرملة الجنرال "دوبو هارنيه" جوزفين الحسناء، على الجنرال والقائد العام للجيش الفرنسى،الكورسيكي نابليون بونابرت. وعلى قدر ما كان نابليون بونابرت عاشقًا متيمًا بحب جوزفين الجميلة لم يكن لديها أي ميل نحوه، ولولا جهود المدير "باراس" – وهو أحد أعضاء حكومة المدراء في فرنسا – لما تمت الزيجة من أصله.. في الوقت الذي اشتعل فيه قلب بونابرت حبًا في جوزفين، كان المدير "باراس" هو العشيق الفعلي لجوزفين!. وإذا عرف السبب لما ثار العجب من أن يعمل العشيق على تزويج عشيقته الحسناء لرجل آخر، ويبذل قصارى جهده في إقناعها بجدوى هذه الزيجة، بل ويمعن في تصويرها فرصة عظيمة مواتية للاقتران برجل ليس في سبيله لإحراز العظمة على مستواه الشخصي فحسب، وإنما لتحقيق عظمة فرنسا ذاتها.. وما ينتظر جوزفين العشيقة في كنف هذا الزوج العظيم!.. فقد كان في واقع الأمر عشق "باراس" لجوزفين قد تحلل وصار عبئًا عليه وربما على مستقبله السياسي،ومن ثم كانت تلك فرصته المواتية للتخلص من العشيقة الملازمة والحفاظ على سمعته دون شائبة على الساحة السياسية!..وغداة زواجه توجه بونابرت إلى إيطاليا سعيًا وراء المجد العظيم الذي ينتظره، وما كان ذلك بالأمر الهين على رجل

يهيم عشقًا بزوجته ويكن لها حبًا لا مثيل له، فوق أنه لم تتح له بعد فرصة إظهار هذا الحب،مع ضيق الوقت؛فسافر نابليون بعواطف مضطرمة في صدره وحنين معذب لحبيبته ما كانت لتكفيه ليلة زواج واحدة بطبيعة الحال! أما عن جوزفين الزوجة الحسناء، فلم تجد سببًا يلزمها الوفاء لزوجها وقد بقيت من بعده بمفردها!.فبعد أيام قلائل من سفر نابليون رمت شباكها على واحد من أشهر الفرسان وسامة وأكثرهم مرحًا،وهو الملازم أول الخيال "شارل هيبوليت"وبينما كان نابليون يضيف نصرًا إلى نصر في إيطاليا.كانت جوزفين تحقق من جانبها نصرًا خاصًا،فتدحر وتغيظ أشهر حسناوات باريس وأكثرهن أناقة باختطافها لـ "شارل هيبوليت" منهن، والذي راح يتردد عليها يوميًا للقائها في قصرها الصغير بشارع شانترين، ويمضي في صحبتها أعذب الساعات.وإضافةلما يتمتع به شارل هيبوليت من وسامة وشكل حسن،وقوام متميزمن حيث الطول والعضلات المفتولة استطاع منذ لقائهما الأول،وبواسطة روحه المرحة، أن يضحك جوزفين حتى تسيل دموعها،بل واستمر في وضع النكات والطرائف التي تستهدف التهكم على ذلك الجنرال القصير الذي تزوجته جوزفين؟! أما هي فقد نشر العشق غشاوة على عينيها حتى لتضحك إلى درجة الإغماء من نكات قد يحمر خجلاً من إسفافها رجال من عامة الشعب غافلة أو متناسية أنها سليلة طبقة أرستقراطية!..وكان من الطبيعي أن تنسى جوزفين الغارقة في حب "شارل هيبوليت" طلب زوجها المتحرق شوقًا إليها، باللحاق به في إيطاليا، فالرجل الزواج مازال لم يفز منها حتى تلك اللحظة سوى ليلة واحدة كفيلة باضطرام نار الشوق في كيان رجل محب مهما تملكته العزيمة والصبر،بينما تقبع جوزفين الزوجة في قصرها بفرنسا، تفرط في كيانها النسوي بإرواء الغريزة فيه من عشق ووله رجل آخر!..ولما سئم نابليون الوحدة جدد طلبه إلى جوزفين بأن بعث إليها برسالة أخرى مع مساعده الخاص وقائد اللواء"مورا"، يحثها فيها على أن تستقل عربة خلال أقصر مدة ممكنة، وأن تسلك طريق إيطاليا بأقصى سرعة، إذ أن صبره أوشك أن ينفد!!. عندئذ وجدت جوزفين نفسها مرغمة على إعادة النظر في المسألة (..غير أنها ليست راغبة

على الإطلاق في مغادرة باريس، وقد استبد بها عشقها لـ "شارل هيبوليت" فلم تعد قادرة على أن تخلف وراءها العشيق لتسافر من أجل مجرد زوج، بل عادت ترى ذلك من الصعوبة على كيانها المدله، بحيث يجعله مستحيلاً!! وعليه فقد راحت تبحث في حيلة تمنعها السفر ومفارقة العشيق شارل..فقد وجهت جوزفين الدعوة إلى "مورا" رسول زوجها وحامل رسالته إليها، كي يتناول معها العشاء وعلى انفراد، ليتسنى لها – على حد زعمها – أن تتحدث عن الجنرال بونابرت بكل راحة! ولم يكن أسلوب الدعوة يحتاج إلى تورية،فالعشاء الذي امتد حتى ساعة متأخرة من الليل، لم يكن مخصصًا للتحدث عن نابليون، فإن جوزفين قد وجدت الوسيلة السهلة والممتعة لاستقطاب رسول زوجها إلى صفها! لقد أغدقت عليه وجادت بما عرف عنها من سخاء عاطفي، فضمنت أن يعمل قائد اللواء "مورا" وفق ما توجهه وما تريد أن تدخله على قائده الأعلى بونابرت من أكاذيب بواسطته؛ فحملته رسالة إلى زوجها تقول فيها: "قل لنابليون أنه ما من شيء يعادل سعادتي في الالتحاق به، لكني لا أقوى على السفر، فأنا ملتزمة بمداواة صحتي لأني أنتظر مولودًا" وكم كانت الفكرة ألمعية أثرت على نابليون تأثيرًا رائعًا. إذ بكى من الفرح وأمسك بريشته مجددًا ليكتب إليها: "سوف أبقى إذن لشهور عديدة بعيدًا عن كل ما أحبه؟..أيمكن ألا أسعد برؤيتك ورؤية بطنك الصغير؟..كم اتمنى أن اكون بجانبك؟" وكادت تحدث أزمة؛ فالجنرال بونابرت المقيم في إيطاليا يتحرق شوقًا لرؤية حبيبته جوزفين، حتى بات يفكر جديًا في استقالة تعيده إلى فرنسا ليرتمي في أحضان زوجته، ومن ثم ينتهي سبب افتراقه عنها!.. وتفاديًا لتفاقم الأزمة، خاصة وأن حكاية الحمل المزعوم كانت قد شاعت في باريس كلها.. اتفقت حكومة المديرين على تكليف المدير "باراس" بمهمة إعادة الاتزان للزوجة المشاكسة التي تهوى الرجال والاستقرار في آن معًا.. ولا غرابة في اختيار "باراس" بالتحديد للقيام بهذه المهمة؛ فمعطيات ترشيحه لها واضحة..وعندما قام "باراس" العشيق القديم بزيارة جوزفين في بيتها أوضح لها دون غموض بأن أوان الهزل قد ولى، وأنه لا يمكن إفساد حملة عسكرية فريدة من أجل

نزوة امرأة.. وعلى الرغم من حدة الحديث وعنفه، إلا أن جوزفين أدركت أنه يعبر عن الحقيقة،فهي تغدق بالمال من رصيد لا ينضب بوصفها زوجة نابليون..أما في حال الطلاق فإنها ستدخل السجن فورًا!.وأذعنت جوزفين لأوامر حكومة المدراء،ولكنها اشترطت مقابل الذهاب إلى إيطاليا أن يذهب الملازم الأول"شارل هيبوليت" أيضًا للالتحاق بالجيش في إيطاليا!..وقد ذهل "باراس" من هذا الشرط الجريء وحاول أن يحذرها من الخطر الذي سوف تتعرض له إذا علم الجنرال بالاتصالات التي تربطها بذلك الشاب،ولكن دون جدوى،ولا عجب في موقف حكومة المدراء..فطالما كان ذلك هو أسلوب الساسة في معالجة ما يعن من مشكلات..ليس في فرنسا وحدها، بل في العالم كله، قديمه وحديثه.. فمن غير المقبول لدى الحكوميين أن تتعارض المصلحة الشخصية لإنسان،أيًا كان قدره مع المصلحة العليا للبلاد..وإن وجبت التضحية فلا تقع على غير عاتق الإنسان الفرد،فمهما كانت عبقرية نابليون، فلا يهم الحكوميين في فرنسا سوى تسخيرها إلى أقصى حد لخدمة المصلحة العليا للبلاد دون نقصان أما ماذا يجني نابليون الإنسان من خسارة على مستواه الشخصي فهذا شانه الذي يخصه وحده!.. فلا مانع إذن من أن يعالجوا أشواقه بان يدفعوا إليه بزوجته التي رصدوا خيانتها مادام ذلك يمده بالقدرة على الصمود وإحراز النصر لفرنسا!.وفي صبيحة يوم 23 حزيران صعدت جوزفين إلى العربة، وقد استولى عليها حزن عميق لمغادرة باريس،ولم يكن السفر رحلة يقوم بها عاشقان؛ فالعربة ملأى بالمسافرين،وبعد وصولها إلى مدينة ليون أدهشها الاستقبال الذي حظيت به وكأنها ملكة،الأمر الذي خفف من حدة حزنها على فراق باريس..إذ قدمت إليها باقات الورود واستقبلت بخطابات الترحيب وكلما تقدم الموكب من إيطاليا أصبح السفر أكثر متعة..وقد بلغت الرحلة أوجها بالوصول إلى ميلانو، حيث وجدت زوجها وقد استقر كالملوك في قصر"سربللوني" الفاخر، ووجدت نفسها محمولة في دوامة من النشوة؛ فهي الملكة التي ترأس كل تلك الاحتفالات وهل نست جوزفين – إزاء ذلك – حبيبها "شارل هيبوليت"؟!.. أبدًا؛ ففي الوقت الذي كان فيه نابليون يطير من نصر إلى نصر، كانت

زوجته تحرص على انتزاع فارسها الجميل ما وسعها من ساعات، لتنعم فيها بصحبته، وليس من شك في أن حب نابليون لها كان أصم بقدر ما كان أعمى..فلقد كانت جوزفين بارعة في سيطرتها على زوجها الشهير الذي كان يشده إليها حب جنوني،ولكنها في نفس الوقت على استعداد للتخلي عن كافة الفاتحين في العالم من اجل أن تنصرف بكليتها إلى "شارل هيبوليت"!!.مضى عام ونصف لتبدأ رحلة العودة إلى فرنسا، وفيما كان نابليون يتوجه إلى حكومة المدراء برايات الانتصار، كانت جوزفين تقام على شرفها الاستقبالات والحفلات، وتنعم بكل مباهج رحلة عسل مع شارل، الذي كان قد ارتبط بعشق مع الفاتنة "بوليس بونابرت" شقيقة نابليون المتزوجة حديثًا بالماريشال لوكليرك، ويمنحها أوقات فراغه من جوزفين؟! وعلى ما يبدو أن العلاقة بين شارل هيبوليت وبوليس بونابرت لم تستمر طويلاً حتى هجرها شارل فانتقمت لنفسها بإخبار أخيها الذي أمر بعودة ذلك الشاب المشاغب فورًا، فنفذ الأمر. في ذلك الوقت عاد نابليون إلى باريس.ليستعد للحملة الفرنسية على مصر [1798_ 1801] لتفاجأ جوزفين باستقبال بارد من جانبه، لكنها كانت تعرف كيف تعالج ذلك في زوجها، فحسبها تقضي معه بضع ساعات في غرفة حبهما لتعود إليه ابتسامته!..وقد دفعتها سعادتها بالعودة إلى باريس لأن تغدق على زوجها مزيدًا من الحب.ويسافر نابليون فى حملته لمصر، وعندما أبحر بونابرت قاصدًا مصر، امتلأ قلب جوزفين نشوة،إذا اعتقدت أنها قد استعادت حريتها، فأطلقت لهواها العنان حتى أوشكت الفضيحة أن تثور، بينما استقر شارل في شارع ضاحية سانت أونوريه وأخذت جوزفين تتخفى بعناية لتزوره يوميًا،غير أن تلك الزيارات لم تدم سرية لفترة طويلة، إذ كان هناك من يراقبها؛فجوزيف بونابرت لم يكف عن مراقبة زوجة أخيه منذ أن كانت في إيطاليا؛ فهو يكرهها ويتمنى لو تخلص أخوه منها،لذلك قرر تجميع الأدلة على خيانتها وقدمها إلى أخيه.ووصلت أخبارها عن طريقه إلى نابليون الذي ثار غضبه وقرر العودة ليقوم بطرد تلك الخائنة..وتهلل أفراد عائلته بالخبر حتى دب الذعر قلب جوزفين، وباتت متأكدة من أنها لن تعثر مطلقًا على نابليون

آخر.وعندما عاد أصدر من فوره أوامر بالغة القسوة، وحاولت جوزفين جاهدة أن تستدر عطفه من جديد حتى التقيا: زوج امتقع لونه وامرأة غرقت بالدموع وجنتاها، فكان العفو وتم تتويجها كإمبراطورة، كما كانت أيضًا القطيعة النهائية مع ذلك الشاب الوسيم جدًا "شارل هيبوليت"ولكن عندما قام نابليون بمواجهتها قالت له:"إني لا أفقه شيئًا من هذا السيل المتلاحق من الاتهامات الذي ترميني به، وهذه مؤامرة حاكها جوزيف، وإذا كنت واضعًا طلاقي نصب عينيك فالأجدر بك أن تقوله لي".أما شارل هيبوليت فقد آثر تجنب أي عداء مع آل بونابرت، لذلك اختار ترك الجيش والتخلي عن زيه العسكري، ورأى سبيلاً جديدًا للعيش في مشاركة السيد بودان التاجر الذي طار فرحًا لهذا ، إذ سرعان ما استغل حرص جوزفين على مصالح عشيقها في تسهيل عدة صفقات لتمويل الجيش!..

نكتة للسادات:إسمها السلطة الرابعة

يقول محمد حسنين هيكل– فى كتابه بين السياسة والصحافة تسابقت القوى الأجنبية على مقدرات مصر مع الحرب العالمية الثانية ولم تكن دار المقطم بعيدة عن مخططات بريطانيا،ولا كانت الأهرام بعيدة عن أحلام فرنسا وعند رجوع الجيش من حرب فلسطين 48 كان عبد الناصر قد أيقن أن الأصلاح يجب أن يكون من الداخل،وأن الصحافة يجب أن تكون ضمن اولويات الإصلاح فهناك علامات استفهام على أوضاع الصحافة لم تكن مرضية ولم تكن بعيدة عن عيون جمال عبد الناصر,فحنق عبد الناصر على مدرسة (اخبار اليوم) فهو يراها تسير على نهج الصحافة الأمريكية فى الإثارة وفضح الحياة الخاصة،ولم يستوعب ناصر مايقوم به مصطفى أمين بين الوفد والقصر،وكيف كان يحسب على حاشية (محمد حسنين باشا) بالقصر الملكى؟!ولم يتصور ناصر بالطبع كيف سافر "التابعى"مع الأسرة الملكية فى رحلة بحرية لأوربا،لعدة أشهر،دفعت تكاليفها الملكة نازلى؟!

ولم يتردد عبد الناصر في التعبير عن عدم الرضى عن الصحافة،منذ الساعات الأولى للثورة وسيطر بسبب هذة الشجون والشكوك "الضباط الاحرار" على الصحافة بالتأميم والتنظيم وبأنفسهم فقد عمل بالصحافة من الضباط عددا جاوز صوابع

اليدين والرجلين معا منهم: السادات وخالد محيي الدين، وثروت عكاشة، ويوسف السباعى وغيرهم، وأشرف على الصحافة ضباط بالجيش بضعف هذا العدد؟! لقد مرت البيادة ودقت شارع الصحافة بقوة ورصدت تلك الظاهرة روايات:(الرجل الذى فقد ظله) و(زينب والعرش) و(دموع صاحبة الجلالة)

ويعترف هيكل (إنه منذ أول يوم في الثورة لم يكن جمال عبدالناصر راضيا عن الظروف المحيطة بملكية الصحافة في مصر كان يعتقد ان (آل زيدان) أصحاب دار الهلال و(آل تقلا) أصحاب الأهرام و(آل نمر) أصحاب المقطم قد أدوا دورهم في مرحلة معينة في تاريخ مصر وكانت له تجربة مزعجة مع (آل أبو الفتح) أصحاب(المصري)كما ان علامة استفهام ظلت أمامه طوال الوقت على (آل أمين) أصحاب (أخبار اليوم) وأصبح واضحا بعد أحداث مارس 1954 أن مجلس قيادة الثورة والعسكريين سيظلون بالحكم ولن يعودوا إلى ثكناتهم على الأقل حتى إنتهاء فترة الانتقال.والتى حددت ب 3سنوات،وأن الأحكام العرفية ومن بينها الرقابة على الصحف ستظل قائمة بحد أدنى حتى يناير 56 !!

وبدأت تشريعات جديدة تقيد الصحافة،ففى 8 مايو1954صدر مشروع للصحافة،وفيه جأت ضربة كبرى لأصحاب الصحف،فنص على: (تؤلف نقابة الصحفيين من المحررين وحدهم، الصحفيون الحاليون من غير أصحاب الصحف وعليهم أن يتقدمون إلى لجنة الجدول لإعادة قيد أسمائهم وحرمان آى صحفى صدر ضده حكم جنائى أوحكم ماس بالشرف أو بكرامة المهنة،من القيد بجداول المشتغلين بالصحافة)

ولم تعجب الصحافة الحزبية الضباط الأحرار، ورأت الثورة أنها تعبر عن الإقطاع والبشوات،ومصالح خاصة وكان الحل إستصدار مرسوم بقانون رقم 179

لسنة1952لمنح الاحزاب مهلة شهر لتعيد تكوين نفسها ولما وجدوا أن المرسوم لم يجدِ وليس له صدى أصدروا إعلانا دستوريا بحل جميع الأحزاب ووقف صحفها الحزبية،!!

وقبل اكتمال العام الأول لثورة 23 يوليو 1952 «كانت هناك أشياء ملفتة للانتباه فى العلاقة بين الصحافة والثورة فقد صدر قرار وزارى فى 26 مايو 1953بتوقيف (42) صحيفة بحجة عدم انتظامها فى الصدور فى المدة (من10/ 1953 إلى1954/3)منها الأساس، المقطم،البلاغ الثقافة، الدستور، السياسة، نشرة وكالة الأنباء العربية، الجريدةالمسائية، الرسالة، الحوادث، الأحوال، الخبر ،المساء، الرياضة ، الوادى ، دليل الشرق، الشيخ، صوت الشعب، الناس، الرأى الحر، البورصة)»

وفكرت حركة الجيش أن يكون لها صحافتها وعرض عبد الناصر على "هيكل" أن يتولى الأمر واعتذر هيكل،واعتبرها خطوة إستباقية فالصحافة القائمة لم تعادى أو تعارض الثورة،بل أنها فرحه بها،ومؤيدة لها وكان وقتها هيكل رئيس تحرير لمجلة "آخر ساعة". فأصدرت إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة،مجلة (التحرير)فى16سبتمبر53وعهد بها ناصر لأحمد حمروش أحد الضباط الاحرار وكان له توجه شيوعى فاتفق مع عبد الرحمن الشرقاوى،وحسن فؤاد وصلاح حافظ، ويوسف ادريس على الكتابة فيها.وبلغ توزيع العدد الأول100 آلف نسخة ورغم النجاح أبعد عبد الناصر حمروش عن رئاسة التحرير– بعد العدد الثانى– بدعوى أن المجلة تسير فى اتجاه شيوعى،وعين بدلا منه ثروت عكاشة وقال له عبد الناصر:حمروش عمل لنا نشرة شيوعية عاوز صحافة ثورة؟!

واستمر بالمجلة عكاشة من العدد:3 حتى العدد30 ولكن طوال الوقت كانت هناك مشاكل،فمثلا طلب"محمد فؤاد جلال" وزير الإرشاد القومى إعادة النظر فى هيئة

تحرير المجلة لكونها شيوعية واصر ثروت عكاشة على إنهم وطنيين، وشرفاء، وأنه هو مسئول أن لايجنح أحد فيما يكتب للماركسية وتصيد الوزير"محمد فؤاد جلال" لعبد الرحمن الشرقاوى عند نشره قصة عنوانها "الشاويش عبد الله" وادعى تعرضها للواء"محمد نجيب" لأنها تدور فى السودان،وتصف احواله، وكان محمد نجيب له أصول سودانية فصدر الأمر باعتقال الشرقاوى!! ولولا العلاقة المميزة بين عكاشة واللواء نجيب ماكان هناك إلغاء للأمر!!

ونجحت المجلة فهى مجلة الثورة وسارع بالكتابة فيها عبد الرحمن عزام وطه حسين ويوسف السباعى وفكرى أباظة ومصطفى محمود،بل كتب فيها رجال الثورة أنفسهم (عبد الناصر– وخالد محيى الدين– وصلاح سالم) و كتب "طه حسين" مقال بمجلة (التحرير) قال فيه (ماقام به الاحرار ثورة وليس حركة، ولا انتفاضة، فلم يكن الأمر إنقلابا ضد الملك،بل ثورة شاملة كالثورة الفرنسية فى يدها كود وخطة تنفيذية له) كتب طه حسين وقال :(أنا لا أخجل من أن أسميها ثورة لأنها بالفعل ثورة على أوضاع ظالمة وتحمل كل مبررات الثورة).

واستراح الضباط وراجت مقولة "ثورة 23 يوليو" ونسيت،ونسينا تسمية الحركة، والحركة المباركة، أما عبارة (إنقلاب) فقد هوجمت بعد قيام الثورة ب48 ساعة،واعتبر من يقولها من فلول العهد البائد "يقصد الملكية"وتطورت الأمور بعد ذلك بإثارة عبد الناصر قضية تطهيرالصحافة ونظرا للغمز واللمز على صحف أخبار اليوم ،نشر محمد التابعى فى أخبار اليوم مقالا يدعو فيه لتشكيل لجنة لتطهير الصحف والصحفيين بأعمال قانون "من إين لك هذا"؟ ونشر هيكل فى "آخر ساعة"مطالبا نقابة الصحفيين بإيقاف المصروفات السرية ونشر كشوف المصروفات السرية فى العهد الملكى!

ووجه صلاح سالم "وزير الارشاد" وقتها كلمة من الإذاعة قال فيها :(هناك من باعوا أقلامهم فى الماضى وهم يعرفون أنفسهم،وحركة الجيش لا تريد أن تشهر بهم،ولكننا مستعدون لتقديم كل مالدينا من معلومات لنقابة الصحفيين..) ولما لم تتحرك النقابة،أجتمع صلاح سالم بمجلس قيادة الثورة،متصديا لقضية "تطهير الصحافة"،وقدم مايفيد أن نصف اعضاء نقابة الصحافة والبالغ عددهم اثنى عشر تقاضوا مصروفات سرية ومتورطين،وصدر قرار بحل مجلس النقابة وتشكيل لجنة تدير النقابة من(فكرى أباظة، ووكيل وزير الإرشاد،ومحام عام، والمديرالمالى لحسابات الحكومة) وفى24مايو1960أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قانون تأميم الصحافة رقم156لسنة60م وانتقلت ملكية الصحف إلى الحكومة المصرية وأصبحت هي التي تعين رؤساء التحرير وهى التي تقيلهم من خلال النص على تبعية الصحافة للاتحاد القومي واشترط القانون سواء لإصدار الصحف أو للعمل بالصحافة الحصول على ترخيص من الاتحاد القومي.وقرر القانون أيلولة ملكية الصحف وجميع ممتلكاتها للاتحاد القومي وينقل إليه ما لأصحابها وفقا لأحكام القانون

وفى شهادة لحلمى سلام الذى كان رئيسا لتحرير مجلة الإذاعة «1956 –1962» عن الأسباب التى دعت لتأمين الصحافة أن الثورة كانت تصدر مجلة «بناء الوطن» كان رئيس تحريرها «أمين شاكر» مدير مكتب جمال عبد الناصر وكانت تطبع فى دار الهلال،وتراكمت عليها ديون الطبع حتى وصلت إلى عشرة آلاف جنيه،وفجأة أصدر أميل زيدان أحد أصحاب«دار الهلال» بعدم طباعتها إلا بعد تسديد الديون،وطبق هذا على العدد الجديد ونقل«شاكر» هذا الأمر إلى«عبدالناصر»فاعتبر أن هذا تحدٍّ للنظام والثورة.فكان التفكير فى التأميم بجدية

اما إحسان عبد القدوس فيقول:«فى إبريل 1958ماتت أمى،وتصدعت أحلامى وأحسست تماما بأننى منهار،وبدأت أفكر فى تأميم الصحافة كعملية إنقاذ لدار روز

اليوسف،وخصوصًا أن هذا الحل كان لا يمكن تنفيذه فى حياة أمى..كان لا يمكن أن تترك المجلة أبدًا للحكومة فلقد كانت المجلة أسرتها ومنزلها..وكنت كلما كتبت قصة أبيعها للحكومة وأضم ثمنها فى روز اليوسف،ثم أسست شركة بينى وبين أختى وزوجها كى نبنى دارا للطباعة،وكل هذا ولا فائدة، وكتبت مقالا قلت فيه: لماذا لا تؤمم الصحافة؟..وقد أممنا كل شيء تقريبًا،ولجأت إلى هذا بعد أن أرهقتنى ديون المجلة و الرقابة أيضًا، يضيف إحسان «قلت أيضًا فى المقال: إن الصحافة حين تؤمم تصبح تابعة للحزب الحاكم وهو الاتحاد الاشتراكى،ويؤكد:«قرأ عبد الناصر المقال فى إبريل1960،وأخذ منه أربعة سطور بالنص،وأصدر بها قانون تنظيم الصحافة واتصل بى "عبدالقادرحاتم" وكان على علاقة صداقة بى،وقال:(الرئيس أخذ من مقالك وأمم الصحافة وأنت هتكون رئيس إدارة روزاليوسف، وكنت رئيس مجلس الإدارة الوحيد الذى عين من أصحاب الصحف التى دخلت فى قرار التأميم) ويقول: وأنا أعتبر أن روزاليوسف لولا التأميم كانت أفلست فتأميم الصحف المصرية كان حدثا فارقا فى مسار الصحافة لعقود طويلة فصحافة ما قبل التأميم تختلف اختلافا جوهريا عن صحافة ما بعد التأميم

وحكاية أخرى طريفة عن ما دفع الرئيس جمال عبد الناصر للتفكير فى إخضاع الصحف للرقابة الحكومية كما فعل فى العديد من الجهات الأخرى؟!سردها الكاتب الصحفى محمد توفيق على صفحات كتابه "الملك والكتابة" كانت بطلتها حسناء تدعى "تاتا زكى" بدأت الحكاية بمانشيت باللون الأحمر تصدر الصفحة الأولى من جريدة أخبار اليوم ذات صباح يقول.."اختفاء أجمل سيدة فى مصر" وجاء فى التفاصيل: أن سيدة أرستقراطية تدعى "تاتا زكى" متزوجة من محام كبير وشهير،لكنها لم تعد ترغب فى أن تكمل حياتها معه، وصارت تضيق به، وتركت له البيت، وأحبت رجلا آخر من العائلة المالكة السابقة وتريد أن تتزوجه وتعيش معه، لكن زوجها المحامى الشهير يرفض أن يطلقها.وحاولت "تاتا زكى" بكل الطرق أن تنفصل عنه؛

لكن الزوج المخدوع تجاهلها. فذهبت إلى دار أخبار اليوم والتقت "مصطفى أمين" فجعلها حديث الناس بطول مصر وعرضها، وانصرف الناس عن كل ما يجرى من إنجازات فى البلد وتابعوا وتتبعوا قصة "تاتا زكى" فغضب الرئيس "جمال عبد الناصر" وشن حملة ضد صحف الإثارة التى تلهى الجماهير عن القضايا الكبرى، وكان المقصود بذلك صحف أخبار اليوم، التى شغلت الرأى العام بقضية "تاتا" التى تهافت عليها القراء يوم بيوم لمعرفة سبب اختفائها وما ستفعله

ووصف عبد الناصر فى خطابه بمناسبة الاحتفال بالثورة، بعد هجوم عنيف على صحافة الإثارة بأنها صحافة تقدم صورة بعيدة كل البعد عن مجتمعنا الاشتراكى الجديد.

وزعقت الأصوات فى الاتحاد القومى للمطالبة بأن يكون للإتحاد دوره الايجابى فى توجيه الصحف، وبدأ التمهيد من كبار الصحفيين لصدور قرار تأميم الصحف.فكان أولهم محمد حسنين هيكل الذى كتب مقالا انتقد فيه الصحف المصرية وشن هجوم عليها حيث قال: "عن الصحافة المصرية لم تستطع أن تتخلص من كونها صحافة شخصية، تعبر عن الرأى الخاص لأصحابها ومحرريها، وانحازت لحساب المرفهين وفشلت فى التعبير عن الرأى العام لمجتمع بأكمله على اختلاف طبقاته".
كذلك تبعه فتحى غانم بمقال على صفحات روزاليوسف أكد فيه حق الدولة فى التدخل لتوجيه حرية الرأي. ودعا إحسان عبد القدوس رئيس تحرير روزاليوسف فى تلك الفترة إلى ضرورة أن تنظم الصحف فى إطار الإتحاد القومى لأنها تعد أداه من أدواته.

واجتمع عبد الناصر بالصحفيين بعد إعلان التأميم في 28 مايو وقال لهم:"لم يقصد بالقرار صحفا بعينها،وليس هدفنا أن نغتصب مباني من خمسة أو أحد عشر طابقا،

لكن لأننا لابد أن نبني مجتمعا اشتراكيا متحررا من الاستغلال،وأن المجتمع الذي نود بناءه ليس مجتمع القاهرة ولامجتمع النادي الأهلي ولا نادي الزمالك ولا الجزيرة ولا سهرات الليل مش هي دي بلدنا، بلدنا مهياش أبدا فلانة اتجوزت وفلانة اتطلقت ومصر ليست المطلقات في نادي الجزيرة..مصر هي كفر البطيخ."

ووجه عبد الناصر كلامه بحدة إلى الصحفيين قائلا:"أنتم كصحافة مجندون لخدمة البلد مش لخدمة ناس أبدا، واللي مش مؤمن بالمجتمع الاشتراكي التعاوني يقدر يقول أنا غير مؤمن،ويروح يقعد في بيته" وأضاف بأنه لايقبل أبدا أن تباع الصحف بأخبار الدعارة،كما هاجم مجلة صباح الخيرلنشرها رسوما كاريكاتيرية وصفها بالجنسية للرسام حجازي، كما هاجم النكت والتعليقات الساخرة التي يظهر فيها الزوج مخدوعا والزوجة تخبئ رجلا في الدولاب"وأظهرت الاغلبية من الكتاب والصحفيين النأييد والترحيب حتى أن أصحاب الصحف أنفسهم ومؤسسيها هم من أعلنوا فرحتهم بالقانون الذي اعتبروه خطوة لتنظيم الصحافة؟!

وعند نشر قانون الصحافة لم يكن إحسان بمصر فتحدث لزوجته تليفونيا من الخارج ليقول لها : مبروك تنظيم الصحافة!! وقيل وقتها أنه يعلم أن تليفون بيته مراقب؟ وقيل نافق القرار! وقال موسى صبرى أن هذا نفاقا ممقوتا،ويقول بكل أسف وقع فيه كبار الصحفيين،فمحمد التابعى رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم سلم مكتبه ليجلس عليه أمين شاكر"أحد الضباط الاحرار"ويعرب عن هذا بمقال أنه شرف عظيم!!وكتب هيكل عدة مقالات عن القانون الجديد روج فيها لمناسبة القانون لمجتمع يتحول للاشتراكية,وحيث تكون أدوات الانتاج وأدوات التأثير والتعبير في يد قوة واحدة,وحيث تكون وسائل التعبير مرآة عاكسة لهذه لقوة .

ولكن ما جرى فيما بعد وضع قانون تأميم الصحافة في مأزق .لقد ذهبت الاشتراكية واقتصاديات الدولة المركزية إلى غير رجعة وعاد القطاع الخاص ليسترد مواقعه الاقتصادية, وفي الوقت نفسه ظلت السلطة محتفظة بأدوات التأثير والتغيير والتعبير في يدها, وهو صورة صارخة من عدم التجانس,أن تكون حرية في السوق ومركزية في الاعلام وقد خيبت التجربة العملية كل التوقعات المتفائلة,فالتنظيم السياسي الاتحاد القومي الذي كان مالكا معنويا للصحافة اختفى بين يوم وليلة بقرار من السلطة التنفيذية كذلك فإن الصحافة أصبحت خاضعة للسلطة السياسية,تنقل وتعين ما تشاء دون أن تعود للمالك المعنوي"الشعب" أصبحت الصحافة أداة في يد الرئيس وتابعة له مباشرة,وكأنها أضيفت إليه مع باقي السلطات والصلاحيات,ولوكان هناك مبررات صاغها الحلم الناصري وراء ذلك فإن ما جرى فيما بعد أجهض الصحافة وتركها كائنا مشوها,ولا يزال

وهو ما يجعلنا نسخر من عبارة (السلطة الرابعة) التي تطلق عادة على الصحافة بل اننا بصريح العبارة نصرخ: (ان الصحافة لا يمكن أن تكون سلطة رابعة لان الفقه الدستوري في الدنيا لا يعرف غير سلطات ثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية, إن السلطات لا تخترع من الهواء وإنما هي وليدة تطورات تاريخية واجتماعية وسياسية مشهودة ومؤكدة فكيف يمكن أن تكون الصحافة سلطة رابعة إذا كانت مملوكة لجهاز تعينه السلطة التنفيذية كيف يمكن أن تكون الصحافة سلطة رابعة
في أي بلد من بلدان العالم الثالث كله وهذه البلدان باستثناءات قليلة لا تعرف غير سلطة فعلية واحدة سلطة أولى واحدة..وإذا كان موضع شك أن تكون هناك . بعد السلطة الواحدة الأولى . سلطة ثانية وثالثة فكيف يكون هناك مجال لسلطة رابعة؟

ماركوس والاستبداد والقروض

مسكينة شعوب العالم الثالث، معيبة عند معظمها الديمقراطية، ومن ثم لاسبيل أمامها لمسائلة الحكام، الأمر الذي يجعل مصيبة هذه الشعوب ليست مصيبة واحدة، وإنما مصيبتين في آن واحد: مصيبة من خارجها وأخرى من داخلها.. التي من خارجها تتمثل في الاستعمار في الأصل، بواسطة تحجيم انطلاقاتها الاقتصادية وتعويق تقمها في سبيل اعتمادها على ذاتها ليتحرر قرارها السياسي من التبعية.. أما مصيبتها التي من داخلها ففي حكامها الذين يأمنون شره نفوسهم لاستلاب مالية هذه الشعوب المسكينة بنظم حكم ديكتاتورية تجعلهم في منأى عن مساءلة شعوبهم لهم، بل حتى عن رصد تنامي ثرواتهم والبحث في مصادرها.. لكأنها مؤامرة محبوكة بين طرفي الانتكاسة: الخارجي والداخلي، لإفقار هذه الشعوب المغلوبة على أمرها والغنية في الأصل، وإلا ما كانت مطمعًا للاستعمار قديمه وحديثه.. ولكنها في النهاية فقيرة لافتقارها للحرية والديمقراطية، ومن وطأة المصائب النهمة لثرواتها.. وها نحن بصدد سيرة واحد من مصاصي دماء الشعوب هؤلاء.. ماركوس وزوجته إيميلدا، وفضائحهما الجنسية والمالية..

في عام **1969**، وفي إطار محاولات "فيردناند ماركوس" لإعادة انتخابه رئيسًا للفلبين، طلب كتابة سيرة ذاتية جديدة له، وأراد إنتاج فيلم سينمائي يتناول تاريخ حياته!!.. وهذه في حد ذاتها حيلة قديمة ومستمرة عند أصحاب الديكتاتوريات.. فما أن توشك فترة حكم الديكتاتور على الانتهاء، حتى يعد العدة لفرض فترة جديدة ثقيلة

على شعبه، والديكتاتور ذاته هو أول من يدرك سقوط أسهمه لدى الجماهير التي اكتوت بناره، ولأنه دائمًا رجل بلا إنجازات حقيقية لوطنه فتراه يعمل على نحو يحقق المثل الذي طالما تواتر عند الجماهير البسيطة.. "اللي على رأسه بطحة يحسس عليها".. وهو كصاحب بطحة كبيرة واسعة سرعان ما يسعى لمغازلة الإحساس الكامن بالقهر في نفوس الجماهير، مصورًا نفسه بطلاً مغوارًا درأ عن البلاد جحافل المستعمر الغاصب أو طردها من البلاد وحقق لها استقلالها!!.. بينما تتردد أصداء ذلك في الأوساط الجماهيرية بما يعني أن المستعمر الأجنبي كان في أكثر الأحوال أرحم بالشعب من الديكتاتور الوطني.. فحلم الشعوب الدائم يتمثل في الحرية والرخاء، وهما أمران لم يتحققا على يد ديكتاتور أبدًا..كان أن تولى كتابة سيرة ماركوس الذاتية الصحفي الفلبيني "بنيامين جران"، أما بالنسبة للفيلم السينمائي فقد أراد ماركوس أن تقوم بدور البطولة فيه "جرتشين كوجانكو" زوجة صديقه الثري "إدوارد كوجانكو" وهو دور حبيبة ماركوس خلال الحرب العالمية الثانية..ولكن إيميلدا ثارت غيرتها ورفضت هذا الاختيار، وأخيرًا تقرر اختيار اثنتين من الممثلات الأمريكيات، وهما "جويس ريس" و"دوفي بيمز" للقيام بالدور بصورة مبدئية على أن يحسم ماركوس الأمر بنفسه في نهاية الأمر..وبالفعل توجهت الممثلتان إلى مانيلا حيث التقى ماركوس بهما، وبعد دقائق من لقائه بهما طلب أن يخلو بـ "دوفي" حيث دار بينهما حديث حول عالم السينما وأخبرها ماركوس أنه رئيس الفلبين وأنه أحبها من أول نظرة!!..

في اليوم التالي عاود ماركوس زيارته للممثلة "دوفي بيمز"، وبدأت علاقة غرامية بينهما استمرت لمدة عامين بعد ذلك، وحصلت "دوفي" بالطبع على موافقة ماركوس على القيام بدور حبيبته خلال الحرب العالمية الثانية. ولنتتبع الآن لنرى كيف يخدم الديكتاتور مراهقته المتأخرة، ولنستشف أي لص إقطاعي هو..لقد اختار ماركوس منزلاً لعشيقته في إحدى ضواحي مانيلا عاصمة الفلبين، ووضع تحت إمرتها مجموعة

كبيرة من الخدم والحراس الخصوصيين علاوة على سكرتير شخصي!!. وفي بداية علاقته معها، أخبرها ماركوس أنه منفصل في الواقع عن زوجته "إيميلدا" منذ سنوات عديدة، وأوضح لها أنه لا يستطيع الانفصال عنها رسميًا على الرغم من أنهما منفصلان بالفعل كزوجين.. واعترف ماركوس لعشيقته "دوفي" أيضًا بأنه متزوج زواجًا عرفيًا من "كارمن أورتيجا" وأن أمه مازالت تعتبر "كارمن أورتيجا" هي زوجته الحقيقية!.

وبعد بضعة أسابيع من بدء العلاقة بينهما، بين ماركوس ودوفي، منحها ماركوس الفرصة للقيام برحلة إلى هونج كونج لشراء مجوهرات لها، ولتمضية أجازة في جزر "الباهاما".. وفي هونج كونج ابتاعت دوفي مسجلاً صغيرًا لتستخدمه في تعلم لغة "تاجالوج" واللغة الإسبانية على يد ماركوس.. وأيضًا لمآرب أخرى سنوردها في موقعها المناسب!!. وكان ماركوس – عندما تغادر زوجته إيميلدا الفلبين – يمضي كل وقته مع دوفي.. وبعد أن ينام ماركوس، كانت دوفي تفحص الأوراق والمستندات على مكتب الرئيس الفلبيني وتختار من بينها ما تريد الاحتفاظ به!.. ومن المعروف أن ماركوس كان يحضر دوفي إلى مقر إقامته في قصر "مالاكانانج" في مانيلا، عندما تكون زوجته إيميلدا خارج العاصمة الفلبينية..وبدأ تصوير الفيلم بالفعل، ولكن ببطء، وأصبحت "دوفي بيمز" شخصية مشهورة في مانيلا، ومنحها ماركوس منزلاً آخر في العاصمة الفلبينية لتعقد فيه مؤتمراتها الصحفية. وكثر غياب ماركوس عن عيني زوجته إيميلدا التي كانت عندما تشعر بالشك وترتاب في غيابه، تأمر حراسها بأخذها في رحلة بالسيارة في مانيلا للبحث عن ماركوس!..

وبالطبع كان الحراس يعرفون أين يكون الرئيس الفلبيني، وبالتالي يقومون بأخذ إيميلدا إلى أماكن أخرى ليس من المتوقع أن يوجد بها ماركوس، ذلك وعلى الرغم من العلاقة الهشة التي كانت تربط بين ماركوس وإيميلدا، إلا أن بعض الأشخاص في قصر

"مالاكانانج" كانوا يعتقدون أن العلاقة بينهما على ما يرام، خاصة أن إيميلدا كانت تستيقظ في الصباح متألقة ومتوردة الوجنتين، بينما كان السبب في ذلك أنها تحتفظ في غرفة نومها بأنبوبة أكسوجين، وتمضي بضع دقائق بعد استيقاظها بتمرينات للتنفس!!..ونعود لـ "دوفي"؛ فذات مرة قرأت دوفي بيمز تحقيقًا صحفيًا في إحدى مجلات هونج كونج، يصف ماركوس بأنه أغنى رجل في آسيا.. وعندما سألت "دوفي" "ماركوس" عن حقيقة الأمر أجابها قائلاً: – حسنًا.. إن إيميلدا أكثر مني مالاً..وأوضحت له دوفي أن هدفها الوحيد في الحياة أن تكوّن ثروة، فأعرب ماركوس لها عن امتنانه لأن علاقته معها حالت دون إصابته بانهيار عصبي، واتخذ عدة ترتيبات مالية لتأمين مستقبلها من الناحية المادية، وذلك عن طريق صديقه المصرفي "روبرتو بنيديكتو". ومن المعروف أن "ماركوس" و"بنيديكتو" يمتلكان بنكًا في "بيفرلي هيلز" بالولايات المتحدة الأمريكية.وربما من قبيل الرغبة في إبراز قدراته في مجال المناورات السياسية، أو ما يتمتع به من ذكاء، أمام عشيقته راح ماركوس يستعرض "دوفي" حيله وأساليبه ليبقى في الحكم مجددًا فترة رئاسية جديدة بالرغم من أن ذلك يتم بواسطة الانتخابات!!..

ولا عجب.. فالانتخابات لفظ مفترى عليه من ذلك الذي يجري في معظم دول العالم الثالث.. إنهم فقط يعطلون الأعمال ويصدعون رءوس الناس بدعاياتهم وقوائم بطولاتهم وإنجازاتهم الوهمية، وفي النهاية تزييف إرادة الجماهير ليظل الحاكم حاكمًا وهو القابض بيد من حديد على مقاليد الأمور في البلاد!..

فماذا قال ماركوس لـ "دوفي" وهو يستعرض قدرته على استغفال شعبه:
قال: أنه دفع بالليبراليين ليرشحوا "سيرجو أوسيمنا" كمنافس له في انتخابات الرئاسة.. أما لماذا سيرجو أوسيمنا بالتحديد؛ فلأنه من السهل على ماركوس أن يهزمه!.. وأكد لها أنه سيفوز سواء بالحق أو بالباطل.. وأنه مستعد لاستخدام التهديد

الشيوعي للبلاد كذريعة لإعلان الأحكام العرفية إذا ما اضطرته الضرورة إلى ذلك. وخلال الحملة الانتخابية أخذ ماركوس يتهم منافسه "أوسيمنا" بالخيانة لتعامله مع اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية..ومن المثير للسخرية أن أوسيمنا قدم نفسه خلال المعركة الانتخابية على أنه موال للولايات المتحدة الأمريكية!.. وبالتالي اتهمه ماركوس بأنه مرشح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية!.. وقبل خمسة شهور من انتخابات نوفمبر 1969 قدم الرئيس الأمريكي "نيكسون" إلى الفلبين في زيارة رسمية بعد أن هدده ماركوس بأنه سيدير ظهره للولايات المتحدة إذا لم تسانده بوضوح وبشكل قاطع في الانتخابات؛ فجاءت زيارة نيكسون لدعم ماركوس وطمأنته على أن واشنطن تقف إلى جواره..ومع اقتراب موعد انتخابات الرئاسة في الفلبين، تصاعدت حدة العنف واتسمت المعركة الانتخابية بالدموية والعمليات الإرهابية بصورة لا مثيل لها، وصل العنف إلى مداه عن طريق تنفيذ الجانبين المتنافسين "ماركوس" و"أوسيمنا" لعمليات اغتيال وحرق قرى بأسرها وتسويتها بالأرض. وبالتزوير والأساليب غير المشروعة حقق ماركوس انتصارًا ساحقًا وحصل على 74% من أصوات الناخبين. وقد اضطر ماركوس إلى إنفاق 168 مليون دولارا لإعادة انتخابه رئيسًا للفلبين، وقام بتمويل حملته الانتخابية بواسطة عدة طرق من بينها طبع مزيد من البنكنوت، وبالتالي زيادة نسبة التضخم في البلاد، واستنزاف موارد الفلبين من النقد الأجنبي.. وعلاوة على ذلك، أجبرت هذه الظروف ماركوس على تبني برنامج للتقشف، وتخفيض قيمة العملة الفلبينية (البيو) بنسبة 50%.وطوال هذه الفترة.. فترة انتخابات الرئاسة.. افتقدت "دوفي بيمز" ماركوس، حيث أنه كان مشغولاً وغارقًا حتى أذنيه في معركة انتخابات الرئاسة

وقامت دوفي خلال تلك الفترة بأجازة خارج الفلبين.. وعندما عادت وجدت ماركوس في حالة من الضياع لم تجد لها تفسيرًا ولا مبررًا.. ولكن الكولونيل "فابيان فير" رئيس البوليس السري حضر لزيارتها ذات يوم وبرر لها شعور ماركوس بالضياع

والهزيمة، إذ كانت نبرة توجيه الاتهامات بالفساد والاحتيال والكسب غير المشروع لماركوس قد علت، وفي مواجهة هذه الاتهامات أعلن ماركوس أنه سيتنازل عن كل ممتلكاته إلى "مؤسسة ماركوس"، ولأنها كانت مناورة لكسر حدة نبرة الاتهامات الموجهة ضده، عاد بعد فترة ليعدل كلامه قائلاً أنه سيتنازل عن ممتلكاته هو، ولكنه لا يستطيع التنازل من الناحية القانونية عن ممتلكات زوجته "إيميلدا" أو عن ممتلكات أطفاله

وفي الثلاثين من ديسمبر 1969، جرت مراسم تنصيب ماركوس رئيسًا للفلبين وسط إجراءات أمن مشددة لم يسبق لها مثيل.. وفي شوارع مانيلا اندلعت مظاهرات على مدى عدة أيام على التوالي وشارك فيها خمسون ألفًا من المعارضين احتجاجًا على فوز ماركوس في المعركة الانتخابية بطريقة غير مشروعة.. وقامت قوات الأمن بسحق المظاهرات..ومكث ماركوس في مقره بقصر "مالاكانانج" لعدة أسابيع تالية وأجريت عمليات استحكامات لمختلف منافذ القصر، وانتشرت قوات الأمن والبوليس السري حوله وبين جنباته واتهم ماركوس وقتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأنها تساند جناحًا يمينيًا في الفلبين للقيام بانقلاب للإطاحة به..وذات يوم عادت دوفي إلى منزلها الواقع في إحدى ضواحي مانيلا لتجده يجرى إخلاؤه، وكانت دوفي تلتقي في هذا المنزل مع ماركوس.. وأوضح لها ماركوس بعد ذلك أن أعداءه يراقبون المنزل، وبالتالي لم يعد من الحكمة استخدامه كعش للغرام.. ووافقت دوفي على ذلك وقررت الانتقال للإقامة في مقرها العلني في مانيلا، وفيما بعد علمت دوفي أن ماركوس كذب عليها، وأن المنزل تم تجديده ليصبح مقرًا لزوجة ماركوس العرفية "كارمن أورتيجا"، وفي إطار هذا المناخ تصاعد التوتر بين دوفي وبين ماركوس، وقامت دوفي بتسجيل شريطين جديدين للرئيس ماركوس وهو يمارس معها الحب، وأضافت هذين الشريطين لحصيلتها السابقة من الأشرطة المسجلة والوثائق وبعض الملابس الداخلية لماركوس!!.وبعد بضعة أيام قررت دوفي العودة إلى لوس أنجلوس بعد أن علمت أن

ماركوس يرفض عرض الفيلم الذي قامت فيه بدور البطولة، وهو الفيلم الذي يسجل السيرة الذاتية للرئيس الفلبيني.. وسافرت دوفي إلى لوس أنجلوس وهي مصممة على الانتقام من ماركوس. ..وفي أغسطس، أي بعد سبعة شهور، قررت دوفي العودة إلى مانيلا لتهدد ماركوس وتطلب منه الثمن!.. وعند وصولها إلى مانيلا، نقلها "فابيان فير" رئيس البوليس السري الفلبيني للقاء ماركوس بعيدًا عن قصر مالاكانانج، وهناك في هذا المنزل جرت مواجهة عنيفة بين دوفي وماركوس، اتهمته خلالها دوفي بأنه كاذب ولعين.. وبعد هذه المواجهة تم نقلها إلى غرفة بفندق "سافوي" بمانيلا حيث قام عدد من معاوني ماركوس وعلى رأسهم "فابيان فير" بالاعتداء عليها بالضرب وتعذيبها.. وفي حمام الغرفة وجدت دوفي تليفونًا حيث اتصلت من خلالها بسكرتيرها الشخصي وطلبت منه إرسال رسالة شفوية للناشر الأمريكي "ويليام راندولف هيرست" في بالم سبرنجز بولاية كاليفورنيا لإخباره بما يجري لها من تعذيب، وفي هذه الأثناء أعادها "فير" إلى حجرتها الأصلية في فندق "هيلتون" وبعد ذلك اتصل بها ويليام هيرست، وطلب منها الاتصال بالسفير الأمريكي لدى مانيلا ويدعى "بايرود"..

وبالفعل قامت دوفي بالاتصال تليفونيًا بالسفارة الأمريكية، وبعد قليل قام بزيارتها القنصل الأمريكي لورانس هاريس، حيث أبلغها أن إيميلدا تعرض عليها مائة ألف دولارا كي تلتزم الصمت، ثم التقت دوفي بعد ذلك بالسفير بايرود في السفارة الأمريكية، حيث كرر عرض المائة ألف دولارا وحذرها أنها إذا لم تقبل هذا العرض فإيميلدا ربما تأمر بقتلها.. وبينت دوفي بسرعة أنها تضع نفسها في خطر إذا واصلت الصمت، وعندما أبلغت السفير بايرود والقنصل الأمريكي هاريس بالوثائق والأشرطة التي لديها تغير موقف المسئولين الأمريكيين على الفور، وقرروا نقلها إلى فندق آخر يمكن من خلاله لرجال أمن السفارة الأمريكية حراستها.وفي الفندق الجديد، عقدت دوفي مؤتمرًا صحفيًا وجهت اتهاماتها فيه لرئيس الفلبين، ولكنها لم تشر إليه صراحة، واكتفت بالإشارة إليه ضمنًا تحت مسمى "فريد".وخلال المؤتمر الصحفي، قامت

دوفي بإدارة أحد الأشرطة التي سجلتها خلال أحد لقاءاتها الغرامية مع ماركوس متضمنًا التأوهات والآهات والغمغمات، وكان الشريط واضحًا لدرجة أن جميع المراسلين استطاعوا التعرف على صوت ماركوس دون عناء.. وقام مراسلان بتسجيل الشريط الذي أذاعته دوفي، وقد دفع زعيم المعارضة "بنبنو أكينو" خمسمائة دولارا للحصول على نسخة من هذا الشريط. وفور المؤتمر الصحفي استولى الطلبة في جامعة الفلبين على محطة إذاعة الحرم الجامعي وأخذوا يذيعون من خلالها نسخة من الشريط الذي أذاعته دوفي على المراسلين، وسرعان ما انتشرت نسخ الشريط في أنحاء البلاد، واستمع إليه المواطنون الفلبينيون في كل مكان. واضطرت قوات الأمن لاقتحام جامعة الفلبين لإسكات الإذاعة، وفي نفس الوقت طالب بنينو أكينو في مجلس الشيوخ الفلبيني بإجراء تحقيق في الموضوع..ومع تفاقم الفضيحة رافق معاونو السفير الأمريكي دوفي إلى مطار مانيلا الدولي الذي كان ممتلئًا بمعاوني ماركوس وجواسيس إيميلدا، وتوجهت دوفي على متن طائرة الخطوط الجوية الفلبينية إلى هونج كونج.. ولم يحاول ماركوس منعها من السفر لأنه كان غارقًا حتى أذنيه في مواجهة مناورات إيميلدا وعملائها السريين.وكانت محاولة إنقاذ دوفي عن طريق إخراجها من الفلبين عملية صعبة، خاصة وأن عملاء إيميلدا كانوا في كل مكان يريدون القضاء على دوفي بأي ثمن، وعلى رأسهم القاتل المحترف "دولفين كويتو"، وعلى الرغم من أن السفارة الأمريكية قامت بتأمين مقاعد الطائرة المحيطة بدوفي، ووضعت فيها مجموعة من المعاونين الفلبينيين المخلصين، إلا أن إيميلدا دفعت مسئولاً في الخطوط الجوية الفلبينية لإبعادهم عن مقاعدهم الأصلية لكي يجلس القاتل المحترف دولفين كويتو في المقعد التالي لمقعدها، كذلك أرسلت إيميلدا فرقة مكونة من عشرة رجال للقضاء على دوفي لدى وصولها إلى هونج كونج، وذلك على متن طائرة تابعة لسلاح الطيران الفلبيني من طراز "سي – 130". وفي مطار كان تالك في هونج كونج وقعت مواجهة عنيفة بين حارس دوفي الخاص وبين القاتل المأجور دلفين كويتو، ابتعد بعدها كويتو عن طريق دوفي..وتمكنت دوفي نهاية المطاف، وبعد تدخل رجال البوليس

السري البريطاني في هونج كونج من العودة إلى "لوس أنجلوس"، وهناك كشفت عن مقتنياتها الخاصة جدًا والتي شملت قطعًا من ملابس ماركوس الداخلية، وأشرطة للتسجيل عن لقاءاتهما الغرامية علاوة على المستندات التي استولت عليها من مكتب ماركوس عندما كان يستقبلها في قصر ماكالانانج في حالة غياب إيميلدا.

وفي الأعوام التالية واصلت إيملدا محاولاتها الرامية لاستعادة المقتنيات وبعثت بمبعوثين لها إلى لوس أنجلوس في محاولة لإقناع دوفي ببيع هذا الكنز الذي تمتلكه من أجل أن تظل فرصة إيميلدا في خلافة ماركوس قائمة.. لكن دوفي رفضت كل هذه المحاولات مؤكدة أنها بكشفها حقيقة ماركوس فإنها تصنع معروفًا للشعب الفلبيني!!..إنه لأمر يسلم المرء لدهشة ممزوجة بالسخرية.. كل السخرية!!.. دوفي الداعرة الأمريكية ترفض أن تحقق أو تغتنم فرصة تحقيق مكسب مادي كبير في مقابل التنازل عما تحت يدها من مستندات ومتعلقات شخصية تفضح ماركوس، بينما تعتبر إسداءها معروف تبصير الشعب الفلبيني بحقيقة رئيسه ومهازله أهم وأجدى من أي مغانم أخرى مادية!!، لا هي فلبينية الأصل ولا حتى امرأة آسيوية!.. بينما المناضل الثوري البطل.. الفلبيني الأصل الذي تصوره وسائل إعلامه لشعبه نزيهًا عظيمًا، لا يتورع عن سرقة شعبه ومواطنيه والسقوط بكرامة وأسرار وطنه في شراك الداعرات!..

وفضيحة ماركوس مع دوفي ليست الفضيحة الغرامية الوحيدة بالنسبة لماركوس، فمن المعروف أن ماركوس زير نساء، ومن بين هذه العلاقات الغرامية لماركوس، والتي كانت تثير حساسية بالنسبة للعلاقات الأمريكية – الفلبينية، علاقة ماركوس مع زوجة أحد الضباط البحريين الأمريكيين، وكانت السفارة الأمريكية في مانيلا تخشى أن تكتشف إيميلدا هذه العلاقة مما قد يضفي توترًا على العلاقة الأمريكية – الفلبينية.ومن أشهر علاقات ماركوس العاطفية، علاقته مع المغنية الفلبينية كارمن سوريانو، وقد أزعجت هذه العلاقة إيميلدا كثيرًا لدرجة أنها سعت إلى لقاء كارمن سوريانو في سان

فرانسيسكو عام 1970.. وعندما طلبت إيميلدا من كارمن سوريانو توقيع بيان مكتوب تعلن فيه الأخيرة أنها لم تقاسم ماركوس الفراش مطلقًا، صاحت الأخيرة في وجهها قائلة لها: "اذهبي إلى الجحيم"، فما كان من إيميلدا إلا أن وجهت إليها ضربة عنيفة مفاجئة، إلا أن كارمن سوريانو تمكنت من تفاديها، واستقرت الضربة على جسد "أرنتو فيلاتويا" مستشار إيميلدا المالي، وتعويضًا عن هذه الضربة المؤلمة قامت إيميلدا بتعيينه رئيسًا للبنك الوطني الفلبيني.. وقد ظل يحتفظ بهذه الوظيفة حتى عام 1972.لكن..هل كانت مغامرات ماركوس ومجونه وسفهه تعود إلى إيميلدا بالخسارة.. أي خسارة؟!.. أبدًا.. فقد كانت كلها وعلى رأسها ضحية دوفي بيمز تمنحها الفرصة وراء الأخرى لتدعيم مركزها السلطوي والمادي على حساب ماركوس والشعب الفلبيني..بل وتمنحها أيضًا المبرر لممارسة مجون مماثل دونما تحسب لعلاقتها بزوجها الرئيس المراهق السفيه؛ فقد تمكنت إيميلدا من استغلال فضيحة دوفي بيمز للحصول على تنازلات لم يسبق لها مثيل من زوجها ماركوس، ومن أبرزها قيام إيميلدا وأسرتها بالسيطرة على مناجم الذهب والنحاس الشهيرة في الفلبين والتي كان ماركوس يحتفظ بها لنفسه.. وتعد هذه المناجم من أغنى مناجم الذهب في العالم.. وأصبحت هذه المناجم في يد شركة تعمل لحساب إيميلدا وشقيقتها كوكوي..كذلك أدت فضيحة دوفي إلى دعم سلطات إيميلدا في مواجهة ماركوس إلى الحد الذي دفع بالمواطنين الفلبينيين إلى التندر بقولهم أن إيميلدا عندما تموت فإن ماركوس سيضطر رغم أنفه إلى تحمل المسئولية كاملة في تسيير شئون الدولة، وأصبحت إيميلدا مطلقة اليد في دفع مشروعاتها المفضلة في الفلبين.

قامت إيميلدا بعديد من الرحلات والزيارات الرسمية إلى الدول الأجنبية، إلى درجة جعلتها سفيرا فوق العادة لبلادها، وعلى الرغم من ذلك فإنها تعرضت للسخرية والتندر من جانب الصحافة في الفلبين وفي الغرب كذلك. فقد قامت في إطار هذا المناخ بزيارة الصين في سبتمبر عام 1974، حيث التقت بالزعيم الصيني "ماوتسي

تونج" الذي أعرب عن إعجابه بها قائلاً: يا فتاتي الصغيرة العزيزة.. إنني أحبك لأن الصحفيين الغربيين يقدمونك في صورة سيئة..

وتمثل إنجازها الوحيد خلال هذه الزيارة في إقناع ماوتسي تونج بالمثول أمام كاميرات الصحفيين والمصورين الفلبينيين، مما كشف عن حالة الضعف الشديدة التي كان يعاني منها (ماو) والتي كانت السلطات الصينية تخفيها بعناية حتى ذلك الوقت..

وفي موسكو استقبلها أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي، وتحادثت مع الكيس كوسيجين رئيس الوزراء، وزارت مقبرة لينين.. ثم توجهت إيميلدا بعد ذلك إلى روما لزيارة البابا يوحنا بولس، وكانت زيارة إيميلدا للدول الشيوعية مثل الاتحاد السوفييتي وكوبا والصين، تستهدف أساسًا الضغط على الكونجرس الأمريكي لتقديم مزيد من المعونات المالية للفلبين.ولاحظت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن زيارتها لكوبا ومنطقة الشرق الأوسط بالتحديد هي رحلات دعائية.. فقد أشار تقرير لوكالة المخابرات المركزية إلى أن حماس إيميلدا للعالم الثالث وللقضايا الشيوعية يرجع إلى حداثة العلاقة بين مانيلا وهذه الدول وإلى أن هذا الحماس يلائم نزعتها المتنامية المناوئة لأمريكا.وعندما حاولت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية استخلاص معلومات منها حول العقيد معمر القذافي بعد قيامها بزيارة ليبيا، أشارت إيميلدا ضمنًا وفي خجل إلى أنها مارست الحب مع القذافي!ولكنها أسرت إلى أصدقائها وصديقاتها بأن العقيد شخص مستهتر وخليع!

وثارت شائعات كثيرة حول الحياة الخاصة لإيميلدا، وقد فجر هذه الشائعات رجل الأعمال الأمريكي هنري فورد عندما تشكك في وجود علاقة شاذة بين زوجته كريستينا وبين إيميلدا، خاصة وأن كريستينا كانت تمضي معظم وقتها مع سيدة الفلبين الأولى!!.. ورغم نفي إيميلدا وكرستينا لهذه الاتهامات، إلا أن الشائعات ظلت مستمرة ووجدت هذه الشائعات في اهتمام إيميلدا الغريب بمسابقات ملكات الجمال وقودًا

جديدًا، فمن المعروف أن إيميلدا كانت تنفق جانبًا كبيرًا من الوقت والمال على مسابقات الجمال، وتصطحب معها مجموعات من الجميلات المتنافسات في هذه المسابقة إلى منزلها الصيفي في الفلبين، ولم تدخر إيميلدا وسعًا في إرضاء جميلاتها بصورة أو بأخرى!!..أي نوع من النساء هي؟!.. فبالإضافة إلى ذلك ارتبطت إيميلدا بعلاقة صداقة حميمة للغاية مع الممثل جورج هاميلتون، ويقال أنها هي التي دفعت لهاميلتون ثمن فيللا شارل شابلن التي اشتراها في بيفرلي عام 1982 بمبلغ مليون دولارا.. وبالطبع فإن قيام إيميلدا بدفع هذا المبلغ للنجم الشهير جورج هاميلتون لم يكن دون مقابل.. والغريب أن هاميلتون قام في نهاية الأمر ببيع الفيللا إلى البليونير عدنان خاشقجي تاجر السلاح الشهير مقابل ستة ملايين من الدولارات!!..وبلغ من سفه إيميلدا أنها كانت تحتاج في سفرها أحيانًا إلى طائرة جامبو إضافية لنقل متاعها وحقائبها ومشترياتها!.. ذلك علاوة على طائرتها الخاصة المزودة بحمام خاص ودش، وتواليت من الذهب الخاص!..

إن للمرء أن يتصور كيف كانت حفلات إيميلدا؟.. لقد كانت تقيم لأصدقائها حفلات أسطورية مثل ليالي ألف ليلة وليلة، وتقوم بتسجيلها بواسطة جهاز الفيديو، وكانت أبرز هذه الحفلات تلك التي أقامتها احتفاء بعازف البيانو الشهير الأمريكي فاك كليبرن وراقصة الباليه (مارجو فونتين) وراقص الباليه الشهير (رودولف نوريف) في مانيلا عام 1977، ثم بعد ذلك في نيويورك أقامت سلسلة من الحفلات الأسطورية والتي شارك فيها عدد من أبرز الشخصيات العالمية، من بينها الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون وعدنان خاشقجي، وأرماند هارمر رئيس مجلس إدارة شركة أوكسيدنتال بتروليوم ورئيس شركة هامر جليري أيضًا.. وقد اشترت إيميلدا ذات مرة لوحات فنية من الشركة الأخيرة تقدر قيمتها بحوالي 4,6 مليون دولارا!!. وتقدر قيمة ما أنفقته إيميلدا في مجال شراء اللوحات الفنية بحوالي أربعين مليون دولارا.

أما عن المجوهرات وعشقها للمجوهرات، فقد كانت إيميلدا تطلب من محال المجوهرات فتح أبوابها خصيصًا لها في الساعة الرابعة صباحًا.. وقامت إيميلدا بشراء عدد من المجوهرات التاريخية من بينها جوهرة "عين الدمية" الشهيرة مقابل 5,5 مليون دولار. ويقال أن هذه الجوهرة قد ألهمت المخرج السينمائي الأمريكي اللامع "ستيفن سبيلبرج" أحد أفلامه. والوارد أن إيميلدا كانت اكبر مشترية للمجوهرات في العالم بأسره في خلال الفترة من عام 1975 إلى عام 1981. وعندما كانت إيميلدا تزور نيويورك فإنها كانت تقيم في جناح بفندق "والسدروف تاورز" بتكلفة 1700 دولارا في الليلة الواحدة، وتطلب كل يوم زهورًا قيمتها ألف دولارا.أما حاشيتها فكانت تنزل في 25 غرفة أخرى !!..وفي عام 1982 أنفقت إيميلدا مائة مليون دولارا على المهرجان السينمائي الدولي في مانيلا، وقد شهد ذلك المهرجان عديد من نجوم السينما العالمية وعلى رأسهم "جورج هاملتون"، "سيلفستر ستالون"، "بروك شيلدز"، "فرانكو نيرو". وقد أدى جنون الإسراف إلى أن تصبح إيميلدا وماركوس هدفين لسخرية الشعب الفلبيني وتندره، وسخطه أيضًا. ففي عام 1968 كان فرديناند ماركوس يعتبر أغنى رجل في قارة آسيا.. وبعد عشر سنوات – أي في عام 1978 – قدر البعض ثروته بنحو خمسة ملايين من الدولارات، ولكن هؤلاء لم يستطيعوا تحديد مصادر هذه الثروة، ولا الكيفية التي استطاع بها ماركوس جمع تلك الثروة بهذه السرعة!.. ومن المؤكد أن من مصادر هذه الثروة: بيع تصاريح الاستيراد، ومن احتكار تجارة الدخان، ومن مشاركة عدة شركات دولية في عالم المال والتجارة، ومن الصفقات المشبوهة.. ومن عقد صفقات مع أساطين المال والأعمال الصينيين واليابانيين، ومع زعماء المافيا في الولايات المتحدة، علاوة على ذلك فإن الجانب الأكبر من ثروة ماركوس جاء من الحكومة الأمريكية في شكل معونات ومساعدات مالية، وتعويضات عن أضرار الحرب العالمية الثانية، وقيمة تأجير القواعد الأمريكية في الفلبين.. ومن القروض التي حصل عليها نظام ماركوس من البنك الدولي وصندوق

النقد الدولي.. إلى جانب الرشاوى المباشرة من البيت الأبيض الأمريكي!هذا..وجانب آخر من ثروة ماركوس جاء من مصادرته لثروات الآخرين وممتلكاتهم في الفلبين، ولكن كل هذه المصادر – في رأي المراقبين – لا تكفي لتضخم ثروة ماركوس إلى هذا الحجم وبهذه السرعة؛ فالمثير بالنسبة لثروة ماركوس، هو صعوبة تقديرها، حيث تختلف التقديرات من بليونين إلى عشرة بلايين – وربما عشرين بليونًا – من الدولارات..وترجع صعوبة تقدير ثروة ماركوس وتضخمها – في آن واحد – إلى ما يعرف بذهب ياماشيتا.. وترجع الحكاية إلى صيف عام 1944، عندما تبينت اليابان أن قوات الحلفاء على وشك غزو الفلبين أو فرموزا، وفي غيانا الجديدة تجمع أسطول كبير من السفن الأمريكية، استعدادًا لهذا الغزو.. وقررت اليابان الاستعداد لمواجهة الغزو المحتمل للفلبين عن طريق تعيين قائد جديد هناك، هو الجنزال "ياماشيتا"، ووصل ياماشيتا إلى الفلبين في السادس من أكتوبر عام 1944.. وفي نفس الوقت تقريبًا أبحر أسطول كبير تابع للحلفاء من غيانا الجديدة إلى الفلبين قاصدًا خليج "دلبيت"، وهناك – في الخليج – دارت أكبر معركة بحرية في التاريخ، وألحق الحلفاء باليابانيين خسائر فادحة..ومع اقتراب عام 1944 من نهايته، استعد القائد الأمريكي "ماك أرثر" لمواصلة زحفه على الجزر الفلبينية، وتبين ياماشيتا أنه من المستحيل عليه الدفاع عن العاصمة الفلبينية "مانيلا" وترتيبًا على ذلك، ولحماية مانيلا من الدمار، أعلن ياماشيتا أن مانيلا مدينة مفتوحة، وقام بحسب قواته إلى منطقة الجبال في الشمال، ولم يترك في مانيلا سوى 3750 من قوات الأمن للحفاظ على النظام فيها، ولكن الأدميرال "سانجي" قائد المنطقة البحرية اليابانية قام بإعادة احتلال مانيلا بقوة من مشاة البحرية قوامها 16 ألف جنديا.. وأصدر الأدميرال سانجي أوامره بتدمير جميع المنشآت البحرية والمخازن.وجدير بالذكر أنه مع الغزو الياباني لشرق آسيا وجنوب شرق آسيا، تجاوزت عمليات السلب والنهب كل الحدود، حيث تمت مصادرة الذهب والجواهر من المواطنين والكنائس والمعابد والأديرة والبنوك والمؤسسات، ومن الحكومات المتهاوية أمام الغزو الياباني..وتقدر

قيمة عمليات السلب والنهب التي جرت في كوريا ومنشوريا والصين والهند الصينية وتايلاند وبورما والملايو وبورينو وسنغافورة والفلبين، بحوالي ثلاثين بلايين من الدولارات بأسعار الأربعينيات – أي ما يعادل ما يربو عن المائة مليون دولار بأسعار اليوم – فعلى سبيل المثال تقدر قيمة الذهب التي تم تجميعه آنذاك بما يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف على أقل تقدير، وقد عرف هذا الكنز المنهوب باسم "ذهب ياماشيتا"..

وجدير بالذكر أن النذر اليسير من هذا الكنز تم نقله إلى طوكيو أثناء الحرب، أما الجانب الأكبر منه فيؤكد الخبراء أنه لم يخرج من الفلبين التي كانت نقطة تجميع الذهب والجواهر والمعادن الثمينة المنهوبة على أيدي القوات اليابانية، خاصة بعد أن تغيرت موازين القوى في الحرب العالمية الثانية.وقد مثل رصيد الحكومة الفلبينية من الذهب جانبًا مهمًا من هذا الكنز، ومع وصول الحرب العالمية الثانية إلى ذروتها، قام كبار ضباط البحرية اليابانية في مانيلا، والمسئولون عن حماية هذا الكنز بإخفائه في المنطقة الجبلية شمال مانيلا، وفي المناطق الواقعة خارج العاصمة الفلبينية، وقد أجبر الضباط اليابانيون الأسرى من قوات الحلفاء – ومعظمهم من البريطانيين والأستراليين والفلبينيين – على حفر المخابئ اللازمة لدفن هذا الكنز، من الذهب والمعادن الثمينة.وكان اليابانيون يقومون بدفن هؤلاء الأسرى بعد قيامهم بعملهم أحياء، لكي لا يكشفوا مخابئ الذهب والمعادن الثمينة.. كذلك وضع المهندسون اليابانيون قنابل مفخخة وألغامًا حول هذه المخابئ، لكي يكون مصير كل من تسول له نفسه البحث عنها الموت. وتم وضع خريطة يابانية لكل هذه المخابئ، وفي نهاية عام **1944** قامت غواصة يابانية بإغراق سفينة تحمل مائة طنا من السبائك الذهبية في خليج مانيلا..وهناك دلائل عديدة على أن ماركوس قد استطاع العثور على جانب من ذهب ياماشيتا، فقد استعان ماركوس في بحثه عن ذهب ياماشيتا بمهندس مناجم أمريكي يدعى "روبرت كيرتس"، الذي قام بمجهود كبير في العثور على مخابئ الكنز، ولكنه فر هاربًا من مانيلا قبل استكماله عمله.. وكشف كيرتس رواية ذهب ياماشيتا

لعدد من الصحف الأمريكية عند عودته إلى الولايات المتحدة، ولكن ماركوس رد على ذلك بالسخرية من أسطورة ذهب ياماشيتا، ووصف كيرتس بأنه مريض عقلي، ولم يكتف ماركوس بذلك، بل بعث برئيس البوليس السري الفلبيني "فابيان فير" إلى الولايات المتحدة للبحث عن وسيلة يضمن بها صمت كيرتس، وفي نهاية يونيو 1978 وصل فابيان فير إلى الولايات المتحدة ومعه ثلاثة من الكولونيلات، حيث التقوا بزعماء المافيا في سان فرانسيسكو وشيكاغو، واتفقوا معهم على التخلص من روبرت كيرتس..

ولكن كيرتس علم بالمؤامرة التي يتعرض لها من خلال صديق له وهو في نفس الوقت صديق لماركوس، وسرعان ما اختفى كيرتس، وظهر بعد فترة ليست بالقصيرة وهو يحمل اسمًا جديدًا وهوية جديدة.وقد قام ماركوس بالعثور على جانب آخر من ذهب ياماشيتا في عام 1982 بمشاركة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وجدير بالذكر أن وكالة المخابرات المركزية ساعدت ماركوس في تسويق الذهب..

وقد شاهد أحد موظفي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في عام 1982 نفقًا يبلغ طول ملعب كرة القدم في القصر الصيفي لماركوس، وقد تكدست فيها سبائك الذهب!! ولا جدال في أن ماركوس لم يكتشف سوى جانب فقط من ذهب ياماشيتا، ولا تزال هناك العديد من المواقع حول مانيلا، وتحت مياه البحر في خليج مانيلا التي لم يكتشفها أحد بعد حتى الآن.. وهي تحتوي على بقية ذهب ياماشيتا، ولكن البحث عنها بدون الخرائط اليابانية التي احتفظ بها كيرتس لنفسه بعد مغادرته مانيلا، يعد محاولة للبحث عن إبرة في الظلام!!

ميسالينا..البغاء طريق الامبراطورة!!

تزوج «كلاوديولي» ثلاث مرات قبل زواجه من الشابة ذات الثمانية عشر ربيعًا «فاليريا ميسالينا»، ولم يبن هذا الزواج الرابع على أساس عاطفي، فلم يكن كلاديولي

يتمتع بأي شيء يُمكن أن يجذب قلب فتاة مراهقة، وقد بلغ الخمسين من عمره لا شيء سوى حسبه ونسبه..وما جرى مع كلاوديولي في أعقاب تلك الزيجة، ربما جعله يعتقد أن ميساليناكانت «قدم السعد» بالنسبة له! فما إن اقترن بها حتى وجدهم يبحثون عنه ليقلدوه إمبراطوراً للبلاد! فعمه الإمبراطور «كاليغولا» قُتِلَ على أيدي رجال الحرس الإمبراطوري،وأصبح جلوس كلاوديولي على العرش يُحقق للمُتآمرين غايتين مُهمتين،فمن ناحية يُمثل تنصيب كلاوديولي إمبراطوراً امتدادًا لشرعية الحكم،ومن ناحية أُخرى يصبح بوسعهم– المُتآمرين – إدارة شئون الإمبراطورية من وراء كلاوديولي لما توسموه فيه من غباء وضعف شخصية، فهل تسنى لهم ذلك؟!

لقد اتضح أن كلاوديولي لم يكن في غفلة أبدًا عما يُحاك من مؤتمرات للإحاطة بعمه «كاليغولا» ويعلم علم اليقين أن الإغراء الوحيد الذي يجعل المُتآمرين يتمسكون بالشرعية ويضعونه عن طيب خاطر خليفة لعمه ومن ثم يحفظ عليه حياته حتى يتم ذلك.هو إن يبدو في مرآهم غبيًا ضعيف الشخصية بالحد الذي يُطمئنهم بأنه لن يرقى بأي حال عن صفة ستار شرعي يحكمون من خلفه ويسيرون شئون البلاد على هواهم.. لذلك فقد تصنع الغباءوأبدى بالغ ضعف الشخصية.ولما آل الحكم له وأصبح إمبراطور البلاد مدعومًا من أطراف المؤامرة ذاتهم كشف عن قبضة حديدية لداهية سياسي لا قبل لهم أو حيلة بصدد حذقه ومناوراته،فنكل بالخصوم الأقوياء وأبادهم، وأخضع الضعفاء منهم وجعلهم يدورون في فلكه!.. لكنها المرأة!! وصعوبة سبر غورها، خديعة ناعمة لا ترقى لمستوى تصنعها وتدابيراتها منارات العتاة من الساسة ومكائدهم، فخديعتها لما يصدها عن الرجل سوى القدر وحده إن أراد، وإن لم يرد القدر انطلت على الرجل حتى تكتمل جوانبها وتعتمل نتائجها فيه. فـ «ميساليناً».. تلك المرأة الجميلة الفاتنة – الزوجة – لم تكن سوى كيان وحيد وضعته الأقدار في سبيل كلاوديولي الرجل الحاذق الذي ابتلع خصومه من عتاة السياسة والحرب لتتفوق على حذقه وتجعل من الإمبراطور بجلالة قدره أضحوكة، لما تضع

فوق عينيه غلالة الحب فتجعله وحده مغمض العينين عن مباذلها وسقطاتها وأبحارها الممعن في عالم الرذيلة! لقد انقضت الأيام الأولى من زواج كلاوديولي وميسالينا في سعادة غامرة، فكلاوديولي أثبت أنه في مخدع الحب فارس لا يعرف التعب،لكن..بقدر ما أسعد ذلك ميسالينا من الناحية الحسية، بقدر ما أصابها منه الملل واستبد بها! وبعد انقضاء فترة من الزمن، وضعت خلالها طفليها «بريتانيكوس» و«أوكتافيوس» انصرفت نحو الاستمتاع بالحياة.استمتاع بكل من يروق لها من الرجال في نفس الوقت الذي لم تكف فيه عن مراقبة زوجها كلاوديولي،ومحاولة الإبقاء على عاطفته مشبوهة ملتهبة نحوها لتكون في أمان تام.وبعد فترة قصيرة أصبح من المُتعذر إحصاء عدد المتهورين الذين طارحواالإمبراطورة "ميسالينا"الفراش،وبمرور الوقت بدأت الألسن تتناقل الأخبار في البلاط وبين أفراد الحرس الإمبراطوري.ومع قدوم فصل الصيف الذي تتفاعل فيه المشاعر الحسية مع طبيعة المناخ بما يزيد من تهافت ميسالينا على مضاجعة الرجال وممارستها الخيانة، حدث شيء لم يكن في حسبانها إذا انتشر بالبلاد وباء الكوليرا واتخذ أبعادًا غير مُتوقعة، الأمر الذي ألزمها تجنب مضاجعة العناصر الشبابية الأكثر عرضة للإصابة بفيروس المرض ولم يعد يقع بصر ميسالينا إلا على رجال تقدمت بهم السن، فاستبد بها القنوط مع إحساس بالحرمان من أجمل مباهج حياتها،حتى أقبل ذلك الصباح مع قدوم «ميرتالي» وصيفتها الشابة اليونانية،بهيئة تشع بهجة وسرورًا.ولما استوقفتها ملامح الرضا في وجهها وقسماته راحت تستفسر منها عما وراء كل ذلك الرضا، فعلمت منها أنها قد أمضت ساعات لا مثيل لها بصحبة بحار يعمل على نهر التيبر.ومُنذ ذلك الحين انفتحت أمام ميسالينا آفاق جديدة لمزيد من الاستمتاع بلذاتها، وذلك بالتوجه إلى حي «سوبور» حيث مدمني الجنس في حي السقوط. أعدت الإمبراطورة ميسالينا عدتها لخوض غمار المعترك الجنسي الذي يرضى شطحاتها ويروي ظمأها، تخفت في صورة مغايرة واستخدمت شعرًا مُستعارًا أشقر اللون، وإمعانًا في التمويه غير من اسمها إلى «ليمسكا» وذهبت إلى ذلك المخدع في حي «سوبور» ذلك الحي السافل والمشبوه

في روما. رافقتها في البداية وصيفتها «ميرتا» وبعد ذلك أصبحت تذهب بمفردها،وبمرور الوقت أدمنت ميسالينا التوجه إلى ذلك المكان الساقط،حيث تلتقي برجال من كافة الطبقات والأوضاع الاجتماعية .. وقد زاد من ترددها على هذا المكان مغادرة «كلاوديولي» روما على رأس جيوشه للقيام بغزو إنجلترا، وخلال تلك الآونة أصبحت زوجته تغادر القصر كل ليلة للقاء الأفاقين والجلادين والمدمنين للخمرأما وصيفتها ميرتالي، فقد استبد بها الذعر لاعتقادها أن مولاتها قدفقدت عقلها فبدأت تقدم الطقوس للآلهة داعية ألا يكتشف أحد ذلك السر المرعب ورغم كل وسائل التخفي التي اتبعتها ميسالينا نفذت إرادة القدر وانكشف أمرها..ولكن لمن؟!للرجل الذي يسيسه ويستثمره خير استثمار لصالحه إنه «نرسيس» أحد نديمي كلاوديوس والمؤتمن على أسرار الإمبراطور.فقد سمع نرسيس ذات يوم حديثًا مُثيرًا عن غانية جديدة ظهرت في حي سوبور تُدعى «ليسيسكا» وأنها قد احتلت مكانة كبيرة في نفوس زبائنها،فأرسل نرسيس بواحد من معاونيه ليتعرف على ليسيسكا ويعرف حقيقة أمرها، فعلها تكون يومًا ذات فائدة له، وعقدت الدهشة لسان الرجل،فالشعر الأشقر لم يخدعه، إن ليسيسكا ما هي إلا ميسالينا أدرك نرسيس قيمة هذا النبأ، لذلك قرر التخلص من معاونة كي يضمن لنفسه الاحتفاظ بهذا السهر، فعلاقته بالإمبراطورية ممتازة في الوقت الراهن،ويتمنى أن تظل كذلك،ولكن إذا ما فكرت ميسالينا يومًا أن تنقلب ضده، فإن قضية ليسيسكا ستمنحه فرصة الفوز عليها.وبعد فترة ليست بقليلة من الانغماس في حياة الدعارة بحي سوبور،حدث ما جعل ميسالينا تقلل تدريجيًا من مرات زيارتها للحي المشبوه،ويسد جانبًا كبيرًا من نهمها للجنس وحياة الخيانة حسب ما اعتقدت، فقد عاد القنصل «كايوس سيليوس» على إثر استدعاء من الإمبراطور كلاوديوس.فمن هو كايوس يسيليوس هذا الذي لجم شحطات ميسالينا الجنسية وجعلها تتفرغ له راغبة؟! إن كايوس سيليوس هو الرجل الوحيد الذي أحبته ميسالينا في حياتها، فلم تكن قد بلغت الرابعة عشر من عمرها عندما التقت به لأول مرة، لقد شغفت به إلى حد الجنون،ولم تتوان عن الاستسلام له

بكليتها رجل وسيم مجرب وهو أول من لقنها مبادئ الحب، لكنه اضطر لمغادرة روما والتوجه إلى جرمانيا لمراعاة مصالح الإمبراطورية هناك.وبرغم المحاولات المستميتة التي قامت بها ميساليا ليزعن إلى دعوتها إياه للرجوع ،إلا أن سيليوس رفض الاستجابة لها، وكان مبرره في ذلك أن الإمبراطور وحده يملك حق إصدار الأمر بالعودة، وفي ذات الوقت لم يكن يجد الإمبراطور من هو أجدر منه للقيام بهذه المهمة.ولكنه أخيرًا قد عاد إلى روما، ولكن معه زوجته التي يُقال أنها يونانية شديدة الجمال وما إن وصل حتى استدعته ميساليا بشكل غير رسمي، استقبلته على انفراد واقتادته إلى سريرها دون أن تتيح له فرصة التقاط أنفاسه!ورغم إرهاق العودة إلا أن سيليوس وجد متعة حقيقية في تجديد علاقته بفتاة اكتشف فيها من جديد عشيقة مذهلة، وقد أيقظت هذه العلاقة في نفسه الكثير من الآمال والطموحات الفريدة.وعلى الفور استأجر سيليوس مسكنا،حيث يتبادل هو وميساليا الحب ويتطارحان الغرام يوميًا بشغف وبعد فترة وجيزة بدأ التوتر يظهر على ميساليا بسبب التكتم الذي تفرضه الظروف على هذه العلاقة،وأصبح كل ما ترغب فيه أن تعلن عن هواها جهرًا وعلى مسمع من الجميع، وتعلم روما أنها مُتيمة بحب كايوس سيليوس..وشرعت تغدق على عشيقها الهدايا النفيسة،فهي لا تتوانى عن تفريغ القصر من أثاثه الثمين لكي تنقله لبيت العشق الجديد،وبهذا تحولت دار القنصل إلى متحف حقيقي.تمكن العشق من فؤاد ميساليا فما عادت تطيق وجود امرأة أُخرى في حياة عشيقها، حتى لو كانت زوجته الشرعية، فهكذا يبدأ العشق، أمل في نصيب من فؤاد العشيق أو العشيقة،ثم يتحول الاحتواء بكامله إلى غاية وعندئذ لا يقبل العاشق مُشاركة أحد في هواه.تنشط نزعة التملك لتطمس الرؤية الواقعية وتغيب العقل عن الحقيقة، فقد أضحت ميساليا تتكوى بنار الغيرة من الزوجة الشرعية لسيليوس، وتتحول إلى حيوان مفترس كلما تذكرت أن هناك من تشاركها عشيقها، وأخيرًا حسمت أمرها.. لقد اهتدت لحل تمثل في السموم التي تعدها «لوكوستا» وهي امرأة على درجة عالية من سعة الأفق وقلة الذمة في آن واحد! حاكت الخطة.. ثم نفذتها.خرج سيليوس إلى منطقة أوستيا

بصحبة كلاوديوس،حيث كان الإمبراطور راغبًا في إقامة منارة هناك، كانت زوجة سيليوس في المنزل، حيث تلقت سلة رائعة من الثمار أرسلت إليها من البلاط مباشرة، ولأنها اعتادت مثل هذه الهدايا فلم يكن من المُحال أن تتناول بعض الثمار، وهكذا انتهت ميساليا من وجود الزوجة التي طالما ضاقت بوجودها في حياة عشيقها سيليوس.عن طريق التفاح المسموم بسم «لوكوستا»..وماذا كان رد الفعل عن سيليوس؟ إن سيليوس يعرف ميساليا حق المعرفة، ويعلم أنها قادرة على ارتكاب أي عمل من أجل أن تنعم بالعيش معه، وأحس في قرارة نفسه أن عائقًا إضافيًا قد أُزيل من طريقه إلى العرش، وبذلك لم يتبق غير العائق الأكبر،ذلك الجالس حاليًا فوق العرش الإمبراطوري،«كلاوديوس» نفسه! قد تبدو مسألة التخلص من الإمبراطور مسألة سهلة المنال، مثلما تم مع زوجته،ولكن ميساليا ليست مُتأكدة من البقاء على قيد الحياة بعد اغتيال الإمبراطوري، «كلاوديوس» كما أن ثقتها أقل في رؤية التاج الإمبراطوري يكلل هامتها، فأعداؤها كثيرون.ورغم كل ذلك، فقد اهتدت إلى طريقة شيطانية، بدت في نظرها خالية من كل خطورة، لقد قررت أن تتزوج عشيقها مع وجود كلاوديوس على قيد الحياة، بل وبمباركته أيضًا! ويُمكن بعد ذلك الخلاص من كلاوديوس بسبب تلبك معوي مثلًا، فلا يبقى أمام كايوس سيليوس،وقد أصبح زوجًا لها غير الصعود للعرش بصورة تلقائية! وافق سيليوس على خطة ميساليا، حيث رأى أن هذه الفكرة إذا أحسن إخراجها يُمكن أن تنجح نكاحًا تامًا، (فهي ترتكز على قيام كلاوديوس بجولة انفرادية في الحدائق المُحيطة بالبلاط في المساء فيتلاقى مع شخص يمثل عليه ويدعى قرب موته ،وانه يحفر له قبره.. وفي أحد الأيام، حيث كان كلاوديوس يقترب ببطء من معبد صغير للإله أبولون، لمح عجوزًا أصفر الوجه يرتدي ملابس بالية يحفر حفرة، فتملك الإمبراطور الدهشة لوجود هذا البستاني في تلك الساعة المُتأخرة من المساء، واقترب منه وسأله عما يفعل في هذه الساعة، ورد العجوز بصوت أجش بأنه يقوم بحفر قبر، والقبر لزوج ميساليا الذي ينبغي أن يموت (خلال ثلاثة أيام)!! انزعج كلاوديوس من حديث العجوز وانطلق عائدًا إلى القصر

بعد أن علم أن اسم العجوز «إليكون»، وما أن دخل القصر حتى استدعى نرسيس وطلب منه أن يُفسر له وجود مثل هذا البستاني الذي يُدعى "إليكتون" في مثل هذه الساعة وفي مثل هذا العمل،إلا أن نرسيس عاد بإجابات غريبة مُبهمة،فالبستاني المدعو إليكتون قد توفي مُنذ شهرين!! تملك الفزع كلاوديوس الذي قضى ليلة لا يُحسد عليها، فظل يتقلب من جنب إلى جنب،ثم انطلق نحو ميسالينا التي لاطفته وهدأت من روعه طالبة منه أن يستشير كبير كهنة روما.وما إن وصل الكاهن العظيم حتى وضعت المشكلة بين يديه، ولكن ميسالينا قد تصورت الحل لهذه المشكلة، وذهبت إلى الكاهن والإمبراطور حيث هما وقالت: لكي يستطيع كلاوديوس أن ينجو من هذه الرؤية، عليه ألا يظل زوجًا لها، ثم عرضت خطتها."موجز الخطة أن يبتعد كلاوديوس عن روما لبضعة أيام، أي الفترة الكافية لمرور اليوم المقدور، وتقوم ميسالينا في هذه الفترة، ويدافع من إخلاص لا مثيل له، بالتصدي للمحنة، فتظل على رأس الحُكم وتقعد عقد زواج صديق قديم،وليكن كايوس يسيليوس. وعلى سبيل المثال، فهو على درجة من الشجاعة والوفاء تُؤهله للقيام بدور زوج ميسالينا في يوم نفاذ حكم القدر، وهكذا تتم التضحية بذلك الرجل الصالح!! ولكن الكاهن الأكبر اعترض بشدة على خطة ميسالينا، ذلك في الوقت الذي أُعجب بها كلاوديوس، فقد وجد في فكرة العثور على بديل له فرصة للهروب من القدر!وإذا كان الكاهن الكبير لم يقتنع في قرارة نفسه، فإنه قد أدرك أن معارضته لهذا المشروع الجنوني سوف تعني أن أيامه في روما قد تكون معدودة.وعندئذ أعلن كلاوديوس عن عزمه السفر إلى أوستيا لمراقبة منارته، وعلى الفور بدأت ميسالينا تعد العدة للاحتفال بعقد قرانها على سيليوس..لقد أعدت كل شيء دون أن تحسب حساب نرسيس المطلع مُنذ وقت طويل على كل أسرارها.وقد شعر في ظل هذه المسرحية الشاذة التي قامت ميسالينا بتأليفها، أن في يده أسرار قيمة يُمكن استغلالها لإيقاف هذه المسرحية، خصوصًا أنه قد أحس بقدرة ميسالينا الهائلة على التخلص منه في أي وقت تشاء. ولم يتردد نرسيس،وقام باستخراج كل التقارير المُتعلقة بنشاط ليسيسكا وانطلق على جواده

يُسابق الريح إلى مكان كلاوديوس وكان وصوله له وقع الصاعقة على الإمبراطور الذي ظل لفترة يرفض كلام نرسيس ويفهمه بأنها مخاوف لا مبرر لها وإن ما يحدث الآن مجرد مسرحية هزلية تهدف للحفاظ على حياته.ولكن نرسيس عرض على الإمبراطور سجلًا كاملًا مُدعمًا بالحجج والبراهين يتضمن تفاصيل كاملة عن حياة زوجته في السر.وتمكن في النهاية من إشعال نار الغضب في نفس كلاوديوس الذي قرر الرجوع فورًا، وقد استدعى في عودته كافة الوحدات العسكرية التي وجدها في طريقه،هذا في الوقت الذي عاد فيه نرسيس بسرعة إلى الوطن ليعلن نبأ رجوع مولاه.أحدث نبأ وصول الإمبراطور انفجارًا كالبركان وسط مظاهر الاحتفال في البلاط بالعرش الكبير، وهذا في الوقت الذي كان فيه العروسان فوق سرير الحب يتطارحان الغرام، وقد استولى الذعر على المُحتفلين، وبدأت عمليتا هروب فوضوية، بدأها كايوس سيليوس نفسه قبل الجميع لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه ألا وهو الإبقاء على رأسه بين كتفيه. ولكن ما كاد سيليوس يصل إلى بيته حتى كان رجال الحرس الإمبراطوري في انتظاره مُتعطشين إلى نهب أجمل دار في روما كلها،وعلى الفور توجه أحدهم إليه وطعنه بالخنجر وانتهى كل شيء.

أما ميسالينا فقد هربت بدورها إلى بيت أمها بحثًا عن ملجأ أمين، ولكي تنتظر وصول كلاوديوس فهي تعرف كيف تكسبه إلى جانبها حين يصل، إلا أن نرسيس يعرف ذلك حق المعرفة،وقد أدرك أن كلاوديوس لن يقوى على الصمود أمام دموع زوجته لذلك أرسل جنوده في أعقابها لتحظى هي الأُخرى بطعنة خنجر أحد الحراس،وعندما وصل كلاوديوس بكاها بدموع حارة، فهو لم يأمر بقتلها، لكن نرسيس أرسل إليه" أغريبينا ابنة أخته"، التي عرفت كيف تواسي ذلك العاشق العجوز وتمسح دموعه، وهكذا توصلت أغريبينا إلى خلافة ميسالينا

بالفيديوهات الجنسية تم تهديد العرب؟!

بالصدفة تقع عينى على صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية في تموز 2007م وجدت فيها: هددت (وزيرة الخارجية – الإسرائيلية) السابقة (تسيبي–ليفني (بالفيديوهات الخاصة بممارستها الجنس مع معظم المسئولين الفلسطينيين وعلى راسهم (صائب العريقات وياسر عبد ربه) وكانت قد تحدثت ليفني،عن نشأتها في كنف والديها البولنديين المهاجرين إيتان وسارة،حين كانا ناشطين في عصابة "ارجون" المتطرفة وذكرت أنهما تزوجا يوم إعلان إسرائيل لتصبح علاقتهما مرتبطة بذكرى ولادة الكيان الذي أسهما في تأسيسه!

وقالت إنها ترفض التنازل عن شبر واحد من أرض "يهودا والسامرة" احتراماً لوصية والديها اللذين أقنعاها بأن "يهوه" أعاد شعبه التائه إلى"أرض الميعاد"! أدت ليفني الخدمة العسكرية برتبة ملازم، ثم درست القانون في جامعة تل آبيب، لتلتحق بين عامي 1980 و 1984 بجهاز الموساد دون أن يُعرَف الكثيرُ عن نشاطاتها الاستخباراتية، سوى أنها عملت في الإدارة القانونية للجهاز وتطلبت بعض أنشطته إقامتها في باريس،لتُعرفَ هناك بـ(حسناء الموساد)واعترفت تسيبي ليفني بأنها مارست الجنس من اجل الحصول على معلومات تفيد اسرائيل فى القضية وتتذكر ليفني كيف أنها كُلِّفت بمهمتها السرية تلك في 1982م

وتقول (وكم كان من الصعب عليها أن تخبر أيا كان بما كانت تقوم به في الخارج على الرغم من أن حكومة بلادها كانت تخوض وقتها حربا في لبنان.) ..

واعترفت بأنها كانت مستعدة (أن تقتل آخرين في سبيل بلادها وتضيف:"كنت مستعدة أن أقتل وأغتال.وعلى الرغم من أنه ليس من القانوني تماما أن تفعل ذلك،لكن الأمر يكون مبرَّرا إن كنت تفعل ذلك في سبيل بلادك؟!) وأسمت ذلك بالدفاع الشرعى الوقائى وسط كراهية عربية تتمنى زوالك .

وذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" أن حسناء الكنيست صرحت بأنها استفتت الحاخام الأكبر في إسرائيل فأفتاها بأنه :"يحق لها أن تنام مع الغرباء وتمارس الجنس شرط أن يخدم ذلك إسرائيل

" وقالت ليفني إن الغرفة التي مارست فيها الجنس مع الشخصياتٍ الفلسطينية كانت مزوّدة بالكاميرات التي تصوّر الممارسة؟!

وبسهولة وجدت الـ "التايمز" مقابلة مع تسيبي ليفني، فقد لفت على كل جرائد الأرض.وعلقت عليها الجريدة بأن ليفني قامت بالكثيرمن عمليات الابتزاز الجنسي والقتل في أثناء عملها في الموساد منها حوادث قتل فلسطينيين وعلماء عرب ؟!
ولُوحقت مرات عدة قضائياً في دول أوروبية إلا أن اللوبي الصهيوني كان يتمكّن من تخليصها.؟!وعن سبب حرمان نفسها من علاقةٍ عاطفيةٍ طوال تلك السنوات،قالت ليفني خلال اللقاء:"إن العلاقة الرومانسية تتطلّب الأمانة والصدق والاخلاص بين زوجيْن،وأنا، بالطبع، لم أتمكّن من بناء مثل تلك العلاقة مع أحد"؟!
واضافت :" لكن وجود علاقة قصيرة وعابرة لا تسبّب أي أذى أوضررٍ إن التزم الطرفان بالقواعد والضوابط"

وجأت الزيادات نقلاً عن صحيفة بديعوت أحرونوت الاسرائيلية فاعترفت ليفني بأن أكبر وأشهر الحاخامات في إسرائيل أباح (ممارسة الجنس للنساء الإسرائيليات مع الأعداء مقابل الحصول على معلوماتٍ (فالفتوى عامة (لنساء الموساد وللإسرائيليات) وليست خاصة بوضع ليفنى؟! مستندا إلى أن اليهودية تسمح للنساء اليهوديات بممارسة الجنس مع العدو من أجل الحصول على معلومات مهمة ؟!

مع أن الشريعة اليهودية متحفظة ومتشددة فى الجنس (ففيها (« :اذا زنى رجل مع امراة فاذا زنى مع امراة قريبه فانه يقتل الزاني و الزانية، و اذا اضطجع رجل مع امراة ابيه فقد كشف عورة ابيه انهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما، واذا اضطجع رجل مع كنته فانهما يقتلان كلاهما قد فعلا فاحشة دمهما عليهما، و اذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امراة فقد فعلا كلاهم رجسا انهما يقتلان دمهما عليهما، و اذا اتخذ رجل امراة و امها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه و اياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم، و اذاجعل رجل مضجعه مع بهيمة فانه يقتل و البهيمة تميتونها،واذا اقتربت امراة الى بهيمة لنزائها تميت المراة و البهيمة انهما يقتلان دمهما عليهما، و اذا اخذ رجل اخته

بنت ابيه او بنت امه و راى عورتها و رات هي عورته فذلك عار يقطعان امام اعين بني شعبهما قد كشف عورة اخته يحمل ذنبه، و اذا اضطجع رجل مع امراة طامث و كشف عورتها عرى ينبوعها و كشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما، عورة اخت امك او اخت ابيك لا تكشف انه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما، و اذا اضطجع رجل مع امراة عمه فقد كشف عورة عمه يحملان ذنبهما يموتان عقيمين، و اذا اخذ رجل امراة اخيه فذلك نجاسة قد كشف عورة اخيه يكونان عقيمين، فتحفظون جميع فرائضي و جميع احكامي و تعملونها لكي لا تقذفكم الارض التي انا ات بكم اليها لتسكنوا فيها،ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين انا طاردهم من امامكم لانهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم »[التوراة – اللاويين20: 9–18] شريعة اليهود..

فمن أين ظهرت الفتوى؟ وتبين أنها فتوه الحاخام «آرى شفات»حيث رأى «أن الديانة اليهودية تسمح بممارسة الجنس مع "إرهابيين" من أجل الحصول على معلومات تقود لاعتقالهم،وإن اسرائيل لاتنس ماحدث فى السبى البابلى وهكذا أعلنت إسرائيل استخدام المرأة فى الجيش الإسرائيلى كسلاح رسمى ووسيلة دعائية للمشروع الصهيونى!

نظرت لصور "ليفنى" المتعددة بالصحف العالمية وهى تعترف بعيون تندب فيها حراب الحرب ولا تكفيها؟! إنها نوع من الجمال الحاد القسمات تجلس فى ثوب سماوى قصير واضعه ساقَ على ساقٍ غير هيابه من ظهور اللون الكحلى لملابسها الداخلية وهى تراقب عيون من يحدثها أكثر من عنايتها بكلامه،فكل شيىء سيتغير فى الفراش؟ ضحكوا على (ليفنى) فتحولت لمومس فى الموساد تحت شابو دينى يالا الحاخمات ويالا الفتواى. ؟وقيل هكذا تم تآول سفر التكوين فى التوراة:

من قصة النبى ابراهيم بمصر أوقصة النبى إبراهيم وإسحاق ابنه بفلسطين؟! وقصص آخرى عن داود وسليمان،عند الحاخامات؟! ففى التوراة مشهد مسرحى (لإيمالك) ملك الفلسطينيين مع كل من النبى إبراهيم والنبى إسحاق "ولده" الذى فى كل مرة تزوغ عينا (إيمالك) ملك الفلسطينيين على النساء –"نساء النبى إبرام "إبراهيم" أو نساء ابنه "إسحاق"!! ويكرر نفس غيه..يدفع الثمن ندما وغنما وعبيداًللنبى وأبنه !

فكرة تبرق كالنار برأسى فهل تسرب جهاد النكاح من الاسرائيليات لتراثنا الإسلامى!؟فعند الجوع وعند الخطر فاللعب بالنساء مباح مباح..فهل جهاد النكاح الذى ظهر فى سوريا هو عملية اسرائيلية؟!أم إجتهاد شيعى بتخريج عن جواز المتعة؟!أم هو التطور الطبيعى للحاجة الساقعة!!

الحاخام الأكبر فى إسرائيل، أفتى ليفنى بقلب مؤمن، يعرف الله والحق والمستحق بأنه "يحق لها أن تنام مع الغرباء وتمارس الجنس شرط أن يخدم ذلك إسرائيل!! ."

الغريب ان النبى إبراهيم التوراتى مختلف عن النبى إبراهيم القرآنى؟! ففى التوراة تذكر سارة زوجة النبى إبراهيم التوراتى للناس على لسان ابراهيم بأنها اخته مرة فى مصر؟!والثانية بأرض كنعان؟ ففى سفر التكوين بالتوراة المنسوب لموسى(وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امراته اني قد علمت انك امراة حسنة المنظر فيكون اذا راك المصريون انهم يقولون هذه امرأته.فيقتلونني ويستبقونك قولي انك اختي ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك فحدث لما دخل ابرام الى مصر ان المصريين راوا المرأة انها حسنة جدا وراها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فاخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع الى ابرام خيرابسببها.وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امراة ابرام.فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي.لماذا لم تخبرني انها

امراتك .لماذا قلت هي اختي حتى اخذتها لي لتكون زوجتي.والان هوذا امراتك.خذها واذهب فاوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)

وقد واجهت ليفني ملاحقات قضائية عجلت باعتزالها السياسة حيث أعلنت منظمات التضامن البريطانية وفريق الدفاع عن عائلات الضحايا الفلسطينيين صدور قرار قضائي باعتقال تسيبي ليفني بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين،وأصدر قاض في محكمة في العاصمة البريطانية لندن أمر اعتقال بحق ليفني بتهم جرائم حرب ارتكبت خلال حرب غزة،وسط اعتقاد أن ليفني تم تهريبها من بريطانيا خاصة وأنها كانت مسؤولة سابقا في ما يسمى (البيوت الآمنة) في أوروبا التابعة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلي.

ولكن قيل أن تركها السياسة راجع لأصابتها بمرض"الايدز" وكالنار في الهشيم انتشرت أخبار إصابتها في الإعلام العبري والعربي،حيث كشفت مصادر حكومية إسرائيلية النقاب عن إصابة ليفني بمرض نقص المناعة المكتسبة الايدز دون تحديد تاريخ الإصابةولكن السيدة (ليفنى) لم يصدر عنها حتى الآن أي تصريح ينفي أو يؤكد إصابتها بالايدز، باستثناء نفي وحيد صادر عن المستشار الإعلامي للوسط العربي في حزب العمل الإسرائيلي "ملحم ملحم" حيث نفى أن تكون تسيبي ليفني مصابة بالإيدز، معتبرًا أنهامحض شائعات.

عبد الناصر.. وصحافة العصا بدون جزرة ..

يقول موسى صبرى فى كتابه (50 عاماً فى قطار الصحافة) : (ولم يكن أى صحفى مؤمنا على رزقه.كان وقف الصحفى يتم بتليفون من عبد الناصر أوسكرتيره.لم تكن هناك حاجة لأى قرار مكتوب,وقد أوقفت عن العمل ثلاث مرات فى عهد عبد الناصر.وكان معروفا صحفيا أن جريدة الجمهورية لها موسما سنوياً للفصل،وفى مرة تجاوز الفصل120محررا ولم تكن المقاضاة واردة،كانت تعنى المقاضاة وقتها تحدى حكم عبد الناصر وإذا فصل الصحفى أو أوقف عن العمل،فكل الجهات لاتتعامل معه ،لا الإذاعة ،ولا التليفزيون، ولا الناشرون، فالفصل هو قرار بالاعدام)

ظهر فى الصحف اعلان عن صدور جريدة التحرير اليومية،تصدر عن دار التحرير للطباعة والنشر،وتبين أنها الأسم المؤقت لجريدة "الجمهورية" وصدرت الجمهورية فى 7 ديسمبر1953خرجت من رحم مجلة التحرير فى ولادة قيصرية لها العجب.وقعها عن صاحبها هيئة التحرير آى جمال عبد الناصر سكرتير عام الهيئة وبتوقيع الضامن أنور السادات،وتعرضت لهزات عنيفة – بعد ذلك– نظرا للتغيرات السريعة والكثيرة فى قيادتها ففى عيد الثورة الأول كتب ثروت عكاشة مقال الأفتتاحية لمجلة التحرير بعنوان: "هكذا قمنا بالثورة" وكان المقال عن ماأداه سلاح الفرسان ليلة قيام الثورة،وقبل الطبع صدرت أوامر من صلاح سالم باعتباره وزيرا لإرشاد القومى وقتها بعدم الطبع،وعند رفع الأمر لمدير المخابرات،حاول أن يثنى عكاشة عن المقال مع الموافقة على الطبع بدونه،وصمم عكاشة على نشر المقال. وفوجىء ثرت عكاشة بعد صدور العدد بالمقال. ببيان فى الإذاعة من وزير الإرشاد يعلن فيه أن مجلة التحرير لم تعد تمثل حركة القوات المسلحة،واحتج ثروت عكاشة وقدم استقالته، كما قدم أعضاء هيئة التحرير استقالتهم.وبشىء من الغضب قصد ثروت عكاشة دارالهلال التى كانت تطبع المجلة فيها واستولى على أصول العدد الجديد المعد للنشر،مما اوقع مجلس قيادة الثورة فى مأزق فصدر الأمر بتعيين عكاشة ملحق عسكرى فى "برن" واستعجل سفره،ويحك عن ذلك ثروت عكاشة فى مذكراته :(ولقد خيل لى أن الغرض إبعادى عن المجلة إرضاء لصلاح سالم،ولكن تبينت أن الغرض الحقيقى هو إبعادى عن سلاح الفرسان لما كان يعلمه مجلس الثورة من منزلة لى فى قلوب ضباط السلاح،فقد صورلهم خيالهم المريض،أنى قد أستعين يوما بهذا السلاح ضد الثورة فى جولة من الجولات،ومما يؤكد ظنى أن مجلس الثورة أبعد بعد ذلك "خالد محيى الدين" وبنفس الطريقة بعد عدة شهور لسويسرا) ولم يكن العقاب لرئيس التحرير وحده ،بل شمل المحررين الذين قدموا إستقالات من مجلة التحرير فتم مصادرة الصحف التى راحوا يكتبوا فيها بعد ترك مجلة التحرير والتى هى بالأصل صحف ماركسية (الكاتب – الملايين – المعارضة – صوت الطلبة – الواجب) ..

وخرج "صلاح سالم" مرة آخرى ليعلن فى سخرية بأن الصحافة فسدت وقال أنه يعلن الحرب على الفساد وأعلن عن اسماء صحفيين وصحف متورطة فى المصاريف السرية قال" تصر الصحافة أن تنادى بالحرية والديمقراطية ورفع الرقابة ليأخذ الصحفيون المصاريف السرية وذكر صحف حصلت على مصاريف سرية فى العصر الملكى طلب سحب رخصها أو وقفها هى: روزاليوسف، الجمهورالمصرى، السودان ، البلاغ، السياسة، بلادى الدستور، المقطم، الزمان، صوت الأمة" ثم أعلن عن (23) صحفيا ثبت حصولهم على مصروفات سرية،وكانت كل الاسماء لصحفيين كبار؟!

ويحكى السادات لأنيس منصور فيما نشر فى مجلة اكتوبر "إنه ذهب لزيارة الرئيس جمال عبد الناصر في يوليو 1954بأحد المستشفيات بعد إجراء عملية استئصال الزائدة له،ودار في تلك الأثناء حديث بين السادات وعبدالناصر عن صحافة الثورة، فهو لم تعجبه تجربة اليسار فى مجلة التحرير،وتفاجئ في ذلك اليوم السادات بالرئيس يطلب منه الإشراف على إصدار أول صحيفة يومية تصدرها ثورة يوليو تتبنى أفكارها وتدافع عن سياساتها وعقب يومين عاد السادات لناصر وأخبره أن الأمر مستحيل حيث إن هناك الكثير من التحديات التي تعرقل الأمر،فسأله عبد الناصر: "إزاى قمنا بثورة يا أنور وسط كل المصاعب اللي كانت حولينا،الثورة لا بد أن يكون لها صحافتهاوالجريدة لابد أن تصدر قبل نهاية العام،لقد اخترتك لسبق تجربتك مع الصحافة"وبالفعل قبل السادات .فبدأ يتردد على "الهلال" يسأل ويستفسر،ويستمع إلى نصائح الخبراء في الإدارة والتحرير والتوزيع والطباعة والإعلان وأستأجر شقتين بالطابق الخامس في إحدى العمارات الجديدة في 36 شارع شريف واجتمع مع مجموعة تم اختيارهم للعمل معه بالجريدة وكان على رأسهم حسين فهمى الذى تم ترشيحه ليكون أول رئيس تحرير للجريدة الجديدة

ويقول السادات لأنيس منصور فى مجلة اكتوبر:(كنا كلما غضب ناصر على الشيوعيين قمنا برفد نصف الجورنال فاليسار، والماركسيون كانوا من أفضل كتاب مصر– وقتها – وفى نفس الوقت كان افضلهم بالجمهورية وفى وقت من الأوقات كان عبد الناصر غاضبا من الشيوعيين فاعتقل منهم 200من القيادات الماركسية ولم تسلم الجمهورة من نقد عبد الناصر رغم تولى السادات امرها فقد اعترض على مقالة للسادات نفسه،وعرف أن السادات ليس هو محررها وإنما وضع اسمه عليها بعد أن اوحى بفكرتها لحسين فهمى،وهنا قرر عبد الناصر وضع حدود بين التحرير والإدارة.وكان يعلم أنه يضع أسفين بين السادات،وفهمى.

وكتب السادات مقال بنفسه بعنوان"الصاغ الأحمر" هاجم فيه خالد محيى الدين!فرفض حسين فهمى نشره وقال له (هل بدأ تقطيع الهدوم بين اعضاء مجلس قيادةالثورة) واعترض السادات فمقالاته كماقال:"تنزل من مكتبه للمطبعة، وماتروحش لرئيس التحرير" ولم يقبل ذلك حسين فهمى،وفكر عبد الناصر فى غلق الجمهورية عام 1955بعد أن قدم حسين فهمى استقالته عدة مرات.

وكان الأستاذ حسين فهمي رئيس التحرير من المقربين إلى قلب وعقل عبد الناصر طوال السنين الأولى من عمر الثورة،وظل عبد الناصر يحمل له وداً خاصاً على طول الأيام،فهو زميله من ايام كلية الحقوق التى درس فيها ناصر سنتين قبل أن يتركها ليلتحق بالكلية الحربية.ويقول حسين فهمي فى مذكراته عن صداقته بعبد الناصر:(وأذكره وهو في شقتى بالقرب من كوبري الجامعة بالجيزة هنا كان يرقد جمال عبد الناصر مستريحاً بعد مناقشات بيننا تدوم إلى ما بعد منتصف الليل،فيضطر إلى النوم قليلاً يذهب بعدها إلى مجلس قيادة الثورة) ولكن حسين فهمي لم يكن منضبطاً بقاييس عبد الناصر،وكان يعيش حياته أقرب إلى حياة الفنانين،وهي صفات لا يستسيغها عبد الناصر،ليس لأنه رجل عسكري فقط ولكن بصفته رجل منضبط في

حياته الشخصية فعبد الناصر لا يستسيغ أن يسهر صحفى للصباح فى كبارية، ولايستسيغ حتى أن يغير الصحفى لون قميصه الأبيض للأزرق أو الأسود أو الفوشيه وكان السادات يفهم تركيبة عبد الناصر،وبدأ يشى برئيس التحرير وبالوان قمصانه لعبد الناصر وبأنه لا يحضر إلا بعد صلاة الظهر.ولم يستمر كثيرا حسين فهمي لأنه غير منضبط فكيف يصحو رئيس الجمهورية ويحدث رئيس التحرير فى الثامنة فلا يجده فى مكتبه ؟!

فلم يدرك كثيرون معايير ناصر فى صحافة الانضباط والانفلات؟!وهنا لابد أن نُذكر بأن موهبة هيكل الأولى هي «الانضباط» حد الصرامة ويصف هيكل لنا كامل الشناوي،فيقول إنه «فنان قَلَبَ نواميس الكون فإذا النهار نوم وإذا الليل يقظة،ومغامرات،وحكايات لا أول لها ولا آخر» وكان هيكل يتهمه «بالبوهيمية» وكان كامل الشناوي يتهم هيكل «بالنظامية» أي بالانضباط ولم يدر أن ما يتهمه به هو أهم مواهبه التي أحبها الرئيس وصنعت ظاهرته فيما بعد.

وحاول هيكل بشكل غير مباشر أن يوصل لكامل الشناوى أن الرئيس يحبه ولكنه عاتب على سلوكه وعلى الإشاعات التى تدور حوله فقد كان كامل الشناوى منصة اطلاق صواريخ فى سماء الصحافة والفن،ساعد الكل حليم والملاخ وصلاح حافظ وموسى صبرى وانيس منصور.ولكنه كان ايضا منصة أطلاق المقالب كان يزغزغ أصدقاءه بسكاكين فهم يبكون ويضحكون معا وغطت اخباره كل الأخبار بما فيها أخبار الثورة فهناك اشاعات الحب،فمرة يحب كاميليا، ومرة نور الهدى، واخيرا نجاة الصغيرة. ووصلت تقارير بأن كامل الشناوى يقيم حفلات العشاء بمكتبه "بأخبار اليوم" وفى هذا العشاء: السمك والجمبرى وصناديق الكولا،وانه لم يبق إلا "سراير النوم فى أخبار اليوم"

فكامل الشناوى بدل جديدة وكرافتات من نوع سولكا واقلام باركر ذهبية أنه يقلد التابعى أو هو والتابعى يعيشا ايام الملك.كان ذلك واجتماعات مجلس الثورة العشاء فيها للفول والفلافل !! وضرب صلاح سالم كامل الشناوى فى مقتل حين أعلن فى الاذاعة أن كامل الشناوى كان يتلقى مصاريف سرية فى العهد البائد.وفاجأت نوبة سكر الرجل فور اعلان ذلك وتمدد على ظهره بمكتب مصطفى أمين.

كانت علاقة هيكل بالرئيس عبد الناصر واضحة، بسيطة، وغيرمركبة، نشأت طبيعية بين زعيم يكرس كل يومه لزعامته ،وصحفي كفء يؤكد كل يوم مواهبه،بدأت وكل منهما في موقعه الطبيعي وتطورت بشكل طبيعي في البداية لم يكن محمد حسنين هيكل هو أقرب الصحفيين إلى عقل وقلب عبد الناصر،فقد كان هناك صحفيون آخرون أقرب،واسبق واقدم منه،إحسان عبد القدوس كان شديد القرب من عبد الناصر، وكان صديقاً له ،وانتهى الأمر بأعتراض ناصر على مايقدمة فى الإذاعة حين كان ينهى كلامة بعبارة "تصبحون على حب" وتم اعتقالة بعد مقال له عن "الجماعة السرية التى تحكم مصر" اعتقاله لمدة 100 يوم؟! ففى 15 مارس 1954 كتب (إحسان عبد القدوس) ضد الثورة مقال (الجمعية السرية التى تحكم مصر) وفيها ربط بين الحرس الحديدى القديم والضباط الأحرار.ودفع إحسان ثمن مقاله.ودخل السجن..وقال صلاح سالم فى احتفال بتوزيع الأراضى على الفلاحين (إن الصحافة تنادى بالحرية والديمقراطية ليأخذ الصحفيون باسم الحرية المصاريف السرية ولسن صلاح سالم على إحسان عبد القدوس وأمه روز اليوسف)

والمصروفات السرية (هى أسوأ اتهام يمكن أن توجه إلى صحفى) وكانت تلك تهمة أخطر من التهمة التى وجهت رسمياً لإحسان عبد القدوس وهى (العمل على قلب نظام الحكم) ووقتها كتبت روز اليوسف نفسها أم احسان خطابا مروعا لعبد الناصر،ارسلته،ونشرته.جاء فيه:(إننى أعرف الكثير عن ساعاتك التى تنفقها عملًا

بغير راحة، ولياليك التى تقطعها سهرًا بلانوم وتدقيقك البالغ فى كل أمر بغية أن تصل فيه إلى وجه الصواب ولكنك،وحدك،لن تستطيع كل شىء،ولا بالمعونة الخالصة من إخوانك وأصدقائك، وكل الذين تعرفهم وتثق بهم، فلابد لك من معونة الذين لاتعرفهم أيضًا الذين يعيشون فى جو غير جوك،ويتأثرون بعوامل غير التى تؤثر فى أصدقائك، ويمرون بتجارب كثيرة منوعة لا يمكن أن يمر بها واحد من الناس ولاعشرة،ولا ألف.إنك باختصار،فى حاجة إلى الخلاف كحاجتك إلى الاتحاد..)

ويذكر أنه بعد أن خرج إحسان من السجن (حبس فى السجن الحربى 3 شهور،بينها شهر انفرادى) استدعاه عبد الناصر لتناول الطعام معه؟! وظل طوال شهر كامل يدعو عبد الناصر ليشاهد معه فيلماً سينمائياً يوميا..ليعيده لصداقته،ويقول له أنه كان يكيفه مع الثورة فيعرف مايقال ومالا يقال ؟!ولم يتكيف احسان..ولم يعد احسان يقول لجمال "ياجو" كالسابق وإنما خاف وانكمش فإذا قابل جمال قال:سيادتك وعظمتك،وبعدها تمام ياريس! وبدأ إحسان ينظر لموهبته الروائية كغاية فى ذاتها،رغم ماقدمه للثورة من خدمات واهمها الكتابة عن الاسلحة الفاسدة وحرب فلسطين.

وهناك أحمد أبو الفتح الذي كان سبباً في سرعة تحرك الضباط الأحرار بالقيام بالثورة عندما أبلغ صهره البكباشى ثروت عكاشة بأن الملك يدبر أمراً ضد الضباط الأحرار وأنه ينوي أن«يتغدى» بهم،قبل أن «يتعشوا» به،وحالت وفدية أحمد أبو الفتح بينه وبين التعبيرعن فكر وسياسة قائد الثورة،وانتهى أمره إلى مغادرة البلاد بعد إغلاق جريدة «المصري» ومحاكمة شقيقيه محمود وحسين.

ولم يكن كُتاب الجمهورية على رأسهم ريشة لأنها جورنان الدولة فقد قبض على الدكتور عبد العظيم أنيس بسبب مقال له بالجمهورية عنوانه "الحركة الوطنية العربية"

فى حين عبدالناصر ينادى بالحركة القومية العربية ووجه عبد الناصر للسادات مرة آخرى اللوم قائلا: (حنرجع تانى للنشرة الشيوعية بتاعة مجلة التحرير..افرز الكتاب مش عايز فى جريدتنا كاتب أحمر؟) ..وشهدت الجمهورية خلافات فى التحرير وتوالى عليها رؤساء مجالس الإدارة ورؤساء التحرير فعين بعد السادات (صلاح سالم وبعده كمال الحناوى،)

وشهدت "الجمهورية" جانبا من الصراع بين ناصر وعامر ففرض المشير عامر"حلمى سلام" رئيسا لمجلس إدارة دارالتحرير ورئيسا للتحرير وكان مشروطا عليه عند تعيينه تخفيف العمالة،– فنقل 40 من المحررين لإدارات العلاقات العامة بؤسسات الدولة وكان منهم (عبد الرحمن الخميسى،وإبراهيم الوردانى) ولم تمض الأمور هادئة حتى طلب حلمى سلام من المشير عامر التدخل،فأرسل له المباحث الجنائية العسكرية للتحقيق؟! ورابط أفراد المباحث أربعة ايام فى دار التحرير واعتقلوا بعض الموظفين للتحقيق معهم.وتدخل عبد الناصر فأعفى حلمى سلام من آى علاقة بالجمهورية فى 18 مايو1964،وعين"فتحى غانم" للأشراف العام ورئيسا للتحرير،وتقرر أن يكتب "على صبرى" المقال الإفتتاحى بأعتباره الأمين العام للإتحاد الأشتراكى،فرأى الفصل بين رئاسة التحرير ومجلس الإدارة وعين(مصطفى بهجت بدوى) لمجلس الإدارة.مع الابقاء على غانم فى التحرير.وقد بلغ حجم الفوضى فى جريدة الجمهورية لحد أن مدير المباحث العامة أرسل خطابا لمدير عام لمصلحة الاستعلامات أشار فيه إلى الخناقات اليومية بالجريدة لتضارب السلطات والانقسامات الحادة بداخلها

ويقول انيس منصور فى كتابه "شارع التنهدات": (اغتال عبد الناصر الصحافة مرتين مرة بجريدة الجمهورية ،ومرة بقوانين تأمين الصحافة،فمن اجل عيون الجمهورية أمم واستولى على جريدة المصرى فاستحل ورقها ومطبعتها وشركة الإعلانات الشرقية التابعة لها فقد أعطى عبدالناصر شركة الإعلانات الشرقية وكل مبانيها ومطابعها

وإعلاناتها،التي كانت تمثل أكبر قوة إعلانية في مصر إلى دار التحرير التي تصدر جريدة الجمهورية وهى كلها من املاك "آل ابو الفتح" التى أممها عبد الناصر)

حافية على جسر الدهب

كانوا يسمونها "راقصة مصر" لأنها رقصت أمام الملك فاروق في "دوفيل" على شاطئ الريفيرا الفرنسية! وكانوا يسمونها "الراقصة الحافية" لأنها خرجت عن المألوف ورقصت حافية القدمين في الحفلات والأفلام ومشيت وراءها بعد ذلك جميع الراقصات؛ أما لقب "راقصة مصر الرسمية" فقد منحه لها فاروق بنفسه، ومن يومها صارت الراقصة الوحيدة التي تدخل قصر عابدين وترقص في حفلات الملك: الخاصة، والعامة!! مع أن تحية كاريوكا سبقتها ورقصت في قصر عابدين في زواج الملك فاروق من الملكة فريدة...

إنها سامية جمال.. الفراشة الفرعونة للرقص الشرقي، فلاحة من قرية "ونا" بمركز الوسطى ببني سويف ولدت في ٢٧ مايو 1924 وهي أحد مواليد

برج الثور الذي تحكمه الزهراء، وكل مواليده من أصحاب المواهب في الأدب والفن وحب الحياة.

وفي بداية الخمسينيات عادت إلى مصر من أمريكا، في وقت جاءت فيه الثورة وخرج الملك.. لتجد سؤالاً على لسان الجميع يقابلها: "ما هي قصتك مع الملك فاروق؟! هل تزوجت من الأمريكي عبد الله كينج لتهربي منه؟!! لماذا لم تتزوجي من "فريد الأطرش"؟! من هن الراقصات اللائي كن معك في قصر عابدين؟!

وفي سنة **1954** توجه الصحفي الكبير "م. ص" إلى شقتها في عمارة "ليبون" بالزمالك وقدم لها قلماً فاخراً ومجموعة أوراق وقال لها: ياريت تكتبي مذكراتك، وضعي شروطك ولن نختلف، وقاطعته قائلة: لكني يا أستاذ لا أعرف القراءة والكتابة مع أنني أجيد الإنجليزية والفرنسية جيداً، وأضافت من خلال ضحكتها العالية.. لا تندهش أو تتعجب فإن حياتي مليئة بما هو أعجب وأكثر غرابة.وتألق وجه الصحفي الكبير: لا بأس لتحكي هي ويكتب هو.. قولي يا سامية هانم ؟! وقالت: ولكني ليس عندي ما أقوله عن جلالة الملك فاروق؟! وأرسل لها في اليوم الثاني أحد الصحفيين الصغار فأهم ما عندها لا تريد أن تقوله الملك "فاروق"!! وبدأت تروي حكايتها منذ البداية، ولكنها حكاية البنت الفلاحة التي استطاعت أن تنقل اسمها من دفاتر الأحوال المدنية إلى أفيشات شوارع الفن في الأربعينات والخمسينيات من "زينب محمد خليل" – وهو اسمها –

إلى "سامية جمال" ونشرت الصحف والمجلات الفنية حكايتها على لسانها: "أبي نزح من بني سويف إلى القاهرة بعد ولادتي بأسبوع واحد، وأقمنا في بيت قديم بجوار جامع سيدي الحسين.. ووالدي تزوج من اثنتين: الأولى فلاحة من الشرقية وأنجب منها أربعة صبيان وبنتاً، أما الزوجة الثانية فكانت أمي مغربية الأصل ورزقت هي الأخرى بولد واحد وبنتين أنا أصغرهما، فأنا آخر العنقود.. ماتت أمي.. السياج الذي كان يحميني من مؤامرات زوجة أبي الأولى التي أصبحت في يوم وليلة هي الآمر والناهي في البيت أثناء غيابه. أما في وجوده فهي تتفنن في إثارته ضدي ثم ينهال على جسدي النحيل ضرباً بالعصا حتى أفقد الوعي، هربت من البيت إلى أختي المتزوجة وعشت معها أعواما طويلة ثم انتقلت إلى الحياة مع جارة لنا كانت تسكن في نفس الشارع.. كان واحد من أقاربها يعمل بفرقة الراقصة "بديعة مصابني" وعندما رآني شعر بأني أمتلك مواهب كثيرة ترشحني وتؤهلني للعمل بالفرقة، وبالفعل كان أول ظهوري في رأس السنة _سنة ١٩٣٩_ "أصبحت تسليتي الوحيدة الجلوس في الشباك المطل على المقاهي أستمع للراديو إلى أن خطف أذني صوت جديد هز كل كياني كان هو صوت فريد الأطرش في أغنية "باحب من غير أمل"، وتمر الأيام ويزداد حبي لصوته الجميل وعشقي لأنغامه حتى اشتريت مجلة فنية وجدت صورته فيها فاحتفظت بها وأخفيتها في مكان أمين لأراها كل يوم. وهكذا تعلقت بفريد قبل أن أراه أو أعمل معها. وفي فيلم "انتصار الشباب" غمرتني فرحة غامرة لأني اشتركت في رقصة جماعية ورأيت فريد الأطرش، وتنبه فريد لي

بعد فيلم "تاكسي حنطور" ومثلت معه فيلم "حبيب العمر" وفيه كان مولد حبنا الذي عاش واستمر سنوات عديدة ولكن شاءت الأقدار أن ننفصل

وسألها الصحفي قاطعا الاتفاق الذي تم بينها وبين "م. ص" أن تقول ما عندها ولا يسألها أحد. لماذا لم تتزوجي فريد الأطرش؟! وردت بلا اعتراض: لقد عشت مع فريد الأطرش 8 سنوات لا يربطنا إلا الحب. فقلت له أعتقد أن الأوان قد جاء لنتزوج، فرماني بكلمة أصابت قلبي، وأقفلته قال: "لن أتزوج من راقصة!!""وسارت بي الحياة من نجاح إلى شهرة إلى نجومية، وعرفت خلال المشوار الطويل شخصيات عظيمة وأمراء وباشوات وكبراء لكن لم أشعر بالحب نحو أحدهم حتى تعرفت إلى زوجي الأول وكان أمريكيا اسمه "شبرد كينج"، أسلم وتزوجنا وسافرت معه في رحلة زواج إلى أمريكا، ولكن زواجي لم يستمر طويلا "سنتين" عدت بعدها لبلدي لأستأنف حياتي الفنية، ويذهب "محمد وجدي" لها والغريبة أنها تفتح قلبها وذكرياتها له..

لقد سألها: هل فاروق هو السبب في أن يتركها فريد؟! هل هي التي فضلت الملك على الموسيقار؟! قالت له: لقد كان هناك "عمدة" ثري، زبوناً دائماً لصالة بديعة، أعجب بها وعرض عليها الزواج، ولكن قلبها كان وقتها مع "فريد الأطرش"، ولكن اللي يحب ما يكرهش ذي ما بيقولوا .. فقد وقف معي وكان يحضر ومعه زبائن كثيرة من أصحابه ويهللون ويصيحون يطلبونني، ولما كانوا يمثلون مواردا مالية للصالة فقد قررت بديعة

أن أرقص يومية رقصة منفردة وكان للقرار أثره السيئ في نفوس الزميلات، حتى أني ذهبت يوماً لمنزل الست بديعة وطلبت منها أن تقبل اعتذاري عن الاستمرار معها من كثرة مقالب الزميلات، حتى أن تحية كاريوكا اشتركت مرة في أحد هذه المقالب وقطعت أجزاء من بدلة الرقص قبل نمرتي بلحظات!! ولكن الست بديعة رفضت وضاعفت أجري..المهم أنه عندما فكر فريد في فيلم "حبيب العمر" واحتاج لفلوس، تقدم العمدة وعرض عليه الدخول شريكاً في الإنتاج بشرط واحد "أن أكون أنا بطلة كل أفلام الشركة" ولكن الشركة انفضت بعد ثلاثة أفلام!! بسبب دسائس "فؤاد الأطرش" أخو فريد عن "العمدة" وتصوره لعلاقة عاطفية بيننا! ولم يقف فؤاد عند هذا الحد بل تدخل فيما بيني وبين فريد عاطفياً، وجاءني وقال لي: "أنتي فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش؟". وأعتقد أنه هو السبب في عدم زواجنا، فقد كان مؤثراً جداً على فريد وأخته أسمهان.

يعني ولا كلمة ولا حرف عن فاروق!!

ويكتب محمد وجدي في ذكرياته التي نشرها مؤخراً في مجلة "كلام الناس" ورغم صداقاتنا كانت تصر على الصمت والاعتذار عن كتابة مذكراتها.. وعندما كانت في أمريكا خلال فترة إقامتها سجلت خواطر، ولأنها تجهل القراءة والكتابة فقد طلبت سكرتيرة تجيد اللغة العربية وقامت بإملاء صفحات من خواطرها بعنوان "زوجي العزيز" وتحدثت عن الرجال الذين عرفتهم في حياتها ولكنها بعد عودتها احتفظت بهذه الخواطر في دولابها

الخاص ورفضت نشرها ورغم أن السكرتيرة سربت اسم ١٧ شخصية عرفتهم سامية جمال، إلا أنه لم يكن بينها: فاروق، ولا بليغ حمدي، ولا رشدي أباظة، وإن كان من الممكن أن يفهم سبب عدم ذكر الآخرين لأنها لم تكن عرفتهم بعد، فإن عدم ذكر فاروق يعني أنها لم يكن بينها وبينه علاقة واضحة محددة"

أما هذه المذكرات الخاصة فإن ابن أختها اللواء جلال سعيد يقول عنها إنه قبل وفاتها بثلاثة أعوام انفجرت ماسورة مياه في عمارة ليبون التي تسكنها سامية ويسكنها عدد من الفنانين المشاهير، وغرقت شقة جمال في مخلفات المجاري ووصلت المياه _للأسف_ إلى دولاب صغير كانت تحتفظ فيه بكل أوراقها وصورها على امتداد رحلتها الفنية وضاعت ثروة فنية من المذكرات والصور في المياه الآسنة. وبكت يومها سامية جمال واعتبرت ما حدث فالاً سيئاً لأنه مسح كل تاريخها وألقى به في الوحل!! ولكن حكايتها مع الملك كانت شائعة قوية صدقها الناس، وكأنها حقيقة وأصبح الجميع ينسج على هذا المنوال دون أدلة حقيقية واضحة، فمثلا نشر الأستاذ عمر عبد العزيز رئيس تحرير مجلة مسامرات الجيب 1952 كتاباً كله بالرمز إلا قليلاً وكتب عن راقصة دخل عليها الملك أثناء تغيير ملابسها وكمن في حجرتها، ولم تستشعر إلا ويده على جسدها العاري، وبعد ذلك خرجت ورقصت أمامه في انسجام ووضع صورة لظهر هذه الراقصة وهي ببدلة الرقص ورغم أنه في مصر وقتها كان كثير من الراقصات "ببا _ حكمت فهمي _ تحية كاريوكا _ سامية جمال _ نعيمة عاكف" إلا أن الناس رأسها وألف سيف

أن هذه صورة سامية جمال!! هكذا من ظهرها.. إنها نفس الطول نفس الشعر!!

أما الفنانة تحية كاريوكا والتي عرفت الفنانة سامية جمال منذ 25 سنة _١٩٣٩_ بكازينو بديعة مصابني فتقول: أنا وسامية اشتركنا في حاجات كثيرة، فقد طورنا الرقص الشرقي وهربنا بالزواج في أمريكا وتزوجنا مع رشدي أباظة "بالطبع لم تذكر أنهما أيضا ارتبطتا بالملك فاروق"

ثم تذكر أن سامية كانت مختلفة عن معظم الراقصات فهي ترقص بشياكة، ولها طلعة مميزة على المسرح، ثم أنها أدخلت الكثير من التعديل على بدلة الرقص فجعلتها بألوان قوس قزح وأضافت إليها "السيرما" _تطريز معين _ وأذكر أننا ومعنا رشدي أباظة سافرنا لمدة شهر معاً إلى لبنان، والناس كانت تستغرب أنه لا يوجد بيننا إحساس بالضغينة أو الجرح، لقد كنا أخوات وأكثر.

ثم تذكر شهادة على درجة من الأهمية "كانت سامية عاطفية جداً وأذكر أنها تألمت وكانت صدمتها بالغه حينما صدق فريد الأطرش كلام أخيه عنها وكانت النتيجة أنهما تركا بعضهما بعد قصة حب وسنوات طويلة من العمل سوياً" أي أنها تؤكد ما قالته سامية نفسها لم يكن فاروق سببا في الهجر بينهما!!

وحينما توفيت سامية جمال بعد أن أجريت لها جراحة في مستشفي مصر الدولي تم استئصال تسعين في المائة ٪٩٠ من أمعائها خلالها، كان هناك تلغراف عزاء من "أمين محمد فهيم" سكرتير الملك السابق فاروق، وتذكرت الصحافة الرجل وذهبت تسأله، فإذا به يؤكد أنه لم تكن هناك علاقة من أي نوع بين الملك وسامية، وأن ما أشيع عن أن الملك أعجب بسامية لم يكن صحيحاً. وكل ما حدث أن فاروق كان يقضي الصيف في جزيرة كابري، وكان يتناول العشاء في أحد الملاهي الليلية التي تصادف أن كانت سامية جمال ترقص فيه وقد صفق الملك لها مع الجمهور بشكل عادي، ولم يعاملها بشكل خاص. ومن المعروف أن الملك فاروق حين ظهرت سامية جمال على المسرح الفني في الأربعينيات كان مرتبطاً بفتاة فرنسية اسمها "سيمون دي لهامار" وحينما رقصت أمامه في كابري كانت علاقته متوطدة مع "آنى بريبه" وقد استضافت مجلة فنية لبنانية "سمير صبري" بعد وفاتها ليتذكر ذكرياته معها وقد قال بالحرف الواحد: "إنها أصيبت بصدمة بالغة حينما قال لها أحد أفراد أسرة فريد أنت فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش؟! وقررت أن تنجح عالمياً وذهبت إلى فرنسا وكانت هي الفنانة المصرية الوحيدة التي قدمت استعراضات هناك وكان يحضر هذه الاستعراضات الملك فاروق الذي أطلق عليها "راقصة مصر الأولى"، وبالمناسبة هى لم يربطها بالملك فاروق أي علاقة سوى أنها كانت ترقص في الاحتفالات والمهرجانات التي يحضرها".

ولكن "مصطفى أمين" هو الذي كتب "25" صفحة كاملة عن علاقة جسدية بينها وبين الملك فاروق في كتابه الجميل "ليالي فاروق"، وهو المرجع الوحيد لهذه الحدوتة الذي تعتمد عليه الكتب الصفراء التي تكتب عن فضائح فاروق والكتب الحمراء التي يهمها حجرة نوم الملك!! وقد كتبها بطريقة روائية اشتهر بها، ولكنه لم يقل شاهدت أو تأكدت، وإنما قال سمعت من فريد الأطرش، أي أنه نقل من لسان فريد.. أما فريد فيقول: لقد قالت لي سامية نفسها!! مع أن سامية جمال لم تقل ولا كلمة ولا حرف عن فاروق!! ولهذا وضع مصطفى أمين الرواية بين قوسين ونحن نفعل مثله، وننقل عنه، وللقارئ حرية التفكير..

يقول مصطفى أمين: "ذات يوم دخل فريد الأطرش إلى مكتبي شاحباً أصفر الوجه،كرجل لم ينم منذ عدة أعوام، وكان يرتجف كالخائف، وكان أشبه بجثة هامدة تجلس على كرسي..

قلت له: مالك يا فريد.

قال:خطفها. قلت: مين خطف مين؟..

قال وهو ينظر حواليه في رعب: "الملك خطف سامية جمال".. وأردت أن أعرف منه التفاصيل، وأفهمته أن الصحفي كالقسيس، وأنه يستطيع أن يعترف للصحفي مطمئناً إلى أن الاعتراف سر مقدس، لن يخرج من فم الصحفي، وقلت له: أنني أعطيه كلمة شرف ألا أقول شيئاً ما دام فاروق ملكاً.. قال فريد الأطرش: "يعني إلى الأبد!!" قلت: "من يعرف ما تحسبه مستحيلاً اليوم، قد يبدو ممكنا بعد أيام". وقام "فريد الأطرش" إلى

الأبواب فأغلقها جيداً، ثم اقترب مني، وراح يهمس في أذني بسره الخطر وكانت قصة مروعة.. كان ذلك في عام 1949" ولأن القصة تستغرق ٢٠ صفحة من الكتاب بهذا الأسلوب الروائي الجميل فأنا بعد هذه البداية ألخصها بكلمةالزواج المستحيل:

سامية: اسمع يا فريد أنا جئت لأطلب إليك أن تجيبني بصراحة هل سنتزوج أم لا؟!

فريد: لماذا هذا الموضوع الآن؟ إننا نحب بعضنا، ونحن أسعد حالاً من جميع المتزوجين الذين نعرفهم

سامية: لقد أعطيتك مهلة عدة سنوات، وانتهت المهلة ويجب أن تقرر.

ثم التفتت إلى فريد فجأة، وقالت: "باي.. سأرقص الليلة في عابدين"،

وبقي "فريد الأطرش" ينتظر عودتها، ولكنها لم تعد، وبدأ نور الفجر يشقشق، وكانت سامية تقيم في بيت فريد الأطرش، وكانت لها شقة أخرى استأجرها لها فريد في الزمالك، وسأل عنها "فريد" في الشقة الأخرى فعلم أنها لم تعد أيضاً. وذهب فريد إلى بيتها في الزمالك، ووقف في نافذة البيت ينتظرها وحوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً وقفت سيارة زرقاء، ونزلت منها سامية جمال. ولمح فريد قائد السيارة فإذا هو "أنطونيو بوللي" مدير الشئون الخصوصية في القصر الملكي. صرخ فريد الأطرش، وأمسك يدها يضغطها ويلوي ذراعها ويقول لها: "قولي، ماذا فعلت مع الملك"، وقالت سامية: "سأقول كل شيء.. أترك يدي.. ولا تضربني". وجلست سامية تروي قصتها:كانت الحفلة الساهرة في القصر، وكان "فاروق" جالساً بين

حاشيته يضحك ويلعب ويقهقه، وكان في كل يد كأس، وكان في يد "فاروق" كأس من شراب أخضر قال لسامية إنه نعناع، وكان حول "فاروق" بضع نساء يتطلعن بعضهن إلى بعض في غيرة باسمة، يتبادلن القبلات وكأنهن يتبادلن الصفعات، وكان فيهن الجميلات وفيهن الدميمات، وكانت أثوابهن جميلة وغالية، ولكن سامية لم تلبث أن رأت ثوبها العادي أكثر جمالاً وأغلى ثمناً..وما لبثت "سامية أن شعرت أنها الخيار المخلل الذي سوف يفتح شهية "فاروق"، رأته بعينيه وهي ترقص، فإذا التقت عيناه بعينيها تظاهر بأنه غافل عنها وهو يراها، وأحست سامية بسعادة لأنها تنتزع الملك السابق من كل هؤلاء وفجأة مال عليها الملك "فاروق"، وقال: هل سترقصين ثانية؟ قالت سامية: كما تأمر..وفوجئت "سامية" بفاروق يقول لها : لا أريد أن ترقصي..ثم أشار إلى الخدم وقال:اطلبوا من التخت أن ينصرف ..وظنت "سامية" أن هذا إيذان لها بالانصراف، وتهيأت لتقوم، وكان يبدو عليها التعاسة، أنها لن ترقص مرة أخرى، ولكن "فاروق" مد يده إليها، وأمسكها في يده وقال:التخت يذهب فقط.. أما أنت فسوف تبقين..ثم مال "فاروق" عليها وقال لها: سأتركك الآن، وسيخبرك "بوللي" بما يجب أن تفعليه..

وأقبل بوللي على سامية، يدعوها إلى الركوب في سيارة "فاروق"، ورأت "فاروق" يجلس إلى عجلة القيادة، ويفتح لها الباب.. وأسرعت تجلس إلى جواره في المقعد الأمامي وكأنها تحلم.. واقتربت السيارة من مدينة حلوان فأشار لها "فاروق" إلى بيت على شاطئ النهر، وقال لها: هذا ركن

فاروق..سأصحبك إلى كل السهرات،سأجلس بجواري في المجالس،سأجعلك راقصتي الرسمية، سأجبر باشوات هذا البلد أن يحنوا رءوسهم لك، سأجعلك تشعرين أنك أحسن من أي سيدة في مصر.. ولكن بشرط..

- ماذا تطلب؟

- أن تقولي لي كل شيء بصراحة، ألا تكذبي علي، أن تقوليلي أنك تحبيني عندما تحبيني، وأنك تكرهيني عندما تكرهيني..

- أعدك بذلك

- إذن، لماذا تشاجرت مع "فريد الأطرش"؟

- لأنه رفض أن يتزوجني..

- إنني مستعد أن أرسل لفريد الأطرش من يطلب منه أن يتزوجك بأمري، فإذا رفض فسوف أسجنه، وأنفيه من مصر، أو أقطع رقبته،

وجذبها فاروق من يدها إلى داخل ركن "فاروق" وقال: إن الجو بارد هنا !! تعالي نعود إلى القاهرة .وسار "فاروق" أمامها، وسارت "سامية" وراءه، ثم توقف "فاروق" قليلاً: "ما رأيك في أن نمضي الليلة هنا، إنك ستنامين في غرفة الملكة".. وأمضت سامية جمال الليلة في غرفة الملكة في ركن فاروق، واستيقظت في الصباح فلم تجد "فاروق"، وإنما وجدت "بوللي" يدعوها إلى أن يوصلها بسيارته إلى دارها.. وقد شعرت "سامية" بخيبة أمل، إن "فاروق" اختفى دون أن يودعها، وبغير أن يحدد موعد لقاء جديد.. ولم تفهم كيف يحدث هذا.. لقد مشى "فاروق" الساعات الطويلة يناجيها

ويناغيها، اعترف لها بحبه، وركع على قدميه في محراب غرامها، فأغمضت عينيها، لتدخل فردوسه الموعود، ولما فتحت عينيها لم تجده.. وبحثت "سامية" بعينها في أرجاء الغرفة عن العاشق الملكي فلم تجده.. وسألت بوللى: أين ذهب؟ ومتى يعود؟.. قال "بوللى": إنه إذا ذهب لا يعود..ولا ينسى "مصطفى أمين" أن يحبش روايته فينهيها بمفاجأة: ثم مضت الأيام، وظن الذين حول "فاروق" أنه نسي "سامية جمال" ولم يبق إلا أغنية يرددها: "إنك الإغراء".. ثم قامت ثورة الجيش وخلع الشعب "فاروق" ودخلت لجنة الجرد القصور الملكية لتبحث فيه عن مستندات وأسرار فاروق.. وفتحت اللجنة الدرج المجاور للمخدع الملكي، فوجدت فيه مجموعة صور "سامية جمال" وبجوارها أسطوانة محطمة: أسطوانة الأغنية المشهورة: "إنك الإغراء.. إنك الإغراء"[3]

المهم أن هناك عدة صدف غريبة في حياة سامية جمال فكل منهما هي وفاروق أحب حرف "الفاء" وكانت معها ميدالية مفاتيح فضية عليها الحرف "F" وقيل أنها تقصد فريد الأطرش أما الناحية الأخرى من الميدالية ففيها قلب!![4] ثم أنها في يوم زواجها رزق الملك فاروق بحلمه الذي كان ينتظره من الملكة ناريمان رزق بابنه "أحمد فؤاد الثاني" كان ذلك في صباح الأربعاء 16 يناير 1952_ بينما كانت هي تعقد قرانها على المسيحي

---

[3] أغنية فرنسية تقول كلماتها "أنت جئت لي. وكنت وحيداً. كان يجب أن أعرف. أنك الإغراء..أنك الإغراء. هناك قلبي خذيه وقولي لن نفترق أبداً فأنا عبدك .. عبدك أنت .. أنك الإغراء .. أنك الإغراء".

[4] وجدت هذه الميدالية مع مجوهرات لها في احد البنوك المصرية قدرت قيمة المجوهرات بـ 80 مليون جنيه مصري!!

شبرد كينج الذي أعلن إسلامه عند زواجها وقال: ليس أسهل من ذلك في مصر.. أشرب فنجان قهوة تركي مع شيخ من رجال الدين وأوقع قسيمة، وحينئذ أصبح مسلماً!! وبينما كانت الطائرة تأخذها إلى أمريكا، كانت مسرحية "لزقة إنجليزي" تعرض على المسرح الريحاني والناس تقف طوابير لترى فيلم "النمر" بطولة أنور وجدي ونعيمة عاكف وكانت جوارب النايلون معجزة نسائية في شوارع القاهرة.. وسمسون أكستر أشهر أنواع السجائر والفيلم الأجنبي "خذني بعاري" يجد إقبالاً من الطبقة الأرستقراطية!!

إلىٌ الأَمَام يَا رومُلٌ لكنه رجع للخلف!

تراجعت ألمانيا إلى الصفوف الخلفية للمعسكر الرأسمالي الاستعماري بسبب هزيمتها سنة **1944** في الحرب العالمية الثانية التنافسية على المستعمرات والتي أسفرت أيضاً عن سقوط الحزب القومي الاشتراكي النازي الألماني بعد إحدى عشرة سنة متواصلة بالحكم، وهو الحزب الذي كان "أدولف هتلر" قد سبق أن أنشأه سنة **1919**وأسس الحزب النازي عدة جمعيات داخل ألمانيا وخارجها لتبدو ظاهرياً وكأنها منفصلة عن الحزب ولكنها في حقيقتها تابعة له وتعمل بشكل سري من أجل صالحه وحتى أثناء حكم الحزب النازي لألمانيا وهيمنته على عدة بلدان في أوروبا والعالم بين سنتي**1933**و**1944**استمر الطابع السري يميز العمل السياسي لتلك الجمعيات النازية، التي كانت أبرزها جمعية أنشأها "هيربيرت هايم" الضابط الطبيب والكادر النازي النشط ورئيس محطة الخدمة السرية الخارجية الألمانية في "مصر" خلال ثلاثينيات القرن العشرين. وهي الجمعية التي نالت إعجاب غريمه التقليدي "مايلز كوبلاند" صاحب كتاب "لعبة الأمم" باعتباره المنافس الاستخباراتي الذي تولى آنذاك رئاسة محطة الخدمة السرية الخارجية الأمريكية بمصرفوصفها في كتابه الشهير"لعبة

الأمم" بأنها "كانت أهم القواعد الثابتة المؤهلة لدعم وتلبية احتياجات أكبر المحطات الخارجية الألمانية وأهم السواترالصالحة لتغطية مجمل أنشطة تلك المحطة .

وهناك عدة كتب ودراسات ترى أنه على الرغم من حرص "هيربيرت هايم" على استمرار رئاسته الفعلية بنفسه لتلك الجمعية السرية إلا أن وجود مركزها التنظيمي في "القاهرة" دفعه لتنصيب بعض الواجهات الشرفية المكشوفة على رأسها الظاهر من المصريين الموالين للنازية مثل الفريق "عزيز المصري" واللواء طبيب "يوسف رشاد" والعقيد "مصطفى كمال صدقي" مع مجلس عسكري قيادي يضم عشرة ضباط جيش مصريين متوسطي الرتب وتم ذلك بالاتفاق مع القصر.وهؤلاء هم الذين اضطر"هايم" لأن يترك لهم الجمعية وتوابعها وأدواتها وأملاكها العينية،مع بعض أموالها المودعة في حساباتهم البنكية بمجرد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الثانية سنة **1944**،حيث هاجر للاختفاء المؤقت داخل أحراش "الأمازون" في أمريكا اللاتينية هرباً من الملاحقة الأمنية والقضائية ضده باعتباره أحد أهم الكوادرالنازية النشطة تاركاً في حساباته الشخصية بالبنوك السويسرية ملايين الدولارات المتبقية من الميزانية الضخمة التي كان الحزب النازي قد خصصها سراً للإنفاق على أنشطة الجمعية،فعقب سقوط الحزب المواكب لهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية سنة **1944**قررت السلطات الأمنية والقضائية قتل أوإعدام قيادات الحزب وكوادره النشطة المستمرين على قيد الحياة بعد انتحار "هتلر"– أو الأختفاء الغامض له "حيث لم يجدوا له جسامين حتى الأن"؟!– وتم اعتقال بقية الكوادر لمدد زمنية تتراوح بين ربع القرن ومدى الحياة. ليتنازع الورثة على تركته بعد وفاته كاشفين في نزاعهم الكثير من المستور عن "هايم" وجمعيته السرية؟!

وهكذا وجد المصريون القائمون على رأس جمعية هايم أنفسهم خلال النصف الثاني لأربعينيات القرن العشرين بين اختيارين أحلاهما مر فإما استمرار الجمعية تحت خطر

الملاحقة الأمنية والقضائية أوحلها بما يعنيه من فقدان أدوارهم السياسية وضياع طموحاتهم الشخصية فاختاروا الجمع الانتقائي الماكر بين مكاسب الاستمرار والحل معاً حيث تمسكوا بالعقيدة القتالية النازية كأساس فكري يجمعهم ويوحد بينهم وأجروا في الوقت ذاته التعديلات الشكلية الكفيلة بمواكبة المستجدات العالمية والإقليمية والمحلية المحيطة بها لتظهر الجمعية تحت اسم "الحرس الحديدي".. والحقيقة إن أحدا لا يعرف علي وجه اليقين متى ولدت فكرة الحرس الحديدي ولكن الأوضاع فى الداخل والخارج كانت تلوح بالفكرة ويمكن تحديد وقتا بعينه كانت الفكرة فيه قائمة وملفته، وكان ذلك بين: (22 فبراير 1942– 15 نوفمبر 1944) والقصة تقول "وجأت الضربة القاصمة التي تلقاها الملك فاروق عندما حاصرت الدبابات قصره في 4 فبراير1942لتجبره علي تكليف مصطفي النحاس برئاسة الحكومة نظرا لما يتمتع به من شعبية،لقد شعر الملك فاروق وقتها أن عرش مصر يهتز وأنه تحول الي مجرد صورة بدون أي تأثير في السياسة المصرية لقد امسك السفير الانجليزى "مايلز لامبسون" للملك بورقتين فى "الاولى" النحاس رئيسا للوزراء،وفى الثانية تنحيه الملك عن العرش هو واولاده من بعده؟!وعلى الملك أن يختار؟ وقدحدث ذلك والدبابات تحيط بالقصر ووحدات عسكرية من الانجليزى بالحديقة وحول باب الملك ضباط انجليز شاهره المسدسات ومن المفارقات التى يحكيها (خالد محى الدين): (عينت عام 1942 فى آلاى الأول دبابات وذات صباح جاء الانجليز،وعرفت أنهم سيأخذون دباباتنا! وكان الجيش الانجليزى تلقى هزائم ساحقة فى "دنكرك" على يد الألمان وفقدوا الكثير من اسلحتهم أخذوا دبابات ثلاث كتائب،وتركوا كتيبة واحدة. وشعرت بالمرارة ولكن كانت الحسرة حين عرفنا أن الانجليز استخدموا دباباتنا فى اقتحام قصرالملك فاروق)؟! المهم لم يكن مع فاروق وقتها إلا رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا،الذى همس للملك: "اخضع اليوم وانتقم غدا – التمكين بعد الإبتلاء"والذى اقسم بشرفه للملك وهو يقدم استقالته له،بأنه سوف ينتقم من كل من شارك فيما حصل بتلك الليلة الليلاء،وطبقا لرواية حسن يوسف باشا:(فإن

فاروق يومها كان رجلا فقد الثقة فى كل شىء،وكل الناس،ولأن الملك يومها لم يتجاوز ال 22 عاما جدد الثقة فى رائده لا عن ثقة فلم يجد احد بجانبه غيره)

ويقول الدكتور صبري العدل فى بحثه(لرصيف22) أن هناك امتداد استمر من ايام الملك فاروق حتى الثورة بالنازية وإنه من المعروف أن ألبرت هايم قضى شطراً كبيراً من حياته في مصر بالفعل إلى أن توفي فيها عام 1992 بعد 44 عاماً من العيش على أراضيها، وهو طبيب يُشتبه في أنه قتل وعذب المئات في معسكراعتقال ماوتهاوزن،وشارك في عمليات حرق يهود ومعارضيين لهتلر وعاش في مصر باسم مستعار هو طارق حسين، خوفاً من اغتياله، وعمل طبيب أسنان في أحد أحياء منطقة الموسكي,ويضيف أنه من المعروف أيضاً أن كارل ديبوش الذي أطلق عليه اسم "الخواجة دبوس" عمل طبيباً في مصر، وهو طبيب وضابط ألماني متهم بقتل 300 يهودي من خلال إجراء التجارب عليهم في معسكرات التعذيب وكل منهما كان له دور مع الملك فاوق عند تكوين وتدريب الحرس الحديدى الملكى؟

وعندما جاء الباحث الأميركي ذو الأصل اليهودي روبرت ساتلوف الى القاهرة– بعد كامب ديفيد– عام 1980 كانت وجهة نظر ساتلوف المعروف بخلفياته المؤيدة للسياسات الاسرائيلية وقربه من المجلس اليهودي الأميركي تؤكد وجود نازيين مصريين أيدوا هتلر في سياساته فضلا عن زعم ساتلوف بوجود مساعدات عسكرية ودعم فني للعلماء النازيين لمصر في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية وثورة يوليو بسبب توجهات الملك السابق فاروق المؤيدة للنازي وكذلك السياسة الناصرية المؤيدة للمعسكر الاشتراك

وتقول الباحثة في الشؤون الإسرائيلية الدكتورة "سلوى صابر" في كتابها "الموقف الأمريكي من سباق التسلح بين مصر وإسرائيل 1955-1967":"بدأ استقطاب العلماء والخبراء الألمان للعمل في مصر منذ عام 1950إذاحتاجت إليهم مصر لإعادة بناء جيشها وتنظيمه على النمط العسكري الألماني،وكان هناك اتجاه داخل الجيش يهدف إلى إحلال الكثير من المدربين الألمان محل نظرائم الإنكليز في محاولة لكسر نفوذ الإنكليز وكسر الاحتكار الإنكليزي للتسليح وتضيف:أنشأت مصر إدارة خاصة في وزارة الحربية لشؤون الخبراء الأجانب الذين كانوا يعملون بموجب عقود خاصة لكل منهم. وتذكر "سلوى صابر" فى كتابها:كان أوتو سكورزيني داهية بحق وصار يعمل في فرقة الحراسة الشخصية لهتلر،وكان ضابطاً ضمن وحدات الـ"أس أس"، الجناح العسكري للحزب النازي فقام الرئيس محمد نجيب بضمّه كما ضمّ الكثيرين من رجال وحدات الـ"أس أس" إلى الجيش المصري لتدريبه، وتشكيل جهاز الشرطة المصري، خلال عام 1953، وجعل سكورزيني مقرّباً منه وعيّنه مستشاراً عسكرياً له ؟! وتشير إلى أنه "من بين أبرز النازيين الذين استعان بهم نجيب خلال تلك الفترة، الجنرال فلهلم فارمباخر الذي عمل في مجال التدريب العسكري بعد هربه إلى مصر عقب هزيمة ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، وكان قائداً في الجيش النازي،وعمل على تجنيد قدامى الجنود والضباط الألمان السابقين من فيلق إفريقيا،وجاء معه لقيادة التدريب الجنرال بجانب جنرالات من الغستابو منهم ليوبولد غلايم، قائد غستابو وارسو في بولندا،وفرانز بيونخ وغوهايم دوملنغ وألويس أنطون.

وعليه يرى البعض فى اليسار أنه تم تغيير الاسم من جمعية "الحرس الحديدي" إلى تنظيم "الضباط الأحرار" مع تنحية الواجهات الشرفية المكشوفة عن الرئاسة لصالح عضو غير معروف بالمجلس العسكري القيادي القديم للجمعية هو المقدم "جمال

عبدالناصر" الذي استفاد من غياب "هيربيرت هايم" ليصبح هو رئيس التنظيم الجديد شرفياً.وفعلياً – رغم تنازله المؤقت عن الرئاسة الشرفية فيما بعد إلى اللواء "محمد نجيب"ويبالغ اليسار فيرى أنه انتقلت تبعيتهم من كفالة ألمانيا المنهزمة في الحرب العالمية الثانية إلى كفالة الولايات المتحدة الأمريكية المنتصرة على كفيلهم الألمانى السابق،واستعان الضباط الأحرار بجمعية "الفلاح" التي كانت إحدى سواتر محطة الخدمة السرية الخارجية الأمريكية في "مصر"برئاسة "مايلز كوبلاند" الذي طالما سعى من جانبه لاجتذابهم نحو شخصه ومحطته ودولته.وفور حصول "الحرس الحديدي" على صيغته النموذجية المتمثلة في التنظيم العسكري السري الجديد سارعت الإدارة الأمريكية باتخاذ كل الخطوات والتحركات المحسوبة والمبرمجة بدقة ومهارة فائقة على كافة الجبهات، وصولاً إلى توجيه ضربة سياسية واحدة خاطفة تكفل تحقيق هدفين اثنين مزدوجين في ذات التوقيت

– إخراج قوات الاحتلال البريطاني من "مصر" وإسقاط نظام حكم الملك "فاروق"، مع تحاشي أن يصب خروج بريطانيا لصالح الاتحاد السوفيتي الذي كانت شعبيته تتسع آنذاك نظراً لنجاحه في رفع الشعارات التحررية الاستقلالية المعادية للمعسكر الرأسمالي الاستعماري.

– وتحاشي أن يصب سقوط "فاروق" لصالح الشيوعيين المصريين الذين كانت شعبيتهم تتسع آنذاك نظراً لنجاحهم في خوض حرب تحرير شعبية ضد قوات الاحتلال البريطاني ،

ولتوجيه الضربة الأمريكية الخاطفة ذات الأهداف المتعددة المتزامنة فقد تمت تهيئة المشهد المحلي من أجل اعتلاء "الضباط الأحرار حكم مصر" عبر انقلابهم العسكري الذي نفذوه بنجاح يوم 23 يوليو سنة 1952عقب التمهيد الأمريكي لاعتلائهم الحكم بعدة عمليات عكسرية واستخباراتية وأمنية شنتها المكونات السياسية المحلية

التابعة للإدارة الأمريكية،مثل العملية التي نفذتها الأيدي المشتركة لتوابع جمعية الفلاح، وجماعة الإخوان المسلمين وتنظيم "الضباط الأحرار" تحت الإشراف المباشر لمحطة الخدمة السرية الخارجية الأمريكية يوم 26 يناير سنة 1952 والمعروفة في التاريخ المعاصر باسم حريق القاهرة !!. وعندما أصبح الضباط الأحرار لاحقاً حكام مصرالجدد،سرعان ما أعادوا "هايم"من أحراش أمريكا اللاتينية ليعمل كمستشار أمني لهم تحت اسم مستعار هو الدكتور "طارق فريد حسين" حيث أقام في "القاهرة" منذ سنة 1956حتى وفاته سنة 1992 بشكل سري هرباً من تنفيذ أحكام إعدامه العديدة التي كانت قد أصدرتها ضده عدة محاكم على مستوى العالم .

توفيق الحكيم ينقلب على عودة الروح بعودة الوعى ؟!

أصدر الكاتب توفيق الحكيم كتابه «عودة الوعى» مثيراً ضجة إعلامية بعد انتقاده الشديد للرئيس جمال عبدالناصر وسياسته وحكمه واصفًا تلك المرحلة بأنها كانت مرحلة عاش فيها الشعب المصرى فاقدًا للوعى في هذا الكتاب الصادر عن دار الشروق في بيروت عام 1974،يتطرق توفيق الحكيم إلى الحالة الفريدة التي شكلتها ثورة 52 بقيادة عبد الناصر وهو ليس دراسة، وإنما هو مشاهد ومشاعر استرجعها بذاكرته توفيق الحكيم **مابين1952– 1970منتقدًا الرئيس الراحل عبدالناصر** وليس لها آي مرجع آخر،**وسرعان ماصار هذا الكتيب«مانيفستو» تدشين لحملات على الثورة وقائدها بإضافة اسهام بحجم وقيمة وقلم المفكر توفيق الحكيم**

جاء كتيب "عودة الوعى" فى 77 صفحة مفاجئاً لكثيرين كانوا ينظرون لتوفيق الحكيم باعتباره الأب الروحي لثورة يوليو،الذي تأثر عبد الناصر بكتاباته قبل الثورة ،والذي حظي في ظل حكم عبد الناصر بتكريم لم يحظ به كثيرون غيره من الكتاب والأدباء، إلى جانب أن الناس لم تكن قد نسيت بعد مرثيته الحزينة في عبدالناصر (أعذرني ياجمال القلم يرتعش في يدي ليس من عادتي الكتابة والالم يلجم العقل ويذهل الفكر لن استطيع الأطاله ،لقد دخل الحزن كل بيت تفجعا عليك ،لأن كل بيت فيه

قطعة منك. لأن كل فرد قد وضع في قلبه لبنة في صرح بنائك) **ولا دعوته الملحة إلى جمع التبرعات لإقامة أكبر تمثال لعبد الناصر في قلب ميدان التحرير؟!**

يقول الحكيم في مخطوطته :«عندنا فإن قائدنا الخالد بهزائمه العسكرية المتلاحقة التى غامر فيها بأموال شعب فقير ليحتل أرضه فى النهاية عدو صغير،بقى ليتنصل من هزيمته ويجعل مشيره هو الذى يدفع الثمن بانتحاره ،ويقدم قواده إلى المحاكمات وتلقى عليهم التبعات،وحتى من أراد تلميحًا عن فساد أو هزيمة أو نكسة فيجب إبعاد شخص الزعيم عن كل مسؤولية وهكذا استمرفى كرسى الحكم على مصر والزعامة الناصرية على العرب جميعًا تلك الزعامة التى خربت مصر ونكبت العرب»

توفيق الحكيم يقول فى مخطوطه أنه أخطأ بمسيرته خلف الثورة بدون وعي قائلا "العجيب ان شخصا مثلي محسوب على البلد انه من اهل الفكر،وقد ادركته الثورة وهو في كهولته،يمكن ان يساق ايضا خلف الحماس العاطفي ولايخطر لي ان افكر في حقيقة هذه الصورة التي كانت تصنع لنا،كانت الثقة فيما يبدو قد شلت التفكير".. ويقول «اعتدنا عدم التفريق بين النقد والهجوم، وعدم الفصل بين التقدير والتقديس، فتقديس عبد الناصر ألصق تهمة الهجوم ضد كل من يناقش أو ينقد أى عمل لعبد الناصر» ويقول «الحكيم» أيضًا إن "بعض الحكام قد يخافون من إيقاظ عقول الجماهير على أساس أنهم لو أيقظوا هذه العقول فستفكر وتتعبهم وهذا غير صحيح، فالحاكم الناجح لا يجب أن يخشى من إيقاظ عقول الجماهير،بل على العكس يسعد بذلك لأن هذه الجماهير ستؤيده بعقولها المتيقظة،"..

ومن يقرأ «عودة الوعي» يتصور أن كاتباً بحجم وقيمة توفيق الحكيم لم يكن ليجرؤ على أن يكتب في ذلك العصر الذي قاله عنه حين عاد وعيه (سحرونا ببريق آمال كنا نتطلع إليها من زمن بعيد،وأسكرونا بخمرة مكاسب وأمجاد،فسكرنا حتى غاب عنا

الوعي. اعتدنا هذا النوع من الحياة الذي جعلتنا فيه الثورة مجرد أجهزة استقبال) ولكنه في عام 1966قبل هزيمة يونيو بسنة كتب (بنك القلق) ونشرها في أوسع الصحف انتشاراً صحيفة «الأهرام» وقدم فيها نقداً حاداً لأجهزة الأمن وحذر القيادة السياسية من أن غياب حرية المواطن يقود حتماً إلى فقدان حرية الوطن .فحين عرض الحكيم «بنك القلق» على محمد حسنين هيكل رئيس تحرير«الأهرام»وقتها،أخذها هيكل معه إلى البيت وقرأها في نفس اليوم، وبدا أمامه بوضوح أن القصة نقد في الصميم لأجهزة الأمن والمخابرات في شكل عمل أدبيّ، وقرر هيكل نشرها على صفحات الأهرام وعندما عرف الحكيم قرار هيكل بدا عليه الارتباك مؤكداً أنها مجرد رواية تجريبية، لأنها تجمع بين "الرواية والمسرحية" فتبدو مباشرة زاعقة ،وتساءل حول إمكانية التروي قبل نشرها، فقال له هيكل: (إذا كانت لديك الشجاعة لتكتب، فلديّ الشجاعة لأنشر)

ولا شك في أن الأجهزة الأمنية قد أقلقها بشدة نشر«بنك القلق»وذكر هيكل إن المشير عبد الحكيم عامر،طالب بوقف النشر، ولكن عبد الناصر انحاز مجدداً لحق الكاتب الكبير في كتابة ما يشاء وقال :كيف يتمكن توفيق الحكيم في العهد الملكي أن ينقد المجتمع المصري في كتابه «يوميات نائب في الأرياف» ثم لا يستطيع في عهد الثورة أن ينقد ما يراه مستحقا للنقد» .. الحكيم نفسه قال "بعد عودة وعيه" فى كتيب عودة الروح: إنه أراد أن يبعث رسالة إلى جمال عبد الناصر عبر«بنك القلق»يعبرفيها عن قلق المجتمع من قمع السلطة،وملاحقة أي محاولات للتعبيرعن قلق مختلف فئات المجتمع واقترح أن تصارح السلطة الشعب بما يقلقها أو بالعقبات التي تواجهها وأن تترك الحرية للمواطنين بالتعبير عن قلقهم ويقول إنه تأكد أن الرسالة وصلت.

ويرى (رجاء النقاش) أنها لم تكن تلك المرة الأولى،ولا الأخيرة التى يقف فيها عبدالناصر بجوارالحكيم الذى لم يتمتَّع بروح ثورية مثل كتاباته وإنما قنع بدور الموظف البيروقراطي المُطيع للأوامر مهما كانت،وهو ما تسبَّب في أزمة كُبرى أنصف فيها عبد الناصر أديبه المفضل على حساب وزير في حكومته،ففى عام 1953قام وزير المعارف(اسماعيل القباني) بعملية تطهير في الوزارة وطالت عملية التطهير فصل "توفيق الحكيم"من وظيفته (مدير عام دار الكتب) بصفته (غير منتج) فهو يأتى ليقرأ الصحف ويكتب لنفسه المسرحيات،ولا يعمل شيء.وتصدى عبد الناصر والغى القرار فقدم الوزير استقالته من الوزارة

يُعلِّق الأستاذ محمد حسنين هيكل عن هذه القضية،في كتاب«عبد الناصر والمثقفون والثقافة»خلال حديث له مع يوسف القعيد، فيقول إنه بعد أن استقال «القباني» جاءني توفيق الحكيم متسائلًا: ماذا أفعل؟ هل أشكر هذا الرجل العظيم (يقصد ناصر) متابعًا:«لم يكن يتصور أن يخرج وزير من الحكم بسبب مشكلة معه هذه الأزمة كادت أن تُولِّد أول لقاء بين الرجلين،بعدما طلب الحكيم من هيكل تحديد موعدٍ له مع عبد الناصر لتوجيه الشُّكر له على تدعيمه إياه ولكن الحكيم بيوقراطى مرعوب حافظ الحكيم في طلب لقائه من الرئيس على بيروقراطيته المعهودة فاشترط على هيكل أن يستأذن عبد الناصر من الوزير قبل حدوث اللقاء !؟ هذا الطلب العجيب أفسد اللقاء المرتقب فما أن علم عبد الناصر بالأمر حتى ضحك طويلاً وسأل هيكل: هل من المعقول أن أستأذن وكيل وزارة المعارف العمومية من أجل مقابلة مدير دار الكتب؟ ثم أضاف لهيكل: «أتاريه بيروقراطي.. » ولم يتفق توفيق الحكيم كثيرًا مع هذه الرواية، فحينما كتب الواقعة أكَّد أنه هو الذي رفض لقاء عبد الناصر بسبب رغبته الدائمة في البُعد عن رجال الحكم،وأنه كان يفضل أن يكتب له رسالة شكر يحملها له هيكل.

ويستطرد النقاش (عام 1958 كتب الناقد الأدبي احمد رشدي صالح عدة مقالات تناول فيها أدب توفيق الحكيم، بالنقد المرير بأنه يقتبس إنتاجه من إنتاج كتاب غربيين سواء فى مؤلفه "حمار الحكيم" أوروايته "الرباط المقدس" ورشدى يعتبر ناقدا جادا وباحثا أدبيا لا يكتب كلاما في الهواء لكن استطراده في اتهام الحكيم بمجموعة مقالات جعل لها صيغة الاتهام،وقرر عبد الناصر إيقاف الهجوم فمنح الحكيم وسام الجمهورية ،ونشرت الصحف ذلك الخبر(الرئيس جمال عبدالناصر يقلد توفيق الحكيم وسام الجمهورية) ومع الخبر صورة لرئيس الجمهورية وهو يقلد توفيق الحكيم الوسام وكان هذا الخبر كفيلا بايقاف الحملة على توفيق الحكيم وتعزيز مكانته،

ومرة ثالثة في عام 1959أصدر توفيق الحكيم مسرحية (السلطان الحائر) وتقوم فكرتها على الصراع بين القوة والقانون،وايهما يخدم السلطان وقد اعتبرت أنها توجه نقدا مباشرا لنظام عبدالناصر، وأثارت الكثير من الاعتراضات خصوصا من صلاح نصر والمخابرات وطالب بعض رفاق عبد الناصر،بمصادرتها، ولكن عبد الناصر انحاز الى توفيق الحكيم ومنحه فى عام 1960– وفى عز الهجوم على الحكيم– وسام العلوم والفنون من الدرجة الاولى، فقدكان للحكيم عشم مع عبد الناصر فعندما طلب الرئيس عبدالناصر زيارة (الأهرام) وقد اعد له استقبالا حافلا وبعد جولته داخل الاهرام أعد لقاءا له مع كتاب الاهرام،وخلال حواره معهم عبر قضايا مختلفه،كانت مداخة توفيق الحكيم الوحيده، حول اسعار البوفيه في المبنى فهي مرتفعه ولاتطاق،وضحك عبدالناصر والتفت الى الاستاذ هيكل قائلا له (كل طلبات الأستاذ توفيق الحكيم من البوفيه تدون على حساب جريدة الأهرام)

فتوفيق الحكيم تمتع بسطوة عند عبد الناصر منذ قرأ عبد الناصر له رواية (عودة الروح) والتى كان فيها مسألة الكل فى واحد،والزعيم المعبود الذى مصر فى حاجة له ليلمها،وأن المهم فى الحكم المضامين وليس الشكل ؟! وأحكم بمفردك ولكن بمضامين

(الحق والعدل) ؟! ومافائدة الاخزاب الفاسدة؟! والمهم فى الثورة مصالح الناس[الديكتاتور العادل]!

فقد أصدر الحكيم عام 1933 رواية (عودة الروح)،وجاء عبر سطورها أن الأمه تتطلع الى خروج البطل من ابنائها لكي يتم الخلاص على يديه مما تعانيه من الآم ويحقق لها ماتتطلع اليه من آمال.كان ذلك المعنى هو الذي اختمر في العقل الباطن للشاب جمال عبد الناصر.ترتيبا على ذلك كان عبدالناصر يعتبر توفيق الحكيم الأب الروحي لهذه الثورة وعبر عن ذلك بصراحة جمال عبد الناصر فى كتابه "فلسفة الثورة"

تحكي الدكتورة بثينة التكريتي،في كتابها«جمال عبد الناصر ونشأة وتطور الفكر الناصري» قصة الرئيس مع «عودة الروح»، فتقول إن هذه الرواية حظيت بأقصى اهتمام جمال عبد الناصر؛فقد كان مضمونها الواقعي الانتقادي قد ترك أعمق الأثر في وجدانه، وترسخ من خلال الموضوعات التي أثارها: الواقع الذليل المر،التراث العظيم الخالد،ضرورة ظهور زعيم للمصريين يستطيع توحيد صفوفهم وقيادتهم في النضال من أجل الحرية والوحدة القومية، وكان توفيق الحكيم يشعر بهذا الأرتباط وفي إحدى مقالات الحكيم بجريدة الأهرام 1965م،تفاخَر بمدى عُمق علاقته بعبد الناصر وبتعلُّق الزعيم بروايته،حتى أنه فى نهاية كتابه عودة الوعى الذى جاء بعد ذلك.يؤكد إنه غير نادم على كتابة«عودة الوعى» وبعبارة غريبة كتب: «لو لم أكتبه لكان لابد أن أكتبه،ولو كان عبد الناصر على قيد الحياة لكنت طلبت أن يطلع عليه وأعتقد أنه كان يوافق على نشره.وإذا طلبت منه كتابة مقدمة له لفعل فهو شخصية عظيمة فعلا مفتوح القلب والعقل»

فالحظوة التى تمتع بها توفيق الحكيم عند عبد الناصر طمأنت الحكيم بأنه يستطيع معارضة عبد الناصر دون أن يتعرَّض لأذى،.».

ويضيف الأستاذ هيكل شهادته حول ارهاصات خروج عودة الوعى للنور فيتذكر أن الأمر بدأ بعريضة إعتراض على الرئيس السادات،دعى إليها فى الأهرام فى غيابه مع وفد بالصين،وتحمس توفيق الحكيم لتحريرها،وكانت تدورحول "سنة الحسم" والتى قال عنها السادات سنة الضباب، وكيفية مواجهة النكسة والحرب مع إسرائيل،وبعد أن وقعها الحكيم،إنضم له أكثر من مائة من الصحفيين والمثقفين،وكان ذلك مع مظاهرات1971 ولأن الأمور أخذت بتسرع وعدم نظام فقد سمح بتصوير العريضة وتحرك شباب الصحفيين فوصلت لصحف عربية وعالمية قبل أن يدرى بها السادات،ليقرأها الرئيس فى الصحف!؟ويغضب السادات ويسب توفيق الحكيم فى عدة إجتماعات ويصفة "بالعجوز الخرف" ويصف الموقعين على العريضة بالإنهازميين ومع غضب السادات الشديد نقل من موقعى العريضة (80صحفى) لمصلحة الأستعلامات كان فيهم أبرز الكتاب (:أحمد بهاء الدين، د.يوسف ادريس،لويس عوض، مكرم محمد أحمد،والسيدة أمينة شفيق) ولم ينقل توفيق الحكيم ولا نجيب محفوظ،رغم توقيعهم على البيان

وكان ببيان الحكيم فقرة لم ينسها السادات وهى فقرة تقول(كثر الكلام عن المعركة دون معركة حتى صارت المعركة مضغة فى حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها ولا نستطيع أن نلفظها)،كان السادات يكررها ويقول(المخرف العجوز) من قال أنى سأقبل الاسلم والاحرب لمصر ولنفسى

ويكمل هيكل: (واعتصم الحكيم ببيته مرعوبا،مدعى المرض،واتصل بى طالبا مقابلة السادات،وبعد الزيارة للسادات بشهر سمعت عن مخطوطة عودة الوعى يوزعها الحكيم مكتوب على الألة الكاتبة، على رجالات الفكر فى مصر والأهرام لتبادل الرأى حولها؟!

قال هيكل حين سمعت بذلك اتصلت بتوفيق الحكيم به وسألته فأنكر وقال لو فكرت في ذلك لأخبرتك فأنت صديق عزيز،ومرجع لنا نحن المثقفون.ولكني حين تأكدت،بأنه فعلا كتب هذا المخطوط ووزعه على مقربين منه لأخذ الرأي حوله عاودت الأتصال به وقلت له (ان غضبي منك ليس في انك كتبت،ولكن لأنك كذبت،وقلت له كنت في زيارة للدكتور طه حسين للأتفاق معه على عمل للأهرام وقال لي (أراك تؤثر أخينا الحكيم كثيرا وأدعو الله أن لاتمتحن فيه،ولقد امتحنت فيك وسقطت وأخذت صفرا)

ويعود الأستاذ هيكل ليوثق الواقعة فى كتاب"خريف الغضب" فيكتب :(حدثت فى نهاية 1972حادثة غريبة ففى جو مشحون بالتوتر، ومع مظاهرات طلابية أغلقت بسببها الجامعات،اجتمع عدد من الكتاب والمفكرين فى مكتب الأستاذ توفيق الحكيم بالأهرام واستقر رأيهم على توجيه عريضة أو خطاب مفتوح للرئيس السادات، يتعرضون فيه لقضايا الوطن والشباب عن المدة الطويلة التى يقضيها الشباب فى التجنيد استعدادا لمعركة تبدو أبعد وأبعد كل يوم. وتحدثوا عن فداحة الضريبة التى يدفعها الوطن لشعار لاصوت يعلو فوق صوت المعركة؟ ثم خرجوا من ذلك –وإن لم يقولوه صراحة– إلى أنه من المفيد إكتشاف حل دبلوماسى إذا إستحالت الحرب.ولم ينشر هذا الخطاب الذى عرف بأسم "عريضة الكتاب" فى مصر وإنما نشر بالخارج وعرف بها السادات من صحف بيروت،وذهب عبد القادرحاتم وزير الثقافة والإعلام لمقابلة عدد من الكتاب فأختاروا منهم (توفيق الحكيم ونجيب محفوظ)للحديث مع الوزير،وبالفعل ونقل لهما الوزير ضيق السادات الشديد من البيان وراح يشرح لهم حقائق الموقف،وبحسن نية كشف حاتم عن كثير من الخبايا، وكنت وقتها فى رحلة لآسيا،وصلت منها للصين،وعند عودتى القى الحكيم على بقنبلة، عبارة عن خطاب للسادات كتبه وطلب توصيله له بمعرفتى بعد أن وصله بالطبع ماقاله السادات عليه

من العجوز الخرف وروح الإنهزامية وفى الخطاب المرسل للسادات كان شرح لمجمل الحديث مع د. عبد القادر حاتم،و كأن الحكيم يقول للسادات إن خطتك تشبه ماجاء فى العريضة التى كتبناها فلماذا تقرظنا؟!

وفى الخطاب ثلاث نقاط:

الأولى أن الذين قابلهم د.حاتم: توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، ثروت اباظة .. أما النقطة الثانية أن الحديث عن الحل السلمى ألان هو أخطر من الحديث عن الحرب،لأن الرئيس سيجد نفسه محاصرا من جهات كثيرة أهمها ليبيا والمقاومة الفلسطينة والجيش ..أما النقطة الثالثة إن هناك معركة تراها مصر ضرورية ولكنها ليست أكثر من مناوشة محدودة تلفت نظر العالم فيأتى الحل السلمى برغبة دولية يبدأ فيها الإنسحاب ولو جزئيا عن ارضنا، ويقول هيكل نزل على مافى الخطاب نزول الصاعقة.. ويستكمل شهادته (ذهبت بالخطاب للسادات وكان وقتها بإستراحة القناطر،وذهل مما فيه وقال بالحرف "محمد..هل هناك صورة لهذا الخطاب؟" وقلت له: "الخطاب كما ترى بخط يد الحكيم" وبعدها علق السادات(كنت اتصور أن حاتم يصلح رئيس وزراء،ولكن الأن عرفت أنه اقل من ذلك بكثير..على توفيق الحكيم أن يعقل ولا يكتب ذلك ولا حتى لى) ثم بلهجة تسليم اقترح السادات أن أحضر الحكيم لتصفية الموضوع مرة واحدة.وحمدت الله أن حققت رغبة الحكيم بلقاء السادات وتوقعت لقاء عاصف.

ولكن السادات رحب بالحكيم وقال له على الفور(أعددت لك مفاجأة) ثم صفق فجاء ضباط الحرس يحملون ماكيت مجسد لمشروع بدى كبير،والتفت السادات للحكيم وسأله هل تعرف ماهذا؟ وكان رد الحكيم نظرة تساؤل،فقال الرئيس بطريقة مسرحية "امامك دار الاوبرا الجديدة" ولمدة ساعة أخذ السادات يشرح المشروع عدد

المسارح،وتطنولوجيا الصوت والضوء المستخدم وقاعات الموسيقى وكان ذلك مسارلم اتوقعه للقاء،وانهى الجلسة بعبارة (الصراع صراع حضارى ولابد نستعد له)

وفى سيارتى وأنا والحكيم عائدين ظللنا صامتين نصف الطريق،وأتذكر أنسألته:الذى حدث حوارا من مسرح الامعقول ؟! وبدى وكأن الحكيم يوافق قولى وهو يبعث بعصاه المشهور به..ومرت عدة أيام بعدها علمت أنه قد فرغ من مخطوطة "عودة الوعى" وراح يوزعها على المقربين ووصلتنى نسخة طه حسين منه،ارسلها لى،وكانت هجوما حادا على عبد الناصر،واستغربت قصد زيد فأصاب عمرا، أقصد كان هجومه على السادات،فما الذى أوصلنا لعبد الناصر؟ ولم تمض شهورا حتى راح السادات يشيد بالحكيم، بل أنعم عليه بقلادة النيل؟

لطيفة الزيات ..صراع الأنثى والمناضلة

لماذا قال الاستاذ أنيس منصور فى كتابه الأظافر الطويلة (لاتستطع الأديبات المصريات أن يجارين أديبات سورية ولبنان في الحديث عن الحرية الشخصية "الجنسية مثلا"وإنما انشغلن بما هو أسهل وأسلم "الحرية السياسية" وهي أدنى درجات الحرية ولذلك لم تلق "لطيفة الزيات" حفاوة كبيرة، وإنما كعادة الشيوعيين فهم ينفخون في أي شيوعي حتى لو كان بلا موهبة، فالمهم عندهم أن يزيدوا واحدا أو واحدة، وأن تكون مظاهرة، وفي هذا المجال برزت لطيفة الزيات،ولكن لم تكن موهوبة ،ولا كان الطبل والزمر من أجلها عملا فنيا، ولم تدخل مجال الأدب كأديبة وإنما كتلميذة شاطرة تحفظ دروسها، فصارت دكتورة للأدب الانجليزى تعرفه وتحفظه وتدرسه للأجيال كأكاديمية جامعية ؟! ولكنها بلا موهبة أدبية،فليس لديها اعمال كثيرة ولاموضوعات متنوعة وإنما حشروها بسرعة في مجالات السياسة الهامشية، اضاعوها ،فندمت على أنها نسيت أنها انثى ،وتعلقت بدور ليس لها "المناضلة".)

واستفسرت أكثر من الروائى "صننع الله ابراهيم" عن لطيفة الزيات فقال في السيرة الذاتية للطيفة الزيات من الإنصاف القول بأن الفتاة والمرأة عاشت قبل زيجتها الثانية وخلالها على إشباع نصف ملكاتها الإنسانية على حساب النصف الآخر.وإن هذه الحقيقة شكلت سبباً من الأسباب التي أدت إلى اختلال سير حياتها،في المراهقة عرفت الفتاة فورة الجنس وصادرتها،وفي ظل شعور حاد بالذنب دفعت الأنثى في أعماقها حتى غابت عن وعيها غير أن هذا مجرد وجه واحد للمشكلة ، الوجه الأعمق هو أنها كانت في زيجتها تفر خائفة مذعورة ، إلى أمان " الأب " والبيت الكبير الذي نشأت في أحضانه وكانت الزوجة الشابة قد سعت العمر كله لبلوغ ما هو مطلق .كان الحب الكبير في نظرها يتساوى مع الرغبة في التوحد مع المطلق كان

يساوي الرغبة في الضياع في الآخر، في الوجود من خلال الآخر،في فقد "الأنا" والتحرر من جسد الأنا والتوحد مع الآخر.الآن تدرك أن هذا كان سعياً خائباً كان حبها ضياعاً في الآخر وليس وجوداً من خلاله ، إذ ذاك علمت أن جريمتها لا تغتفر، فما من جريمة أفدح من وأد الذات وها هي ذي تواجه العالم ويداها ملوثتان بدمها ؟!"

سمكة مياسة دمياطية،فتاة جميلة.زرع بدرى،لم يتذكر اصدقائها بالجامعة من الشباب والشبات إلا انها جميلة، فى وقت لم يكن فى جامعة القاهرة سوى 19 فتاة.كان لها فى كل نشاط، وجدت وسط اليسار الماركس وفى جماعة الأدب والصحافة كانت تبحث عن ذاتها فى الذوبان فى شيىء ما خارج الذات الضيقة ولكن الرجل اقترب كمغامر مرتبك بين جمالها، وبين الذوبان الذى تعيشه فى الاشياء؟! عرفت الفتاة فورة الجنس،وبحكم تربيتها وجديتها صادرتها، وفي ظل شعورحاد بالذنب دفعت في أعماقها الأنثى حتى غابت عن وعيها،أو كادت، لا يتبدى منها إلا هذا الخجل الذي تستشعره من هذا الجسد الممتليء، الغني بالاستدارات.وفي صعوبة كانت الفتاة تقطع الطريق من الجانب المخصص للقراءة إلى الجانب المخصص لأرفف الكتب في حجرة الاطلاع في مكتبة جامعة فؤاد الأول (القاهرة) يخيل إليها وهي تعود بمرجعٍ من المراجع أن كل عيون من في القاعة مركزةٌ عليها وتفضل الهروب من القاعة إذا ما اتضح لها أنها لم تلتقط المرجع المطلوب وتطلب الأمر معاودة الرحلة في ظل العيون المتربصة" صحيح أنها من عباءة الوصل الجماهيري ولدت،ومن الدفء والإقرار الجماهيري تحولت من بنت تحمل جسدها الأنثوي وكأنما هو خطيةٌ،إلى هذه الفتاة المنطلقة الصلبة قوية الحجة "وأنه من منطلق الإنسان لا الأنثى، تعاملت الفتاة في النطاق العام. ولكنها لم تعرف نفسها ولم تتوازن معها.

وبدأت تحركات الشاطر حسن الذى سمعت عنه من حكاوى جدتها تقدم زميلها فى كلية الاداب "عبد الحميد عبد الغني" الذي إشتهر بإسم "عبد الحميد الكاتب" ولم يكن ماركسيا تحت أي ظرف من الظروف مثل لطيفة، بل كان يمضي جزءا كبيرا من نهاره وليله في أحد المساجد ويحفظ التاريخ الإسلامي بدرجة جيدة. وإرتبط الإثنان بخاتم الخطوبة ولم يقدر لهذا المشروع أن يتم،وكيف يتم؟! وقد سكنتها المرأة المناضلة الجادة المتحمسة، اسطورة التحرر تحت وقع طبول الماركيسية لتكون امرأة"سجن الحضرة"؟! بنت الحسب والنسب والأسرة العريقة. رسموها كما يريدون..لاكما تريد هى، فنسيت انها امرأة؟ ولكن "لطيفة" بثقافتها وشخصيتها وجمالها تركت آثارها على نفسية "عبد الحميد الكاتب" وقد سجل هو بنفسه هذه الإنفعالات في مقال باكر له في الصفحة الأخيرة من جريدة (أخباراليوم) تحت عنوان (خاتم الخطوبة).

ثم دخلت تجربة ثانية أكثر ملاءمة لفكرها وطبيعتها، فإرتبطت بالزواج بأحمد شكري سالم..الدكتور في العلوم فيما بعد، وهو أول شيوعي يحكم عليه بالسجن سبع سنوات، وتم إعتقال أحمد ولطيفة عام **1949** تحت ذمة القضية الشيوعية.وإنفصلا بالطلاق بعد الحكم علي "شكري" وخروجها من القضية.؟ وهنا تأتى التسألات:كيف خرجت فى رحمة حانية وحكم على زوجها فى قسوة بالحد الاقصى،والقانون هو هو القانون؟! هل اخرج السجن والمطاردة وقسوة البوليس ثعبان الماركيسية من جلدها هل كانت محاكمتها بين رفاعية افهموها واخرجوا ثعبانها الشيوعى فعادت لطبيعتها امرأة انثى؟! يبدو كل هذا مطروحاً.ويأتي قمة التناقض بين اليسار واليمين عند الدكتورة لطيفة الزيات بزواجها من "الدكتور رشاد رشدي" يميني المنشأ والفكر والسلوك .

إنها حكاية امرأة دخلت السجن مرتين:الأولى وهي عروس في السادسة والعشرين من عمرها عام ألف وتسعمئة وتسعة وأربعين..والمرة الثانية وهي في الثامنة والخمسين من

عمرها عام ألف وتسعمئة وواحد وثمانين إثر حملة الاعتقالات التي ضمت الكتاب والصحفيين المعارضين لحكم السادات.وفرق بين المرتين ففى الاولى كانت صورة المناضلة الشيوعية وفى الثانية كانت المثقفة الوطنية..ويحكى كتابها "حملة تفتيش: أوراق شخصية " ذلك فى جزءين: الأول بداية سيرة ذاتية لم تكتمل تتناول سنوات تشكل الوعي،ثم مرحلة منتصف العمر.والثاني يتكون من أوراق كتبتها وهي في سجن النساء عام ألف وتسعمئة وواحد وثمانين ،وتدور حول تجربة السجن وتتخلق من جديد حول منتصف العمر بمنظور جديد تبلور في ضوء تجربة الاعتقال وهي تروي تفاصيل مهمة عن شكل حياتها مع زوجها الأول أحمد شكري سالم الذي دخل السجن سبع سنوات بسبب مواقفه السياسية..تقول الزيات:"وحين تزوجت زيجتي الأولى بدأت مرحلة جديدة من مراحل الانتقال من مكان إلى مكان، كان محركها هذه المرة المطاردة الدائبة من جانب البوليس السياسي لزوجي،أو لي، أو لكلينا .وقد تنقلت مع زوجي الأول في المدة الزمانية ثمانية وأربعين وتسعة وأربعين في خمسة منازل كان آخرها بيتي الذي شمعه البوليس السياسي في صحراء سيدي بشر التي لم تعد، وقدتعين علي حين عنفت مطاردات البوليس السياسي أن أنتقل ليلاً من مسكن إلى مسكن إلى أن وجدت السجن مسكني.ولم يكن انتقالي إليه هذه المرة اختيارياً .

وتتحدث فى كتابها عن تجربة زواجها الثانية من شخصية ثقافية وذات سطوة هي د. رشاد رشدي ليتضح أن العلاقة كانت مأزومة.تحدثت عنه أيضاً بالشفرة وهاجمت حياتها معه بشراسة تقول: ولم يكن انتقالي اختياراً أيضاً وأنا أنتقل من مسكن إلى مسكن آخر مع زوجي الثاني ولعلي أضعت القدرة على الاختيار، بل القدرة على الحركة والفعل في فترة طويلة من فترات زيجتي الثانية التي بدأت عام ألف وتسعمئة واثنين وخمسين ودامت ثلاث عشرة سنة ..

ربما يفسر هذا الاضطراب في الحياة العاطفية ذلك الحلم الغامض الذي ظل يطارد أستاذة الأدب الإنجليزي ويزعج منامها لأن الحلم ليس في النهاية سوى انعكاس لظروف ضاغطة ورغبات متقدة أو موؤدة.تقول الكاتبة:"لكلٍ منا حلمه الليلي المتكرر،ولا أجد وقد وصلت إلى هذه النقطة من السرد غرابة في حلمي الليلي المتكرر الذي لم ينحسر عني إلا منذ سنين. فأنا أجد نفسي ليلياً في فندق غاية في الفخامة والاتساع والارتفاع، أو في سفينةٍ ينطبق عليها نفس الوصف، حافية أو بملابسي الداخلية، أو على أي وضع استنكره لنفسي، ألف وأدور سعيا للعودة إلى غرفتي، وأطرق متعثرة ومستميتة ممراً مشابهاً بعد ممر من الممرات المتعددة المتشابهة، ولا أجد أبداً غرفتي. وأستيقظ من النوم وأنا على حافة السطح على وشك السقوط في هاوية

أتاح لها رشاد رشدي مستوى مادياً مريحاً..لكنها عاشت تعاسةً نفسية اعترفت بها في كتاباتها (هذه المعاناة وصلت إلى حد أنها أهدته روايتها "الباب المفتوح" تحت الضغط.؟.) كان دائماً يؤكد لها أنها بدونه بلا قيمة وأنه صاحب أفضال عليها. لمحت في قصة "الرحلة" إليه وكيف أنه كان يعود ليحكي لها فتوحاته مع أخريات.كما أشارت إليه في قصة "الشيخوخة" عندما تحدثت عن علاقتها بزوج تشعر أنه مات اللحظة الفارقة تدمي القلب..لأنها ببساطة اختيار ما بين القلب والعقل الاستسلام والإرادة..الانصهار أو الاستقلال .تقول:" في يوم من أيام يونية **1965**، وأخي والمأذون يجلسان في الغرفة المجاورة،قال لي زوجي في محاولة أخيرة لإثنائي عن إتمام إجراءات الطلاق،وهو يستدير يواجهني على مقعدٍ :ولكني صنعتكِ؟! وانطوى من عمري عمر قدره ثلاثة عشرعاماً بوهم التوحد مع المحبوب لفترة، وبإصابتي بالشلل المعنوي والعجز عن الفعل في الفترة الأخيرة. ولم أشأ أن أصعد النغمة حتى لا تفشل مهمتي، وتساءلت وأنا أرقبه:أي مرحلة من مراحل عمري المنقضي صنع؟ أكل المراحل أو لم يصنع هو شيئاً. انقضى الزمن الذي كنت أعلق فيه على مشجبه

سعاداتي وتعاساتي،انقضى يوم برئت من الشلل".. وحين يكرر عليها الزوج على مسامعها كلمة الاستعطاف لا المن "لقد صنعتك" يكون ردها: "حتى لو كنت صنعتني فعلا كما تقول، فهذا لا يعطيك الحق في قتلي!؟"

لذا يقرر البعض أن د. لطيفة الزيات بلغت قمة التناقض بزواجها من د. رشاد رشدي: ارتباطٌ مقدس بين أقصى اليسار وأقصى اليمين، فكراً وسلوكاً ولذا لم يكن مستغرباً أن تقول: "في أعماقي دار سؤال بقي على البعد معلقاً هل استطعت حقاً أن أقتلعه تماما من جلدي حيث سرى في أعمق أعماق مسام جلدي؟ يقول عنها الكاتب الصحفي كامل زهيري:" تزوجت فتاة الأربعينيات الجسورة، ثم سجن زوجها سبع سنوات ومات. وحصلت بعدها على الدكتوراه ثم طلقت من زوجها الثاني، ونجحت في الدكتوراه، ولم تحصل على الابتدائية في الزواج كما قال البعض وكان الطلاق إعلانا بالإفراج وقد يكون أبرز حبات العقد فى حياتها ذلك الصراع بين الأنثى والمناضلة أن عبارتها فى رواية "الشيخوخة" : كنت فتاة خجولة إلى حد كبير، فقد كان جسدي ممتلئاً بعض الشيء وكنت أحمله وكأني أحمل خطيئة ، لدرجة أنني كنت أخجل من إعادة كتاب أخذته خطأ من رفوف مكتبة الجامعة ، أمام الناس ، وكان يخيل إلي أن كل الأنظار متجهة إلى جسدي الممتلئ " هي وهج البداية .

وفى روايتها "صاحب البيت" فضحت فيها التجانس بين الكاتبة والبطلة والتطابق بين حياتهما، والتوحد بين سيرتهما. فما كانت قد نشرته سابقاً بسنتين بعنوان:" أوراق شخصية – حملة تفتيش" والذي يعتبر بمثابة سيرة ذاتية لها في رأي الخاصة والنقاد فلقد شعرت بأن زيجتها الأولى والتي عاشت فيها مناضلة مع زوجها الأول،حتى قبض عليهما معاً في بيتهما،بصحراء سيدي بشر تحتاج إلى عودة وإلى تفحص أنثوي مثير بعيداً عن الجو النضالي اليسارى الماركسى فكانت رؤيتها الثانية للأمور في "صاحب البيت" وفي فترة لها شجون وومميض خاص في حياتها حيث (دخلت وزوجها سجن (

الحضرة) ليحكم عليه بالسجن سبعة سنوات، وتخرج هي بحكم مع وقف التنفيذ، ويستمر الزوج بعدها فى السجن لسنوات، كان ذلك في أوائل الخمسينات حيث عاشت علاقتها الرومانسية غير ناضجة مع زوجها " أحمد شكري " وهو مناضل شيوعي طلقت منه وهو دخل السجن،وخرج ومارس حياته وكان في نهاية أيامه ملحق ثقافي لمصر،وهذا جزء من أجزاء الانهيار في حياتها الزوجية معه وفي كل عمل من أعمالها الثلاثة تجدها تجاهر بكونها أنثى، متجاهله المناضلة الماركسية فيها فقد أكتشفت أنهم غسلوا رأسها بالشيوعية (وحينما أوشكت أن تفصح عن الجنس أو اهمية (الأورجازم) الذي شعرت به كان ذلك مع زوجها الثاني دكتور رشاد رشدي لتتحدث عن أدراك الانثى وقتها فدخلت عالم آخر مختلف أنساها كل شيء وبخاصة أن رشاد رشدي يختلف تماماً عن زوجها الأول ومن عالم غير عالمه، ثم تعيد اكتشاف نفسها من خلال كل ذلك بصدق وتركيز، فهى امرأة أنثى وليست جارية من العصر العباسى وتطلب الطلاق بقوة من الزوج الثانى رشاد رشدي، الطلاق للمرة الثانية ؟! وتقول اخترت نفسى وتوازنى

تقول د. لطيفة الزيات فى حوار صحفى استوعب الأن ماقلته الممثلة – التى تكن لها الكاتبة الاحترام "فاتن حمامة"– كانت فاتن قد قررت تمثيل الرواية فى فيلم وعرفت بالتطابق بين الكاتبة البطلة فى الرواية فأحبت أن تتعرف على الكاتبة معلقة على روايتها "الباب المفتوح" الناس تقول إنك تحلمين على الورق.تناضلين على الورق، تحققين على الورق ما لا تستطيعين تحقيقه في الحياة.كانت هي والممثلة تجلسان في كافيتريا ووصلتها الوخزة، ولكنها احتدت وعاندت وقاطعتها..ووخزتها هى الآخرى وقالت فى تكبر :فليحلم من يستطيع رواية مماثلة في الجودة.

كان كلام فاتن ملح على جرح..كانت فاتن هى من وقع عليها تمثيل الباب المفتوح للطيفة الزيات وادركت أنها سيرة لذات الكاتبة فأقتربت منها ليعينها ذلك على التقمص والتمثيل فوجدت حياة بلا روح ،حياة على الورق.

وفي كتابها (حملة تفتيش) تتبع خطاً واحداً من خطوط الصراع النفسي الذي ساد حياتها وهو الصراع بين الرغبة في الحياة والعزوف عن الحياة الإقدام والارتداد والتقوقع وهي لا تسعى في هذه الأوراق الشخصية إلى تقديم سيرة ذاتية معينة بتتابع الزمن وتعاقب الأحداث،لكنها تنثر حبات عقد العمر كله ثم تنتقي أكثرها ألفاً ووهجا،وتروح تتفحصها في أناة ويظهر ذلك فى إجابتها الشهيرة عن سؤال مذيعة التليفزيون وهما في انتظار تسجيل برنامج ما عام **1965** حيث الطلاق بينها وبين زوجها الثاني .قالت لها المذيعة: الناس بالطبع يمكن تفهم سبب الطلاق ولكن غير مفهوم كيف حدث الزواج أصلاً ؟! فإذا بلطيفة الزيات ترد من عقلها الباطن وبلا تفكير:الجنس سبب سقوط الامبراطورية الرومانية !! فهو المجاهرة التي تريد أن تعلنها المناضلة أنها (أنثى) وعندما إشتدوا عليها باللوم قالت:"الجنس أسقط الإمبراطورية الرومانية" في إشارة إلى أنه قد يسقط الحواجز الإيديولوجية أيضا؟

إنها تفتح نوافذها المغلقة وتكشف عن مدى قوة الرغبة واللذة وتأثيرها على قراراتها كأنثى..لا يهم هنا المستوى التعليمي أو الثقافي وإنما الأهم هو أنها أنثى، قد تكره الرجل لكنها تتعلق به إن أجاد مخاطبة أنوثتها وفك شفرة الجسد!

.....

.....